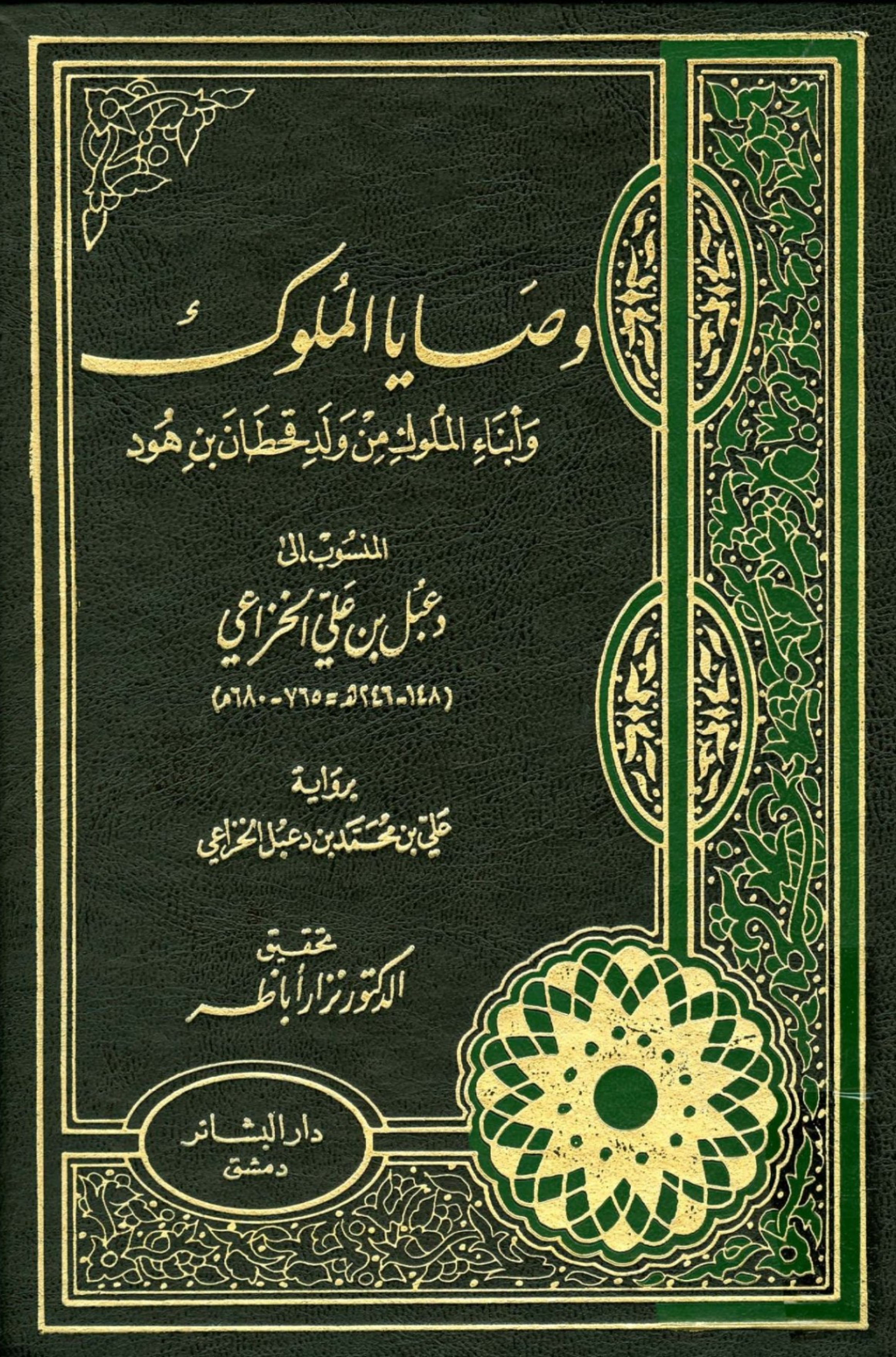

وصايا الملوك
وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود
المنسوب إلى
دعبل بن علي الخزاعي
(١٤٨-٢٤٦هـ = ٧٦٥-٦٨٠م)
برواية
علي بن محمد بن دعبل الخزاعي
تحقيق
الدكتور نزار أباظة
دار البشائر
دمشق

وصايا الملوك

وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود

المنسوب إلى

دعبل بن عليّ الخزاعي

(١٤٨-٢٤٦هـ = ٧٦٥-٨٦٠م)

برواية

عليّ بن محمّد بن دعبل الخزاعي

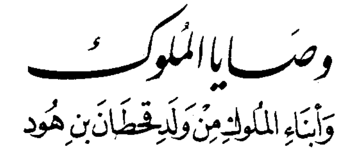
تحقيق

الدكتور نزار أباظة

دار صادر
بيروت

دار البشائر
دمشق




وصايا الملوك
وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود

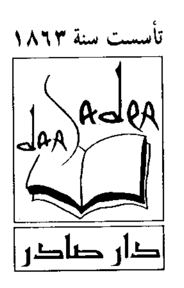
الطبعة الاولى

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م



دَارُالبَشائِر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب ٤٩٢٦ - هاتف : ٢٢١٦٦٦٨

تأسست سنة ١٨٦٣



ص .ب . ١٠ بيروت ، لبنان
هاتف : ٩٢٠٩٧٨-٠٤ / ٩٢٢٧١٤-٠٤ / ٧٨٧٧٧٧-٠٣



مقدمة

تحفل كتب الأدب والأخبار ودواوين الشعر بالوصايا ، وصايا الآباء والأمهات من البدو والحضر ووصايا المصلحين والهداة ، ووصايا الحكماء والعلماء ووصايا الملوك والخلفاء والأمراء ، ولو جمعت لاجتمع منها ديوان كبير عظيم النفع جليل الفائدة يهدي إلى الخلق القويم ويستفاد منه في الحياة ، لأن الناصح ـ خصوصاً إن كان أباً أو أماً ـ شفوق من جهة وأحكمت رأيه التجارب والأيام من جهة أخرى ، فهو يعطي خلاصة تجربته التي قد يكون دفع في الحصول عليها ثمناً غالياً ليجنِّب من يحبه الوقوع في المحاذير .

ومن أجل ذلك ـ فيما أظن ـ خلّد القرآن الكريم تجربة لقمان الحكيم ، وسجّل موعظته لابنه ، لتكون وصية لكل ولد يريد الله له الخير في الدنيا والآخرة . إنّ على هذه الوصية المختصرة تقوم التربية الصالحة والخلق العالي في كل زمان ومكان .

ولقد شغفت كثيراً بأدب الوصايا ، وكنت أمضيت مدة جمعت فيها جذاذات ، تضمنت وصايا مختلفة ، انتقيتها من كتب الأدب ثم وقع بين يدي مصورة لمخطوطة « وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود » وجدتها في خزانة مخطوطات مجمع اللغة العربية بدمشق محفوظة برقم ٢٨١ . وأصلها محفوظ في مكتبة الأمبروزيانا برقم (G3) كما أشار فهرس معهد المخطوطات[١] . وبعد البحث في فهارس المخطوطات لم أجد نسخة أخرى لها في مكان آخر .

---

(١) فهرس مخطوطات التاريخ ، ٣٣٦ ، وصورتها محفوظة في المعهد برقم ١٣٠٦ تاريخ .

مؤلف الكتاب دعبل بن علي الخزاعي ، شاعر عباسي ولد في الكوفة سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م في أسرة تحمل الولاء لآل بيت النبوة ، ومنها ظهر عدد من الشعراء . ولما نشأ رحل إلى بغداد فاستقر بها واتصل بالشاعر مسلم بن الوليد فتتلمذ له ، وما زال يرعاه حتى أنشده يوماً قصيدته التي يقول فيها :

أيـن الشبـاب وأيـة سلكـا ... لا أيـن يطلـب ضـل بـل هلكـا
لا تعجبـي يـا مسلـم مـن رجـل ... ضحـك المشيـب بـرأسـه فبكـى
قـد كـان يضحـك فـي شبيبتـه ... فـأتـى المشيـب فقلمـا ضحكـا
يـا سَلْـمُ مـا بـالشيـب منقصـة ... لا سـوقـة يبقـي ولا ملكـا
يـا ليـت شعـري كيـف نـومكمـا ... يـا صـاحبـي إذا دمـي سفكـا
لا تـأخـذا بظـلامتـي أحـداً ... قلبـي وطـرفـي فـي دمـي اشتـركـا

فقال له : اذهب فأذع شعرك .

واشتهرت القصيدة على الألسنة حتى وصلت إلى مجلس الرشيد فغنيت له ، فاستحسنها ، وأرسل إليه عشرة آلاف درهم وخلعة وطلبه للحضور ، فلما سمع شعره استجاده وأمره بملازمته ، وأجرى عليه رزقاً سنياً حرّضه على قول الشعر .

وبقي دعبل مخلصاً للرشيد إلى أن بطش بالبرامكة سنة ١٨٧هـ فرثاهم مع نهي الخليفة الشعراء أن يذكروهم ، وإذ خاف العاقبة هرب إلى الأطراف وقصد الفضل بن عباس الخزاعي والي طخارستان فولاه سمنجان ، فلما مات الرشيد رجع إلى بغداد فبقي فيها إلى سنة ١٩٨هـ حين غادر إلى الحج في طريقه إلى مصر ليلم بواليها المطلب بن عبد الله الخزاعي ، فعينه هذا والياً ، على أسوان ، ثم عزله لما بلغه هجاءه فيه ، فعاد إلى بغداد .

ثم رحل إلى الإمام الرضا في مرو حين عهد إليه المأمون بولاية العهد ، فمدحه بقصيدة ، قيل : إنها أروع شعره في آل البيت ، ومطلعها :

مـدارس آيـات خلـت مـن تـلاوة ... ومنـزل وحـي مقفـر العـرصـات

وفيها يقول :

ملامك في أهل النبي فإنهم　　أحبّاي ما عاشوا وأهل ثقاتي
تخيرتهم رشداً لأمري فإنهم　　على كل حالٍ خِيرة الخيرات
نبذت إليهم بالمودة جاهداً　　وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي
فيا رب زدني من يقيني بصيرة　　وزد حبهم يا رب في حسناتي
أحب قصي الرحم من أجل حبكم　　وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

وعندما رجع إلى بغداد وجد أهلها قد بايعوا بالخلافة إبراهيم بن المهدي عم المأمون حين سمعوا باختياره الرضا ولياً لعهده ، فهجاه دعبل هجاء عنيفاً مما أثار ضغينة إبراهيم عليه .

وفي هذه الأثناء قدم بغداد والي مصر المطلب بن عبد الله لمناصرة المأمون فبعث رجاله فقبضوا على دعبل وأدخلوه عليه ، وكان حلف ليقتلنه . . فبادر الشاعر إلى مدحه ، فعفا عنه ووصله . وإذ ذاك آثر الرحيل بعيداً خيفة أن تطاله أيدي إبراهيم .

وحين وصل إليه نعي الإمام الرضا سنة ٢٠٣هـ وشاع حول موته ما كان يشيع حول مصارع الأئمة من آل البيت على أيدي بني العباس رثاه رثاء حاراً ، شتم من خلاله قبر الرشيد الذي دفن الإمام بجانبه ، كما هجا العباسيين ، فبعث المأمون في طلبه ، فهرب متنقلاً في خراسان ، وتردد إلى أميرها طاهر بن الحسين الذي أرسل إليه الخليفة كتاب الأمان بالشاعر لما سمع أبياته في هجاء عمه إبراهيم . وإذ دخل على المأمون استمع إلى شعره ، وأنس به حتى كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده ، وبقي كذلك حتى ساءه فيه أمر ليس يدرىٰ ماهو ، فهجاه في قصيدة مطلعها :

أيسومني المأمون خطة عاجز　　أو ما رأى بالأمس رأس محمد

ومع هذا فقد تركه المأمون آمناً رغم أنه كان ينال من كُتّابه ، فهجا أحمد بن أبي خالد وثابت بن يحيى والقاضي يحيى بن أكثم والقاضي الآخر أحمد بن

أبي دواد وغيرهم من رجال القصر بعد أن مدحهم . ووقع شر بينه وبين كثير من الأعلام ، فهجاهم هجاء أطارت شرارته الفتن بين المضرية واليمانية .

واتصل دعبل بالخليفة المعتصم ومدحه ونال صلاته ، ثم مالبث أن انقلب عليه ، فهجاه هجاء بلغه معه أن المعتصم عازم على قتله ، فهرب من وجهه إلى الجبال في قم ، وهناك أذاع بائيته التي تعد من أشهر شعره ومطلعها :

بكى لشتات الدين مكتئب صبّ — وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام إمام لم يكن ذا هداية — فليس له دين وليس له لبّ

ومن أشدّ ما فيها :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة — ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة — خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة — لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

ولما سمع الخليفة القصيدة بعث من يتعقب الشاعر الذي هرب من الجبل إلى مصر ، وهناك اتصل بأميرها الأغلب ، ثم خرج إلى إفريقية (تونس) لكنه سرعان ما عاد إلى بغداد ، ووجد بها من يشفع له عند المعتصم . وقد فسدت صلته برجاله ووقع بينه وبينهم مهاجاة وخصام ، ولما بلغه نعي المعتصم وتقلد الواثق ارتجل قائلاً :

الحمد لله لا صبر ولا جلد — ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد — وآخر قام لم يفرح به أحد

ولم يجد من يصله بالواثق فغادر العراق جميعاً . ولكنه حثّ الهاشميين على الثورة عليه إثر مقتل أحمد بن نصر الخزاعي سنة ٢٣١هـ . ومات الواثق في السنة التالية . وتعقب المتوكل بعده الشيعة ، وهدم قبول آل البيت في كربلاء والنجف سنة ٢٣٦هـ . فشتمه دعبل .

واتصل بعد ذلك بمالك بن طوق على الفرات فمدحه ، ثم ما لبث أن هجاه وآله هجاء سار في الآفاق ، فتعقبه ، ففر من وجهه إلى البصرة ، فقبض

عليه واليها إسحاق بن العباس وكان بلغه هجاء دعبل النزارية في قصيدته القحطانية ، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه ، فجحد دعبل القصيدة ، وحلف عليها بالطلاق ثلاثاً وبكل يمين تبرئ من الدين أنه لم يقلها وأنّ عدواً له قالها ونسبها إليه ليغري بدمه ، وبكى وقبّل الأرض بين يديه ، فكفّ عن قتله ولكنه شهر به ، ودعا بالعصا فضربه حتى سلح ، وأمر به فألقي على قفاه ، وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف ألا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله ، فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله .

بعدئذ هرب إلى الأهواز وكان مالك بن طوق أرسل إليه رجلاً يتعقبه ، فظفر به في قرية الطِّيب من نواحي السوس ، فضرب ظهر قدمه بعكاز له زج مسموم ، فمات من غده ؛ ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس ، فدفن بها سنة ٢٤٦هـ .

* * *

بدأ دعبل حياته الشعرية تلميذاً عند مسلم بن الوليد صاحب مدرسة البديع ، لكنه انتهى إلى التحرر من ربقته الفنية عندما وصل الشاعر إلى نفسه التي تدفقت فيها المرارة والغضب ، فبدا شعره حزيناً يائساً أو حاداً قاطعاً ، ولذا فقد امتاز بالسهولة والبعد عن الغرابة والتعقيد والالتواء ، لأنه كان يتدفق على سجيته ، ولذلك فقد لفت شعره نظر المغنين فأقبلوا عليه ، لأنه اقترب من الذوق العام للعصر .

ولئن كان لدى دعبل إغراب قليل فمرده إلى تأثره بالشعر القديم وطغيان صوره على خياله وحسه ، ومرده كذلك إلى الموضوع ، كأن يلجأ في الفخر بقومه ومعاركهم ، فيغريه ذلك بالإغراب والوعورة والحزونة . ويغرب أيضاً عند نقض قصائد خصومه فيعارض أصحابها في إغرابهم . وكان في بعض شعره رنين يملأ السمع ، كأنه قرع نواقيس كبيرة . وهذا خاصة في قصائد فخره ، وكان ينشد الشعر إنشاداً حسناً ، قال فيه أبو نواس : « أحسنت ملء فيك وأسماعنا » .

وتأثر دعبل بشعر الكميت بن زيد في قصائده التي قالها في آل البيت ، وترسم طريقه في معانيه الكبيرة ، إلا أنه خالفه في أساليب الحجاج والمنطق . ومثلما نظم الكميت مذهبته النزارية نظم دعبل ملحمته القحطانية ، يرد عليه بها ، ودرس من أجلها الأنساب والأخبار والمثالب والمناقب ، وقد صنع صنيع الكميت في احترامه للصحابة جميعاً ولم يتعرض لهم .

وملك دعبل زمام الهجاء عندما استطاع أن يبين المفارقات الدقيقة في أمور الناس وأن يعللها تعليلاً ساخراً ، وأخذ يجسم هذه المفارقات ويقيم علاقات غريبة بين الأشياء المختلفة والمتباعدة أحياناً ، فأعاد بذلك تصور الحياة على نحو مخالف لكل عرف ، وقد أضحك الناس من مهجويه حتى أماتهم كمداً . ولما كثر هجاؤه تحاشاه الناس وخشيه رجال العصر ، وكثر السخط عليه ، ودعي « أهجى أهل الزمان » ؛ لأنّ قصائده سارت في الآفاق وحاكاها الشعراء . وقد لجأ في الهجاء إلى البحور القصيرة لتشيع في الناس لخفتها ، وكثر ذلك في شعره كثرة لفتت نظر بعض الباحثين ، فظنوا أن شعره لا يخرج عن المقطعات الخفيفة .

والناظر في ديوان دعبل يرى ثلاثة أصناف من الشعر ؛ مديح آل البيت وهذا ما خصص له القصائد الطويلة ، وأشهرها القصيدة التائية التي أشرنا إليها ، وهجاء الناس كافة ، وقد أسفَّ فيه أحياناً إسفافاً ، ليس بعده إسفاف ، وأخيراً مقطعاته في الحكمة والوصف وتجربة الحياة . ويجدر أن نسوق طرفاً منها غير ما ذكرنا آنفاً لتكتمل صورته لدينا :

قال في العلم[١] :

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا ... والجهل يقعد بالفتى المنسوبِ
وإذا الفتى نال العلوم بفهمه ... وأعين بالتشذيب والتهذيبِ
جرت الأمور له فبرز سابقاً ... في كل محضر مشهد ومغيبِ

---

(١) شعر دعبل ، ٦١ .

وقال في الشيب[1] :

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه ... سمة العفيف وحلية المتحرّج

وكأن شيبي نظم در زاهر ... في تاج ذي مُلك أغر متوج

لا شيء أحسن من مشيب وافد ... بالحلم مخترم الشباب الأهوج

ضيف أحل بي النهى فقريته ... رفض الغواية واقتصاد المنهج

وقال في الزهد[2] :

الجهل بعد الأربعين قبيح ... فزعِ الفؤاد وإن ثناه جموح

وبع السفاهة بالوقار وبالنهى ... ثمن لعمرك ـ إن فعلت ـ ربيح

فلقد حدا بك حاديان إلى البلى ... ودعاك داعٍ للرحيل فصيح

وقال في تجربته مع الناس[3] :

ما أكثر الناس ! لا بل ما أقلهمُ ... الله يعلم أني لم أقل فَنَدا

إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقال فيهم أيضاً[4] :

قد بلوت الناس طرا ... لم أجد في الناس حرا

صار أحلى الناس في العيـ ... ـن ـ إذا ما ذيق ـ مُرّا

ولدعبل غير كتاب الوصايا كتابان آخران أولهما « طبقات الشعراء » . استفاد منه النقاد الذين جاؤوا بعده كالمبرد في الكامل وابن المعتز في طبقات الشعراء والمرزباني في معجم الشعراء والآمدي في الموازنة وفي المؤتلف والمختلف والخطيب البغدادي في تاريخه والمقدسي في الظرائف واللطائف

---

(١) المرجع السابق ، ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ١٢١ .

(٤) المرجع السابق ، ١٣٩ .

وابن رشيق في العمدة ، وكان أكثرهم فائدة ابن الجراح في الورقة . وقد ضاع الكتاب ، ولم يبق منه إلا ما نقله هؤلاء ، وقد استطاع دعبل تأليف هذا الكتاب بعد أن أكب على الرواية ودراسة الشعر ، فعرف أخبار الشعراء القدامى والمحدثين.

والكتاب الثاني هو « الواحدة » ، ولم يرد ذكره إلا بعد القرن الرابع ، وهو في المثالب ، وربما استفاد فيه من معرفته الواسعة بالأنساب للطعن والهجاء والتمزيق ، كما أفاد على ما يظن مما كتب الشعوبيون في مثالب العرب . ويرجح أن يكون الكتاب في مناقب قحطان ومثالب عدنان ، ولعله ذكر مثلبة للعدنانية في مقابل منقبة للقحطانية ، ومن هنا يمكن أن تكون تسميته بالواحدة .

أما كتابنا هذا « وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان » فاسمه يدل عليه ، جمع فيه ما نقل عن هؤلاء من وصاياهم لبنيهم في شؤون الملك والحفاظ عليه ، بادئاً بموعظة هود عليه السلام لقومه ووصيته لهم منتهياً بوصايا أواخر ملوكهم من الغساسنة في بلاد الشام . ولم تقتصر الوصايا على النثر ، بل استفاض الشعر في الكتاب حتى كاد يكون ديواناً في الوصايا . وقد اشتمل هذا الشعر على غريب كثير شأن الشعر الجاهلي . كما اشتمل الكتاب على بعض قصص وحوادث ، نسبها إلى ملوك اليمن ، جاءت في ثنايا الكتاب استطراداً لتجلية جوانب من تاريخهم الذي ظهر في الكتاب متألقاً عظيماً . وترد في أثناء ذلك قصائد في الفخر على لسان هؤلاء الملوك وأبنائهم وشعرائهم . هذا والمؤلف يسوق مادة الكتاب على شكل أخبار يبدأ كل خبر بقوله : حدثني . . أو قال . .

وقد شك الدكتور عبد الكريم الأشتر في نسبة الكتاب إلى دعبل مستدلاً على ذلك بأن « الذين ذكروا دعبلاً في القديم والحديث ـ وفيهم ابن النديم ـ لم يذكروا له كتاباً غير هذين الكتابين « الطبقات » و« الواحدة » ويرى أن ناسخ

الكتاب ضللته كلمة « الخزاعي » فظن دعبلاً صاحبُها في حين يقصد بها أبو سعيد الخزاعي الذي يتردد اسمه في الأخبار[1] .

وقال كذلك[2] : إن بعضاً من مادة الكتاب مبثوثة في عدد من كتب أخبار اليمن وأنسابها وتاريخها ككتاب « تاريخ العرب قبل الإسلام » المنسوب للأصمعي[3] وكتاب « وصايا الملوك العرب في الجاهلية » المنسوب إلى يحيى الوشاء[4] وكتاب « خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة »[5] وهو شرح لقصيدة نشوان بن سعيد الحميري ، وكتاب « أخبار عبيد بن شرية » (ـ حوالي ٦٧هـ) وكتاب « التيجان »[6] الذي روي عن وهب بن منبه (ـ ١١٤هـ) وكتاب « الإكليل »[7] للهمداني (ـ ٣٣٤هـ) .

على أننا مع هذا لا نستطيع أن ندفع نسبة الكتاب تماماً إلى دعبل ؛ فعدم ذكر الكتاب من قبل ابن النديم وغيره لا يقطع بأنه ليس له ، لأنّ الكتاب لم ينسب كذلك لغيره ، ولم يرد ذكره البتة ، وهو موجود فلمن يكون إذن ؟ لأبي سعيد الخزاعي ؟ ومن أبو سعيد هذا ؟ وكيف يضل الناسخ بين أبي سعيد وبين دعبل والكتاب مسوق على شكل أخبار يبدأ كل خبر بقوله : « حدثني علي بن محمد عن جده الدعبل بن علي » أو قوله : « قال علي بن محمد ، قال

---

(١) انظر دعبل بن علي الخزاعي ، ٢٨٢ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) طبع في بغداد سنة ١٩٥٩ .
(٤) طبع في بغداد سنة ١٣٣٢هـ .
(٥) طبع في القاهرة سنة ١٣٧٨هـ .
(٦) نشره مركز الدراسات والأبحاث اليمنية مع كتاب أخبار عبيد بن شرية سنة ١٩٧٩ .
(٧) وهو في عشرة أسفار طبع الجزء الأول منه في القاهرة ١٩٦٣ ، ١٩٦٨ ، وبغداد ١٩٧٧ كل ذلك بتحقيق محمد بن علي الأكوع ، والجزء الثاني في القاهرة ١٣٨٦ بتحقيق محمد بن علي الأكوع أيضاً ، والجزء الثامن في بغداد ١٩٣١ بتحقيق انستاس ماري الكرملي ، والجزء العاشر في القاهرة بتحقيق محب الدين الخطيب .

الدعبل بن علي . . . » وهما عبارتان تتكرران عشرات المرات في ثنايا الكتاب ، بل أكثر ، ولم يرد ذكر لأبي سعيد البتة .

ويؤرق الدكتور الأشتر ورود اسم دعبل في كتاب الوصايا موصولاً بالألف واللام ، « ولم يرد اسمه معرفاً في غير هذا الكتاب »[1] فهل يكون ذلك حجة لدفع نسبته إليه ؟

وإذا كانت مادة كتاب الوصايا مبثوثة في الكتب التي ذكرها الدكتور الأشتر فهذا شيء طبيعي ، فكم من خبر تعاورته المصنفات وتداولت روايته ؛ وكما روى أصحاب هذه الأسفار فإنه يحق لدعبل أن يروى مثلهم وأن يأخذ عمن أخذوا . على أنّ في كتابه أخباراً ليست في تلك ، وقد ورد فيها وصايا لملوكهم غابت عنه ، وهي كتب غير متطابقة وإن كانت متشابهة في بعض جوانبها ، والمتصفح للتيجان والأخبار ولأخبار عبيد والإكليل لا يجد فيها إلا نتفاً مما عند دعبل .

ومما يقوي نسبة الكتاب إلى دعبل بن علي الخزاعي أنّ نسبه في قحطان ، وهو يعتز كثيراً بهذا النسب ، ودليل ذلك قصيدته القحطانية التي ردّ فيها على مذهبة الكميت النزارية ، وبلغت ٦٠٠ بيت ، وكذلك أبياته التي يفخر فيها باليمن . ثم إن دعبلاً كان راوية أخبار وأشعار ، وحفظ الأنساب ، وكتابه سفر أخبار وأنساب ، فأحر به ـ وله تآليف في الشعر والشعراء وفي المثالب ـ أن يصنف مثل هذا الكتاب الذي يفخر بحكمة اليمن ويعظم تاريخها .

وأخيراً ، فإنّ مما يقويه أيضاً أن راوية الكتاب يذكر أبياتاً لدعبل في سياق أخبار أسعد الكامل وفتوحه لسمرقند ومرو والصين والمغرب ، يفخر فيها بما صنع ، وهي التي أوردها الدكتور الأشتر في شعره الذي جمعه له .

---

(١) دعبل بن علي ، ٢٨٢ .

مصادر ترجمة دعبل

المؤلف	الكتاب	النشر
ابن تغري بردي	النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣	مصر : وزارة الثقافة
ابن حجر العسقلاني	لسان الميزان ٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢	حيدر آباد الدكن ١٣٣٦
ابن خلكان	وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٦ ، ٢٧٠	مصر : بولاق ١٣١٠
ابن قتيبة	الشعر والشعراء ، ٥٢٩	مصر : ١٣٦٤
ابن كثير	البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٨	مصر : دار السعادة ١٣٥١ ـ ١٣٥٨
ابن المعتز	طبقات الشعراء ٢٦٤ ـ ٢٦٨ ، تحقيق عبد الستار فراج	مصر : دار المعارف
ابن النديم	الفهرست ١/ ١٦١	ليبسك ١٨٧١
الاسترابادي، محمد علي	منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال ١٣٧	طهران ١٣٠٤ ط حجرية
الأشتر ، عبد الكريم	دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت دراسة تحليلية لحياته وشعره	دمشق : دار الفكر ١٣٨٣/ ١٩٦٤
الأشتر ، عبد الكريم	شعر دعبل بن علي الخزاعي	دمشق : مجمع اللغة العربية ١٤٠٣/ ١٩٨٣ ط٢
الأصفهاني ، أبو الفرج	الأغاني ١٨/ ٢٩	القاهرة : دار الكتب
بدران ، عبد القادر	تهذيب ابن عساكر ٥/ ٢٢٧	دمشق : ١٣٢٩
بروكلمان : كارل	تاريخ الأدب العربي ، الذيل ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢	ألمانيا
حاجي خليفة	كشف الظنون ٧٨٩	استانبول ١٣٦٠/ ١٩٤١
الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢	
الخوانساري	روضات الجنات ٣٧٧ ـ ٣٨١	طهران : ١٣٤٧ ط حجرية
الذهبي	ـ سير أعلام النبلاء ١١/ ٥١٩ تحقيق شعيب الأرناؤوط	بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢/ ١٩٨٢
الذهبي	ـ العبر ١/ ٤٤٧ تحقيق صلاح الدين المنجد	الكويت : التراث العربي ١٩٦٠
الذهبي	ـ ميزان الاعتدال ١/ ٣٢٨	مصر : ١٣٢٥
طاش كبري زاده	مفتاح السعادة ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣	حيدر آباد الدكن : ١٣٢٩
العاملي	أعيان الشيعة ٣/ ٣٦٨	دمشق : ١٣٥٣ وما بعد

العباسي ، عبد الرحيم	معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٨	مصر : ١٣٦٧
كحالة ، عمر رضا	معجم المؤلفين ٤/ ١٤٥	بيروت : دار إحياء التراث العربي
المالقاني	تنقيح المقال ١/ ٤١٧ ـ ٤١٩	تراثنا ، ١٤٠٦
المرزباني	الموشح ٩٩	مصر : ١٣٤٣
النجاشي	كتاب الرجال ١١٦ ، ١١٧	بومباي ١٣١٧
ياقوت الحموي	معجم الأدباء ١١/ ٩٩ ـ ١١٣	

مخطوطة الكتاب وعملي فيه

لم أجد نسخة أخرى للكتاب غير التي أشرت إليها ، وهي تتألف من ٣٧ لوحة [ق١/ أ ـ ٣٧/ ب] كتبها ناسخها أغفل اسمه سنة ٥٤٧ أو ٥٤٩هـ بخط معتاد . وقد اعترضتني بها صعوبات بسبب تصحيف الناسخ أو رداءة الرسم الأمر الذي زاد الكلمات الغريبة غرابة ، وبخاصة حين كان الناسخ يهمل النقط أو يرسم بعض أسماء الأعلام رسماً عن غير وعي أو يسقط كلمة تخل بالوزن ، مما يدل أنه لم يكن على علم ودراية .

وقد تغلبت على كثير من الصعوبات بتوثيق نصوص الأخبار من بعض الكتب التي أشرت إليها آنفاً ، ومن دواوين الشعراء المعروفين الذين ذكرهم المؤلف بأسمائهم ، ومن كتب الأخبار والتاريخ والمعاجم ، حتى سلس قياد الكتاب . . وبقيت فيه مواطن مبهمة فيها مشكلات ، لم أجد لها مرجعاً وهي قليلة .

لم أشأ أن أثقل النص بالحواشي ، بل اقتصرت فيها على التعليق الضروري ؛ شرحت غالب الكلمات الغريبة ، وأشرت إلى فروق الروايات بمقارنتها بمثيلاتها في الكتب التي أوردتها إن وجدت ، وبينت مواضع الأمكنة التي جاءت في النص ووثقتها ، وترجمت لبعض الأعلام غير المشهورين أو ذكرت مواضع ترجماتهم على قلّة . ومن أجل إخراج النصّ على نحو سليم ضبطت الأشعار وعينت بحورها .

على أن لهذا الكتاب أهمية لا تخفى ؛ فهو كتاب أدب ، يحتوي شعراً ونثراً على درجة من الفصاحة ، وهو كتاب موعظة وتهذيب بما يضم من كلام الملوك ، ويصور الحياة الجاهلية في كثير من جوانبها الأخلاقية بما فيها الكرم والعفة والشجاعة وحفظ الجوار والبر بالقريب ، وغير ذلك مما جاء الإسلام لتتميمه .

وهو كذلك كتاب تاريخ يصور حياة الملوك اليمنيين وعاداتهم وتقاليدهم ، ويتحدث عن فتوحاتهم وحكمهم وتوارثهم للملك وتسلسل هذا الملك وانقضائه وزواله .

وهو أيضاً كتاب أنساب جمع من سلاسل نسب اليمن ما يفيد في معرفتنا بهم وصلة بعضهم ببعض ويطلعنا على قراباتهم .

وبعد .

فهذا هو جهد المقل ، أسأل الله تعالى أن يتقبله وأن ينزله في القلوب منزلة الاستحسان .

والحمد لله رب العالمين

كتاب فيه وصايا الملوك وأبناء الملوك
من ولد قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم

صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده وصلواته على محمد النبي وآله وسلم
حدثنا علي بن محمد الدعبل عن علي عمه هذه الكتب المذكورة في هذا الكتاب عن جده
الدعبل بن علي الخزاعي أنه قال ووجدت علم الأوائل وأنساب العرب عن
جماعة ممن أدركت من أهل العلم والمعرفة [illegible] عنهم
وآباء الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود النبي صلى الله عليه
وسلم بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم بن لمك
بن المتوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم بن برد بن
مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث النبي صلى الله عليه وسلم بن آدم [illegible]
والطهر صلى الله عليه وسلم قال علي بن محمد الدعبل عن علي [illegible] متوافق
جميع من أدركت من أهل العلم والمعرفة على أن أول من نطق بالعربية
من ولد نوح صلى الله عليه وسلم واصطفاه وانتجبه واستنه على وجه
[illegible] هود النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو العرب العاربة
وهو الذي يقول فيه علقمة ذو جدن
أبونا نبي الله هود بن شالخ [illegible] هود النبي المطهر
لنا الملك في شرق البلاد وغربها [illegible] على كل مفخر
ومن مثل قحطان الغواضب والقنا ومن مثل أملاك البرية حمير
وحدثنا علي بن محمد [illegible] عن جده الدعبل بن علي الخزاعي
قال [illegible] الدعبل على أن هود النبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] بنيه فقال لهم يا بني أوصيكم بتقوى الله وطاعته والإقرار
بالوحدانية له [illegible] فإنها [illegible]
[illegible] فاتقوا الله الذي إليه تحشرون
ولا [illegible] الشيطان إنه لكم عدو مبين [illegible] على قومه
عاد [illegible] عنه
[illegible] عادا [illegible] هودا [illegible] اعبدوا الله [illegible]
[illegible] هود [illegible]
[illegible] عن قولك وما نحن لك بمؤمنين [illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

وَصَايَا المُلُوك

وَأبنَاءِ المُلوكِ مِنْ وَلَدِ قحطَانَ بنِ هُود

[١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده . وصلواته على محمد النبي وآله وسلم .

حدثنا علي بن محمد [بن] الدعبل بن علي[(١)] بجميع هذا الحديث المذكور في هذا الكتاب ، عن جده الدعبل بن علي الخزاعي ، أنّه قال : رويت علم الأوائل وأنساب العرب عن جماعة ممن أدركت من أهل العلم والمعرفة بذلك ، وحفظت عنهم وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود[(٢)] النبي ﷺ بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح النبي ﷺ ابن لمك بن المتوشلح بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي ﷺ بن يرد[(٣)] بن مملايل[(٤)] بن قينان بن أنوش بن شيث النبي ﷺ ابن آدم الماء والطين ﷺ .

قال علي بن محمد ، قال الدعبل بن علي : فتوافق جميع من أدركت من أهل العلم والمعرفة على أنّ أول من بعثه الله تعالى من بعد نوح ﷺ واصطفاه وانتخبه وأمنه على وحيه ورسالته هود النبي ﷺ ، وهو أب العرب العاربة ، وهو الذي يقول فيه علقمة ذو جدن[(٥)] : [الطويل]

---

(١) انظر ترجمة الدعبل في المقدمة .

(٢) أكثر النسابين يجعلونه قحطان بن عابر ثم يتفقون على بقية النسب انظر نسب معد ١/ ٦٠ ، الروض الأنف ١/ ١٣ ، السبائك ١٤ ، ابن خلدون ٢/ ٤٦ ، طرفة الأصحاب ١٨ ، جمهرة الأنساب ٣١٠ ، معجم قبائل العرب ٩٤٠ ، العرب قبل الإسلام ١/ ٢٦٧ ـ ٢٧٠ . التيجان ٣١ ـ ٤٧ . وفي أخبار عبيد بن شريه أن عابراً هو هود النبي عليه السلام ص٣٢٩ .

(٣) في التيجان ص٢٨ : يارد .

(٤) في التيجان ص٢٨ : مهليل .

(٥) خلاصة السيرة الجامعة ، ٢ ، وفيها قال في الحاشية : اختلف في علقمة هذا فقيل هو علقمة بن أسلم بن مرثد بن زيد أغلس بن علقمة الشاعر ، ويقال له علقمة بن ذي =

أبـونَـا نبـيُّ الله هـودُ بـن شـالـخٍ فنحـنُ بنـو هـودِ النَّبـي المُطَهَّـرِ
لنا المُلْكُ في شرقِ البلادِ وغربِهَا ومفخـرُنَـا يسمُـوْ علـى كـلِّ مفخَـرِ
فَمنْ مثلُ كهلانِ القواضبِ والقَنَا ومَـنْ مثـلُ أمـلاكِ البـريـةِ حِمْيَـرِ

وحدثنا علي بن محمد ، وأسند الحديث عن جدّه الدعبل بن علي الخزاعي مجال الاختصار ، وذكر الدعبل بن علي أنّ هود النبي ﷺ قد وصى بنيه ، فقال لهم[1] : يا بني أوصيكم بتقوى الله وطاعته والإقرار بالوحدانية له ، وأحذركم الدنيا ، فإنها غرارة خداعة غير باقية عليكم ولا أنتم باقون عليها ، فاتقوا الله الذي إليه تحشرون ، ولا يفتننكم الشيطان ، إنه لكم عدو مبين .

قال : ثم أقبل على قومه عاد ، يوصيهم بما وصى به بنيه ، ويعظهم بما حكى الله عز وجلّ عنه ، فقال : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله﴾ إلى قوله: ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾. قال : فكان من ردهم عليه ﴿ يا هود ما جئتنا ببينه وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾[2] .

= جدن ، وهو علقمة المطموس ويدعى علقمة ذو جدن النواحة أيضاً ، لأن شعره كله مراثي حمير وقصورها (الإكليل) قال الهمداني : وكان أبو نصر يرى أن علقمة بن أسلم هو ، علقمة الأوسط ، ويرى أن علقمة الشاعر من ولد علقمة بن أسلم وأنه نسب إليه ، كما قيل حذيفة بن اليمان ، واليمان جده الأعلى ولم يكن يرى أن أسلم علقمة الشاعر ذو جدن ، وقمن أن يكون كما قال ، لأن علقمة الشاعر كان مخضرماً ، وعلقمة بن أسلم قديم .

(١) الخلاصة ، ٣ .

(٢) سورة هود ١١/ ٥٠ ـ ٥٣ . وتمام الآيات : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون * يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذين فطرني أفلا تعقلون * ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين * قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾ .

﴿ وقالوا من أشدّ [٢/أ] منّا قوة ﴾ إلى قوله : ﴿ ولعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون ﴾[١] .

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن قحطان بن هود النبي ﷺ أنشد شعراً يسلّي به بعض ما كان فيه هود النبي ﷺ من الكآبة والجزع والقلق والارتماض[٢] والحرب على قومه عاد فقال : [البسيط]

إنّي رأيتُ أبي هُوداً يُؤرِّقُهُ ... هَمٌّ[٣] دخيلٌ وبَلْبَالٌ وتسهادُ
لا يُحْزِنَنَّك أنْ خُصَّتْ بداهيةٍ ... عادُ بن لاوى[٤] ، فعادٌ بئسَ ما عادُ
عادٌ عصَوْا ربَّهم واستكبرُوا وعَتَوْا ... عمَّا نُهوا عَنْهُ لا سَادُوا ولا قادُوا
بُعداً لعادٍ فما أوهى حُلُومَهُمُ ... في كلِ ما ابتدعُوا[٥] أو كلِّ ما اعْتَادُوا
قامُوا يُعيدونَ عنهمْ من سَفَاهتهمْ ... ركابها ، أُهْلِكوا أيّام ما حادوا[٦]
ألا يظُنُّون أنَّ اللهَ غالبُهُمْ ... وأنَّ كُلَّاً لأمرِ اللهِ يَنْقَادُ
يا ليتَ شعريْ ولَيْتَ الطَّيْرَ تُخبرُني ... أسالمٌ ليَ لقمانٌ وشَدَّادُ !

ويقال : إن لقماناً كان على دين النبي هود . وهو صاحب النسور السبعة . وخبره وخبر شداد يطول الشرح فيه[٧] .

---

(١) سورة فصلت ٤١/ ١٥ ـ ١٦ وتمام الآيتين : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أنَّ الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرونَ ﴾ .

(٢) الارتماض : الشدة ، ارتمض فلان من كذا : اشتد عليه وأقلقه (القاموس : ر م ض) .

(٣) في الخلاصة : حزن .

(٤) في الخلاصة : عاد بن عوص .

(٥) في الخلاصة : في كل ما ابتدأوا .

(٦) في الخلاصة :
قاموا يردون عنهم من سفاهتهم ... ريحاً بها أهلكوا أيّان ما بادوا

(٧) انظر خبر لقمان ونسوره في كتاب أخبار عبيد بن شريه ٣٧٠ ـ ٣٧٧ .

وحدثنا علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أن قحطان بن هود النبي ﷺ وصّى بنيه ، فقال لهم[1] : يا بني إنكم لم تجهلوا ما نزلَ بعاد دون غيرهم حين عتوا على ربهم وأعدوا آلهة يعبدونها من دونه وعصوا أمز ربهم ، وأمرَ نبيهم هود وهو أبوكم الذي علمكم الهدى وعرفكم سواء السبيل . وما بكم من نعمة فمن الله عز وجل . وأوصيكم بذي الرحم خيراً . وإياكم والحسد فإنه داعية القطيعة فيما بينكم . وأخوكم يعرب[2] أميني عليكم وخليفتي بينكم ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، واحفظوا وصيتي ، واثبتوا عليها ، واعملوا بها ترشدوا .

ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أَبَا يَشْجُبٍ أنْتَ المرجّى وأنْتَ لي ... أمينٌ على سِرِّيْ وجَهْرِيَ حَافِظُ
عليكَ بدينٍ ليسَ يُنكرُ فضلُهُ ... فقدْ سبقَتْ فيهِ إليكَ المواعِظُ
وواصِلْ ذوي القُربىٰ وحطْهُمْ فإنَّهمْ ... ملاذُكَ إن حامَتْ عليكَ البواهظُ[3]
ولفظُكَ عَرِّبْهُ بأحسنِ مَنْطِقٍ ... فإنَّكَ مرهونٌ بما أَنْتَ لافِظُ
وكُنْ كاتِماً للغَيْظِ في كُلِّ بَدْوَةٍ ... إذا أُسْخِطَتْ تلكَ العيونُ الجواحظُ
[٢/ ب] بَغِيضٌ على الأعداء سِرّاً وجَهْرَةً ... بحِلْمِكَ ها تلك النفوس الغوائظُ[4]
ومَا سادَ مَنْ قَدْ شَادَ إلاّ بِحِلْمِهِ ... إذا لَمْ يُلاحِظْهُ من البخلِ لاحِظُ
فكن ذا حِجىً محضَ الشَّمائِلِ ماجداً ... حفِيًّا حميّاً إنَّني لكَ واعِظُ[5]

---

(١) الخلاصة ، ٦ ـ ٧ .

(٢) انظر لترجمته ابن خلدون ٢/ ٤٧ ، إنسان العيون ١/ ٣ ، التيجان ٣١ ـ ٤٧ ، السبائك ١٤ ، أبو الفداء ١/ ٦٦ ، التنبيه والإشراف ٧٠ ، التاج ١/ ٣٧٦ ، الأخبار الطوال ٩ ـ ١١ .

(٣) بهظه الأمر : غلبه وثقل عليه وبلغ به مشقة (القاموس : ب هـ ظ) .

(٤) في الخلاصة :
تغيظ به الأعداء سراً وجهرة ... بحلمك هاتيك النفوس الغوائظ

(٥) في الخلاصة :
وكن راكباً محض الشمائل ماجذاً ... تقياً نقياً إنني لك واعظ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن يعرب[1] بن قحطان حفظ وصية أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها . ويقال : إنه أول من تبحبح[2] بالعربية الواسعة ، ونطق بأفصحها ، وأوجزها ، وأبلغها . والعربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه . وهو الذي ذكره حسانُ بن ثابت الأنصاري في شعره الذي يقول فيه[3] : [من الطويل]

تعلمتمُ من منطق الشيخ يعرب ... أبينا فصرتم معربين ذوي نفر

وكنتم قديماً ما لكم غير عجمة ... كلام وكنتم كالبهائم في القفر

تقولون مانَوْنخ ودَوْنخ[4] وأنتم ... إذا ما التقينا كالرصاص على الجمر

منازلكم كوثى[5] ومنها درجتمُ ... إلينا كأفراخ درجن من الوكر

فنحن وأنتم كالذي قال لم أزل ... أعلمه رمياً ليمنع لي ظهري

فلما نشا واشتد ساعده رمى ... فلم يُخطِ ظهري إذ رمى لا ولا نحري

وفي ذلك يقولُ علقمة ذو جدن : [من الطويل]

ومِنّا الذيْ لم يُعربِ النّاسُ مثله ... وأعربَ في نجدٍ هناكَ وغَارَا

وحدثنا علي بن محمد عن جدّه الدعبل بن علي ، أنّ يعرب بن قحطان وصّى بنيه مما وصاه به أبوه ، فقال لهم[6] : يا بني احفظوا مني خصالاً عشراً تكون [كذا] لكم ذكراً وذخراً . يا بني تعلموا العلم واعملوا به . واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليه ، فإنّه داعية القطيعة فيما بينكم .

---

(١) مرّت الإشارة إلى موضع ترجمته في الحواشي آنفاً .
(٢) تبحبح : تمكّن واتسع . انظر القاموس : ب ح ح .
(٣) لم أجد الأبيات فيما بين يدي من طبعات ديوان حسان .
(٤) لعله يقصد أنّ لغتهم كانت كهذه الكلمات غير مفهومة .
(٥) كوثى : بلدة بالعراق ومحلة بمكة لبني عبد الدار (القاموس : ك و ث) .
(٦) الخلاصة ، ٨ ـ ٩ .

وتجنبوا الشر وأهله ، فإنَّ الشر لا يجلب عليكم خيراً . وأنصفوا الناس من أنفسكم لينصفوكم من أنفسهم . وإياكم والكِبْر ؛ فإنّه يبعد قلوب الرجال عنكم . وعليكم بالتواضع ، فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم . واصفحوا عن المسيء إليكم ، فإن الصفح عن المسيء يجنبكم العداء ويزيد مع السؤدد سؤدداً ومع الفضل فضلاً . وآثروا الجار الدَّخيل على أنفسكم ، فإن جماله جمالكم . ولأَن يسوء حال أحدكم خير له من أن يسوء حال جاره ، لأنّ تفقد الناس للمقتدي أكثر من تفقدهم للمقتدى به . وانصروا مواليكم ، فإن مواليكم في السلم والحرب منكم ولكم . وابن مولاكم من أنفسكم ، وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائركم . وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه بمثل ما تشيرون به على أنفسكم في مثل ما أستشاركم فيه ، فإنها أمانة [٣/ أ] ألقاها في أعناقكم ، والأمانة ما قد علمتم . وتمسكوا باصطناع الرجال أجدر أن تسودوا به عليهم ، وأحرى أن يزيدكم ذلك شرفاً وفخراً إلى آخر الدهر . ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

بَنِـيَّ أبـوكـمُ لـم يعـدُ عمَّـا ... بـهِ وصَّـاهُ قحطـانُ بـنُ هـودِ[١]
فـوصَّـاكـمْ بمـا وصَّـى أبـاكـمْ ... أبُـوه عـن الإلـه عـن الجـدودِ[٢]
أذيعـوا العِلْـمَ ثُـمَّ تعلمُـوْه ... فمـا ذو العِلْـم كـالطِفْـل[٣] البليـدِ
ولا تُصْغُـوْا إلـى حَسَـدٍ فَتَغْـوُوا ... غـوايـةَ كـلِّ مختَـلٍّ حسـودِ[٤]
وذُوْدُوْا الشَّـرَّ عنكُـمْ مـا استطعتـمْ ... فليـسَ الشَّـرُّ مـن خُلُـقِ الـرَّشيـدِ

---

(١) في الخلاصة :
نعـرفكـم : بمـا وصـى أبـوكـم ... بمـا وصـاه قحطـان بـن هـود
(٢) في الخلاصة :
فـوصـاكـم بمـا وصـى أبـاه ... أبـوه عـن أبيـه عـن الجـدود
(٣) في الخلاصة : كالكَلِّ .
(٤) في الخلاصة :
ولا تصغـوا إلـى جهـل فتغـووا ... غـوايـة كـل مُحتمـل حسـود

وكــونُــوا منصفيــنَ لكــلِّ دانٍ   لينصفكُــمْ مــع القــاصِــيْ البعيــدِ
وبــابُ الكِبـرْ عنكـمْ فـاتـركُـوهُ   فـإنَّ الكِبْـرَ مـن شِيَـمِ العَنيـدِ[1]
عليكـمْ بـالتَّـواضُـعِ ، لا تـزيـدوا   علـى فضـلِ التَّـواضُـعِ مـن مَـزِيـدِ
وإنَّ الصَّفْـحَ أفضـلُ مـا ابتغيتـمْ   بـهِ شَـرَفـاً مـع المُلْـكِ العتيـدِ
وحــقُّ الجــارِ لا تَنْسَــوْه فيكــمْ   فــإنَّ الجــارَ ذُو الحــقِّ الــوكيـدِ
عليكـمْ بـاصطِنـاعِ الخَيْـرِ حتَّـى   تنــالُــوا كُــلَّ مكــرُمَــةٍ وجُــودِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن يَشْجُب بن يعرب ثبت على وصية أبيه دون غيره من سائر إخوته وعشيرته ، فساد الجميع بثباته على هذه الوصية ، وحفظه إياها وعمله بها .

قال وسألت بعض النَّسابين عن إخوته بني يعرب ، فقال : العمالقة إخوته فئتان ؛ أما الفئة الأولى فمن ولد إرم بن سام بن نوح النبي ﷺ ، وأما الفئة الأخرى الذين كانوا سكان مكة وما حولها فمن ولد يعرب بن قحطان إخوتهم طسم وجديس والحي جرهم الأولى وعاد الصغرى [ ][2] . فكأنَّ يشجب سادها ولاء من إخوته ، وساد عشيرته التي منها آباؤه من ولد سام بن نوح النبي ﷺ .

وحدثنا علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أن يشجب بن يعرب بن قحطان وصّى بنيه ، فقال لهم[3] : بني إني لم أسُد إخوتي وعشيرتي إلا بحفظي وصية أبي يعرب بن قحطان وبعملي بها وثباتي عليها . وإن أبي يعرب بن قحطان لم يسد أخوته وعشيرته إلا بحفظه وصية أبيه قحطان بن هود النبي ﷺ وبعمله بها وثباته عليها ، وإن جدي قحطان بن هود النبي ﷺ لم يسد

---

(١) هذا البيت غير موجود في الخلاصة .
(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل بمقدار كلمة .
(٣) الخلاصة ، ١٠ .

قومه وإخوته إلا بحفظه [٣/ب] [وصية][1] أبيه هود النبي ﷺ وبعمله بها وثباته عليها . فابقوا على ما وجدتموني عليه ، وهو الذي أنهيتُه إليكم كلاماً وشعراً مما وصاني به أبي . وقد حفظتم الكل ، فاثبتوا عليه ، واعملوا به ، والله يخلُفني عليكم ، ثم الرشيدُ المهتدي منكم . وأنشأ يقول : [من البسيط]

أوصى النبيُ ابنَه قحطانَ جدِّي بما ... وصَّى بنيه أبي مِن بعدِ قحطانِ
علمٌ حواهُ أبي من دونِ إخوتِه ... وحُزتُه بعدَه من دونِ إخواني
وزادَني يعربٌ من بعدِهِ شِيَماً ... وصّى بنيْهِ بِها يَوماً ووصَّاني
حفظتُها حينَما غيري استهان بها ... وحِفظُها آخرَ الأيَّامِ من شَانِي
أعبدَ شمسٍ أبيتَ اللعنَ مِنْ خَلَفٍ ... هَلْ أنتَ بعدي لنا في مُلكنا ثانِ
هل أَنْتَ تحفظُ عَنِّي ما حفظتُ وما ... بِهِ ثبتْتُ لكم مُلكي وسُلطاني
بلى رأيتك هشاً[2] ماجداً فطناً ... وقد إخالُكَ ظنَّاً غيرَ إعْلانِ

قال علي بن محمد ، قال الدعبل بن علي : فيقال إن عبد شمس[3] بن يشجب حفظ وصية أبيه وثبت عليها وعمل بها ، فساد الجميع من إخوته وعشيرته وأهل بيته ، وكان ملك الجميع وعمادهم ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي ﷺ ، واسمه عبد شمس بن يشجب . ويقال : إنه أول من سبى السبايا وأسر الأعادي فلذلك سمي سبأ ، وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب ، وهو أبو حمير وكهلان . ويقال : إنه أغار على بابل بالخيل والرجال ، ففتحها ، وأخذ إتاوتها ،

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق .
(٢) في الخلاصة :
إني رأيتك هشاً ماجداً فطناً ... وقد إخالك طباً غير كسلان
ورجل هشُّ المكسَر : سهل الشأن فيما يطلب منه (القاموس : هـ ش ش) .
(٣) انظر لترجمته المسعودي ٣/ ١٤٤ ، ١٧٣ ، جمهرة الأنساب ٣١٠ ، ابن خلدون ٢ ، القسم الأول ٤٦ و٤٧ ، طرفة الأصحاب ١٨ ، نهاية الأرب ١٥/ ٢٩١ ، التيجان ٤٧ .

وضرب بالخيل في الأرض ، فكان لا يُذكر له بلد إلا قصدها بالخيل والرجال وفتحها . وهو أول من فتح البلاد ، وأخذ الإتاوة من أهلها .

وفيه يقول بعض أهل زمانه : [من الطويل]

لَقَدْ مَلَكَ الآفاقَ من حيثُ شرقُها ... إلى الغربِ منها عبدُ شمسِ بنِ يشجبِ
لهُ مُلْكُ قحطان بنِ هودٍ وِراثةً ... عن اسلاف صدق من جدود ومَرْأَبِ[1]
فما مِثلُ قحطان السَّماحةِ والنَّدَى ... ولا كـائِنـهِ رَبٌّ الفَصَـاحَـةِ يَعْـرُبِ
ومن كالمُصَفَّى عبدِ شمسِ بنِ يَشْجُبِ ... إذا عُـدَّ خيـرُ النَّـاس مـن خيـرِ مَنْصِـبِ
سَمَـا بـالجيـادِ الأَعْـوَجِيَّـةِ والقَنَـا ... إلـى بـابِـلٍ فـي مِقْنَـبٍ بَعْـدَ مِقْنَـبِ[2]
فـآب بـأبكـارٍ وحُـوْرٍ أوانِـسٍ ... مَعَ الخَرْجِ منها في الخَمِيْسِ العَصَبْصَبِ[3]
ورَعَّلَ فيها الخيلَ شَرْقاً ومَغْرِباً ... فَمَشْـرِقُهـا يُجبـىٰ لـهُ بعـدَ مَغْـرِبِ[4]

وحدثنا علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أن عبد شمس وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي صلىٰ الله [٤/ أ] عليه وسلم جمع[5] أهل مملكته ووجوه أهل بيته وعشيرته ، وأجلس ابنه حمير عن يمينه ، وأجلس ابنه كهلان عن شماله ، ثم قال لهم : أيها الناس ، هل يصلح ليميني أن تقطع شمالي ، أو يصلح لشمالي أن تقطع يميني ؟ فقالوا بأجمعهم : أيها الملك ، إنه لا يصلح شيء مما ذكرت . فقال لهم : إن أنتم إن همّت يميني

---

(١) المرأب : السيد الضخم (القاموس : رأب) .
(٢) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمئة (القاموس : ق ن ب) .
(٣) الخميس : الجيش لأنه خمس فرق ؛ المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة (القاموس : خ م س) . العصبصب : الشديد . وأصل ذلك يوم عصبصب أي شديد : (القاموس : ع ص ب) .
(٤) الرعلة القطعة من الخيل . والمسترعل : الخارج في الرعيل ، أو هو قائدها (القاموس : ر ع ل) .
(٥) الخلاصة ١٢ ـ ١٤ .

لقطع شمالي أو همّت شمالي لقطع يمين وأكون غافلاً عنهما لا أسُدُّ الشِّمال عن اليمين ولا أسُدُّ اليمين عن الشمال فما أنتم صانعون ؟ قالوا : نمنع اليمين عن الشِّمال ، ونمنع الشِّمال عن اليمين . فقال لهم : أعطوني العهود والمواثيق على وفائكم بما تكلمتم به وقلتم إنكم تفعلونه في يميني وشمالي . قال : فأعطوه العهود والمواثيق على ذلك .

ثم قال : أيها الناس إني لم أُرِد بيميني وشِمالي إلا حِمير وكَهلان ، وإني لن آمن أن يختلفا بعدي في الأمر ، ولم آخذ العهود والمواثيق عليكم إلا لتحولوا بين من يروم من هذين لصاحبه سوءاً أو خلافاً ، وأن لا يطلب أحدهما بعدي أكثر مما يقسم له في مجلسنا هذا .

ثم قال لهم : أيها الناس ، إنَّ حِمْير أكبر من كهلان ، وحقه أن يكون عن يميني ، وإنَّ كهلان أصغر من حِمْير ، وحقه أن يكون عن شمالي ، وإنَّ نصيب حِمْير من مُلكي مثل نصيب يميني من بدني ، وإنَّ نصيب كهلان من ملكي مثل نصيب شمالي من بدني ، فانظروا ـ معشرَ الناس ـ ما يصلح لليمين ، فادفعوه إلى اليمين ، وما يصلح للشِّمال ، فادفعوه إلى الشمال .

قال : فدفعوا إلى اليمين السيف والقلم والسَّوْط ، وحكموا لليمين بذلك . وقالوا : هذه ثلاثة أشياء تعمل بها اليمين ، ولا تعمل بها الشمال . ودفعوا إلى الشمال العِنَان والتُّرس والقوس . وقالوا : هذه ثلاثة أشياء تعمل بها الشِّمال دون اليمين ؛ أما القوس فإنه لا بُدَّ للشِّمال من معونة اليمين في القوس . قال : ثم حكموا بأنَّ صاحب السيف لا يصلح له إلا الثَّبات والوقوف في موضعه ، وحكموا أنَّ صاحب القلم لا يكون إلا مدبّراً فاتقاً راتقاً . وحكموا أنَّ صاحب السوط لا يكون إلا رابضاً سائساً . ثم حكموا أن الفتق والرَّتق[1] والثبات والوقوف والتدبير والرياضة والسياسة لا يكون إلا للملك

---

(١) قال الزمخشري : رتقنا فتقهم : إذا أصلحوا أحوالهم ونعشوهم ، أو رتق فلان فتق=

الأعظم الرَّاقد في دار المملكة ، وهو حِمْير . قال : ثم حكموا أن العنان يقود أعنة الخيل للذّب عن المُلك ومكابدة الأعداء حيث كانوا . وحكموا أنَّ [٤/ب] الترس يردّ به البأس ، ويدرأ به الحد وتُقهر به الحروب عند التلاقي ، وتتجشم به المعارك . وحكموا أنَّ القوس يُنال بها المناوئ والمناصي على البعد منها . ثم حكموا قيادة أعنة الخيل والمكابدة للأعداء حيث كانوا وردّ البأس ودفع الحدّ وقهر الحروب عند التلاقي ومناوأة الأعداء ومناصاتها لا يصلح إلا لصاحب الدّولة والذّاب عنها والرامي عن جمرتها والسادّ لخللها والقائم بحروبها وفتوحاتها وإصلاح الثغور وسدّها عنها ، وهو كهلان .

قال : فتقلد حمير الملك الراتب[1] في دار المملكة وسمي أيمن[2] ، لجلوسه عن يمين أبيه ، وتقلد كهلان الأطراف وأعمالها وثغورها ومناوأة العدو حيث كان . على أن لكهلان على حمير المعونة في ذلك مثل معونة اليمين للشِّمال بالرمي بالقوس ، وحكموا أنَّ معونة اليمين للشِّمال بالرمي بالقوس والنَّزع والنَّبْل ، وهما في غير القوس المال والنجدة ، وكان لحمير على كهلان الطاعة وكفاية ما تقلده كهلان .

ففي ذلك يقول هي بن بيّ بن جرهم : [من البسيط]

ما سادَ هذا الورَى أبناءُ قحطانِ ... إلا لفضلٍ لهمْ قِدْماً وإِحْسانِ

ما في الأنامِ لَهُم حيٌّ يشاكِلُهُمْ ... ولا لِواحِدِهِمْ في الأرضِ مِنْ ثانِ

لم يشهدوا[3] الناس في بدو ولا حضر ... حكماً كحُكم عظيمِ المُلكِ والشَّانِ

سبا بن يشجب لابنيه وإنَّهما ... للسَّيدانِ الرَّفيعانِ العَظِيمانِ

أعطى ابنه حِمْيراً مِنْهُ اليمينَ وقَدْ ... أعطى الشِّمالَ ابنَهُ المُسْمَى بكهلانِ

= القوم إذا أصلح ذات بينهم (أساس البلاغة : ر ت ق) .

(١) رتب رتوباً : ثبت ولم يتحرك (القاموس : ر ت ب) .

(٢) في الأصل : أيمناً .

(٣) كذا في الأصل ، ولعلها على لغة أكلوني البراغيث .

وقــال يُقْســمُ ملكـي اليـومَ بَيْنَهُمـا | وقِسْمَـةُ الملـكِ لـلاثنـان[1] سهمـانِ
تُعطى اليَمينُ الذي تسطُو اليمينُ بِهِ | فيمـا تُعـانِيْـهِ مـن سِـرٍّ وإعـلانِ
وللشِّمال الذي تسطُوا الشِّمال بِهِ | عنـدَ النَّـوائِـبِ مـن بـأسٍ وسُلطـانِ
والسَّيفُ والسَّـوْطُ صـارا لليميـنِ مَعَـاً | وذَلِـكَ القَلَـمُ الجـاري ببـرهـانِ
والقَوْسُ والتُّرسُ صارا للشِّمالِ وقَدْ | صـار العِنَـانُ لهـا والمُلْـكُ نِصْفَـانِ
فصـار هـذا بتـاج المُلْـكِ مُعْتَصِبـاً | دونَ الجَحَـاجِـحِ مِـنْ أولادِ قَحْطَـانِ
وصَارَتِ الخيلُ تَحْمِي الأَرْضَ قَاطِبَةً | ومَـنْ عَلَيْهـا لِهَـذَا الآخَـرِ الثَّـانِـي

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ حِمير وكهلان لم يزالا على ذلك وأولادهما من بعدهما وأولاد [٥/ أ] أولادهما لحمير على كهلان الطاعة ، ولكهلان على حمير المال والنجدة ، والملوك الرَّاتبة في دار المملكة من حمير ، والملوك في الأطراف والثغور من كهلان .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وصّى بنيه ـ وكانوا اثني عشر رجلاً ـ فقال[2] : يا بنيّ ، ما اجتمع اثنان متآزران متعاضدان على أربعة نفر أو خمسة من أشتات الناس إلا غلباهم وملكا أسرهم وقيادهم ، وما اجتمع خمسة نفر متآزرون متعاضدون على عشرة أنفار من أشتات الناس إلاّ غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم ، وما اجتمع عشرة أنفار متآزرون متعاضدون على الجماعة التي يكون ميلهم عدد أوزان الأنفس من أشتاق الناس إلا غلبوهم وملكوا أسرهم وقيادهم . وأيُّما عصابة غلبت أربعين رجلاً يوشك لها أن تغلب الثمانين والمائة وما فوق ذلك ، وغُلاّب المائة حَرِيُّون أن يغلبوا المائتين . وغُلاّب المائتين حريُّون أن يغلبوا الألف . ومنتهى العِزِّ للفرقة أن لا يطمع فيها الألف

---

(١) كذا في الأصل ، وربما أعملها على لغة من يعرب المثنى بالألف دوماً .
(٢) الخلاصة ١٥ ـ ١٧ .

ألف رجل . وما من رجل أطاعه رجل فقام بالمجازاة له على ذلك إلا أطاعه عشرة ، وما من رجل أطاعه عشرة أنفار فقام بالمجازاة لهم على طاعتهم له إلا أطاعه مائة رجل . ومن أطاعه مائة رجل فقام لهم بالمجازاة على طاعتهم له إلا أطاعه ألف رجل ، وما من رجل أطاعه ألف رجل إلا وقد ساد لا محالة . . يا بنيّ ، أطيعوا الأرشد فالأرشد منكم ، ولا تعصوا أخاكم الهَمَيْسَع[١] فإنه خليفتي بعد الله فيكم وأميني فيما بينكم ، وإنَّه لسيفكم وأنتم حدّ ذلك السيف ، وإنَّه لرمحكم ، وأنتم سنان ذلك الرمح وما السَّيف لولا الحد ، وما الحد لولا السَّيف ، وما السِّنان لولا الرُّمح ، وما الرُّمح لولا السِّنان ، أنتم بالهَمَيْسَع وله ، والهَمَيْسَع بكم ولكم . ثم أنشأ يقول : [من الطويل] .

هَمَيْسَعُ لم تَجْهلْ مَعَ النَّاس سِيْرَتيْ ... فسِرْ لِيْ بِهَا في النَّاسِ بَعْدي هَمَيْسَعُ

بنـيَّ بهـمْ أُوصيـكَ خَيْـراً فـإنَّهُـمْ ... تَضُرُّ بِهِمْ مَنْ شِئتَ يَوْماً وَتَنْفَعُ

وعمـك وابـن العَـمِّ دُونَـكَ بعـدَهُ ... مردُّ الأعادِيْ الكاشحينَ ومَدْفَعُ[٢]

همُ لَكَ كهفٌ بَلْ هُمُ لَكَ مَوْئِلٌ ... وهُـمْ لَـكَ مِـنْ دُوْنِ البَـرِيَّـةِ مَفْـزَعُ

[٥/ب] وليْسَ عُقَابُ الطَّيْرِ يَوْمَاً وإنْ لَهَا ... يـذِلُّ ، وَتَنْقَـادُ البُغَـاثُ وتَخْضَـعُ

تَؤُولُ إلى وكرٍ سوى وَكْرِهَا الذيْ ... تـؤُولُ إليْـهِ لِلْمَبِيْـتِ وَتَـرْجِـعُ

هَمَيْسَـعُ إنَّ النَّـاسَ وَحْـشٌ وإنَّهـمْ ... إلى الرِّفْقِ من خمس القوارب أسرعُ[٣]

هَمَيْسَـعُ جُـدْ بـالخَيْـرِ تُجْـزَ بمثلِـهِ ... فكُلُّ امرِىءٍ يُجْزَى بِمَا هُوَ يَصْنَعُ

هَمَيْسَـعُ دَارِ النَّـاسَ تُعْـطَ قِيَـادَهُـمْ ... فحظُّكَ مِنْهُمْ أَنْ يُطِيْعُوا وَيَسْمَعُوا

هَمَيْسَـعُ لا واللهِ إنْ أَنْـتَ حـاصـد ... طوالَ اللَّيالي غَيْرَ ما أَنْتَ تَزْرَعُ

فأُوصِيْكَ بالإفْضَالِ[٤] مثلَ وَصيَّتِي ... بإِخْوَتِكَ القُرْبى فَهَلْ أَنْتَ تَسْمَعُ

---

(١) انظر نسب معد ٢/ ٢٦٧ ، ٢٩٦ .

(٢) فـي الخـلاصـة ...... مـرد لمـن يـردي صفـاك ومـدفـع

(٣) القوارب جمع قارب وهو الطالب للماء ليلاً (القاموس : ق ر ب) .

(٤) في الخلاصة : بالأقصين .

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ الهَمَيْسع حفظ وصيّة أبيه حمير ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وأجرى الناس على ما كان يجريهم أبوه حمير حين ولي الملك بعده ، وسار فيهم بسيرته ، وكذلك ابنه أيمن[1] بن الهميسع الذي يقول فيه عمه مالك بن حمير : [الطويل]

نطيعُ ولا نَعْصِي أَخَانَا الهَمَيْسَعَا ... وأَيْمَنَ ما غَنَّى الحمامُ وسَجَّعَا
لَقَدْ سَادَ أملاكَ البِلادِ هَمَيْسَعٌ ... ومَا كَمَلَتْ خَمْساً سنوهُ وأَرْبَعَا
وَأَيْمَنُ شِمْنَا فِيهِ مَا فِي هَمَيْسَعٍ ... ربَتْهُ بنو هُودٍ فَطِيْمَاً ومرضَعَا
فواللهِ لا يَنْفَكُّ يَجْمَعُ أَمْرَنَا ... على ما عَلَيْهِ الرّأْيُ والأَمرُ أجمعَا
ونُوْصِيْ بَنِيْنَا أَنْ تَكُونَ جُمُوعُهُمْ ... لأَيْمَنَ مَا عَاشُوا وَمَا عَاشَ تُبَّعَا

وحدثني علي بن محمد ، عن جدّه الدعبل بن علي ، أنَّ أيمن بن الهميسع لما ولي الملك بعد أبيه الهميسع بن حمير سار في الناس بسيرة أبيه وجدّه ، وحفظ جميع ما تناهى إليه من وصايا آبائه وأسلافه التي يعملون عليها ويوصون بها ويحفظونها لسياسة الملك وصيانة الدولة .

وولي الملك بعده زهير[2] بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر ، وهو الذي يقول أخوه الغوث بن أيمن [فيه] : [من الطويل]

أبى المُلْكُ إلاّ أن يكُوْنَ وَلِيُّهُ ... ومالِكُهُ بَعْدَ الهَمَيْسَعِ أَيْمَنُ
وأَن يَتَلَقَّاهُ زُهَيْرٌ وِرَاثَةً ... وللتِّبْرِ في مَبْسُوطَةِ الأَرْضِ مَعْدِنُ
قَدِ استَوْطَنَ المُلْكَ الأثيلَ مَحَلُّهُ ... وللجذر أغصان وللملك موطن
أرى لِزُهَيْرٍ أَذْعَنَ النَّاسُ كلُّهُمْ ... كما لأَبِيْهِ أَوْ لِجَدَّيْهِ أَذْعَنُوا

وحدثنا علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ زهير بن أيمن بن

---

(١) انظر نسب معدّ ٢/ ٢٦٧ ، ٢٩٦ .
(٢) انظر نسب معد ٢/ ٢٦٧ . وانظر الخلاصة ٢٥ .

الهميسع وصّى ابنه عَرِيْبُ[1] بن زهير ولم يكن له ولد غيره ، فقال[2] : يا بني ، قد انتهى إليك ما كان من وصيّة جدِّك سبأ بن يشجب بن يعرب ، وما افترق عليه ابناه يوم الوصية والقسمة ، وهما جدَّاك حِمير وكهلان [٦/ أ] فلا تجرين الأمر إلا على ما جرت به الرسوم من لدنهما إلى هذه الغاية . وأَوْصِ بعدك من يصلح لهذا الأمر من ولدك ومن إخوتك . وأوصيك بالثبات على ما وجدتني عليه من العدل في الرعية والتجاوز عن المسيء والكف عن أذى العشيرة ، والتحفظ بها والتحبب إليها ، فما المرء إلا بقومه ولو عزّ .

وأنشأ يقول : [من البسيط]

عَرِيْبُ لا تنسَ ما وصَّى أَبُوكَ بِهِ ... إنَّ الـوَصِيَّـة لمَّـا يعـدُهـا الـرَّشَـدُ
كلُّ امرىءٍ عِزُّهُ ـ فاعْلَمْ ـ عَشِيرتُهُ ... وفـي العَشِيْـرَةِ يُلغَـى العِـزُّ والعـدَدُ
ما البيتُ لَوْ لَمْ يكُنْ فَوْقَ الأَسَاسِ وَلَمْ ... تقلّـه دَعَـمٌ للسّعْـف والعَمَـدُ
لَـوْلاَ الغَـرِيْـفُ ولَـوْلاَ خيسُ غـابَتِـهِ ... لما سَطَا مَوْهِناً بالقُدرَةِ الأسدُ[3]
فضيلـة المـرء تـؤويـه وتعضـدُهُ ... إنّ الـذَّلِيْـلَ الـذي لَيْسَـتْ لَـهُ عَضُـدُ
والمـرءُ تَسْلَـمُ دُنْيَـاهُ وَنِعْمَتُـهُ ... ما لَيْسَ يَأْتِيْهِ مِنْ إخوانِهِ الحَسَدُ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير وصَّى بنيه وهم أربعة نفر ؛ الصباح وجنادة وأبرهة وقطن بنو عريب بن زهير فقال لهم[4] : يا بنيّ إني وجدت الشرف والسؤدد والعز والنجدة والطاعة والملك يدل على ستة أشياء . يا بنيّ ، إنّي وجدت السؤدد لا يزايل الكرم ، ولا يسود من لا كرم له . وإنِّي وجدت العزَّ

---

(١) طرفة الأصحاب ٤٤ ، نهاية الأرب ٢٩٣ ، نسب معدّ ٢/ ٢٦٧ .
(٢) الخلاصة ، ٢٦ .
(٣) الغريف : الأجمة (القاموس : غ ر ف) ، والخيس : موضع الأسد (القاموس : خ ي س) .
(٤) الخلاصة : ٣٧ ـ ٣٨ .

مع العدد حيثما كان ، ولا عزَّ لمن لا عدد له ، ولا عدد لمن [لا][1] عشيرة له ، وإنِّي وجدت النَّجدة في الأيادي ، ولا نجدة لمن لا أيادي له ، وإني وجدت الطَّاعة مع العدل ، ولا طاعة لمن لا عدل له ، وإني وجدت الملك في اصطناع الرِّجال ، ولا ملك لمن لا يصطنع الرِّجال . يا بني ، احفظوا وصيَّتي واثبُتوا عليها ، واعملوا بها ، ولا تعصوا أخاكم قَطَناً[2] فإنه خليفتي فيكم بعد الله وولي الملك بعدي دون كل أحد . وأنشأ يقول : [من البسيط]

مَضَتْ لأَسْلاَفِنا فِيْمَنْ مَضَى سُنَنٌ ... ساسُوا بِهَا لَهُمُ مُلْكاً فَمَا وَهَنُوا

فَسُسْتُ بَعْدَهُمُ المُلْكَ الَّذيْ مَلَكُوا ... وأَنْتَ سائسُ ذاكَ المُلْكَ يا قَطَنُ

لَمْ أَعْدُ سِيْرَتَهُمْ يَوْماً وَأَنْتَ لَهُمْ ... لا تَعْدُ عَنْ سِيْرَتِيْ مَا أَوْرَقَ الفَنَنُ

بالأَصْلِ تُمْرِعُ لا بالفَرْعِ مونِقَةٌ ... وكيف يخضَرُّ لَوْلاَ أَصْلُهُ الغُصُنُ [٦/ ب]

ذَرِ التَّغافُلَ عَنْ نَيْلٍ تَجُودُ بِهِ ... إنَّ التَّغافُلَ غَيٌّ والهُدَى فِطَنُ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال إنَّ قطن بن عريب ولي الملك بعد أبيه ، وسار في الناس بسيرته وسيرة أسلافه ، وقلّد الملك في حياته ابنه الغَوْثَ[3] بن قطن بن عريب ، وقال له : يا بني إني لم أقلدك الملك ارتفاعاً عنه ولا رغبة في أجلّ منه ، إلا أني أردت أن أقف على سيرك في الناس وسياستك للملك بينهم ، وأن أعلم كيف طاعتهم لك كيلا أخرج من الدنيا ولي غُصَّة في ذلك من أمرك وأمر الناس . يا بُنيّ ، أوصيك بإخوتك أن تفعل لهم ما فعلته لك ، وأن تبذل لهم نصيحتك ، وتخفض لهم جناحك . وأسألك أن تفعل للعشيرة ما سألتك أن تفعله لهم ولإخوتك ، فما الراحة إلا بالأصابع ، وما السَّاعد إلا بالعضُد .

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .
(٢) انظر نسب معدّ ٢/ ٢٦٧ .
(٣) انظر نسب معد ٢/ ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وأنشأ يقول[1] : [من البسيط]

وَصَّيْتُ غَوْثاً بِمَا وَصَّى أوائلُهُ ... وللوَصِيَّةِ إمهالٌ وإمْكَاثُ

قَلَّدْتُه المُلْكَ لمّا أَن رَأيتُ بِهِ ... خصائلاً نحوها للمُلك إحثاثُ

وَرَثْتُهُ سُنَناً قَدْ كُنْتُ وَارِثَهَا ... ولِلْمُلوكِ مَوَارِيثٌ وَوُرَّاثُ

قَدْ يُنْعِشُ المُلْكَ ذُو الرَّأيِ الأَصِيْلِ كَمَا ... يحْيِي زِرَاعَتَهُ بالرَّأيِ حَرَّاثُ

كُلُّ امرِئٍ والَّذي كَانَتْ عَلَيْهِ لَهُ ... ابَاؤُهُ وَلِكُلٍّ مِنْهُ مِيْرَاثُ

والشَّرْيُ شَرْيٌ ولو أبصرته عَسَلاً ... والأَرْيُ أرْيٌ ولو غَالَتْهُ أحداثُ[2]

وفي الزّواعب خطّيٌ وذُو خَوَرٍ ... وفي القواضِبِ مِذْكَارٌ وَمِئْنَاثُ[3]

وفي السحاب صَبِيْر هويُهُ دَلَسٌ ... ومُطْبِقٌ مُسْبِلٌ بالجُودِ لَثَّاثُ[4]

قال علي بن محمد : قال : الدعبل بن علي : فيقال : إن الغوث بن قطن ولي الملك في حياة أبيه ، وبعد وفاته دهراً طويلاً ، فكان من أحسن الملوك سيراً ، وأثبتهم على سنن آبائه وأجداده ، وكذلك كان ابنه وائل[5] بن الغوث بن قطن بن عريب حين ولي الملك بعده .

وحدثني علي بن محمد عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ الغوث بن قطن كان وصَّى ابنه وائل بن الغوث ، فقال له : يا بني ، إن الملك دار بناها الله

---

(١) الخلاصة : ٤١ .

(٢) الشري : الحنظل (القاموس : ش ر ي) . الأري : العسل (القاموس : أ ر ي) .

(٣) الزواعب : الرماح المنسوبة إلى بلدة زاعب أو هي التي إذا هزت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض (القاموس : ز ع ب) والخطّي : الرمح المنسوب إلى الخطّ بلدة باليمامة (القاموس : خ ط ط) .

(٤) الصبير : السحابة البيضاء أو الكثيفة التي فوق السحابة أو الذي يصير بعضه فوق بعض أو القطعة الواقفة منها ، أو السحاب البيض (القاموس : ص ب ر) . الدَّلَس : الظلمة (القاموس : د ل س) لثاث : مديم المطر (القاموس : ل ث ث) .

(٥) انظر نسب معد ٢/ ٢٦٨ .

لأسلافك ، فعمروها بالعدل والإحسان ، فكانت الروائح إليها تروح ، والسوام منها تسرح ، كذلك ورثتها عمن قبلي ، وكذلك أخلفها لك ، فعليك بعمارتها كما كان يعمرها من أسلافك [٧/ أ] . واعلم أنّ الدار دار بنيت لها ، مبنية حيطانها ، ومشيدة أركانها . وما لم يقع فيها أو في شيء من بنيانها ثلمة ، فإن الثلمة تتبعها مثلها ، ولا يستقر إلا في حجرتها . وأوصيك بالرُّعاة خيراً ، فإنّ السوام لا يصلح إلا بمراعاة المسيم .

وأنشأ يقول : [من البسيط]

المُلْكُ دارٌ لمن بالمُلْكِ يَعْمرهَا ... فمن يَفُوزُ بها من آلِ قَطْحانِ
مَنْ كانَ مِنْهُم لهُ الإحسانُ يملكُها ... بما لَهَا من عماراتٍ وسُكَّانِ
هل ساكن الدار لولا الدار يحفظُها ... إلا كَمَنْ حَلَّ في صَحْراءَ غِيطانِ[1]
وما عَسَى الدَّارُ لَوْلاَ مَا أَحَاطَ بِهَا ... لعامرِ الدَّارِ من باب وبنيان
فإنْ تَعَاوَرَهَا ثَلْمٌ فَساكِنُهَا ... وسَاكنُ الفَدْفَدِ الفِيْفِيِّ سِيَّانِ
مَا الدَّارُ إلا بِمَنْ يَحْتَلُّها وبِمَنْ ... توصِيْه يَعْهَدُهَا مِنْهُ بِعُمْرانِ
وما عَسَى يَجْمَعُ الرَّاعِيْ إذَا افْتَرَقَتْ ... لِئَلَّا عَنِ الحِجْرةِ المِعْزَا مع الضَّانِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عُرَيْب ساسَ الملك بعد أبيه سياسة حمده فيها أهل زمانه ، وكذلك ابنه عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عُريب حين ولي الملك بعد أبيه وائلِ بن الغوث ، سار في الناس بسيرة أبيه ، وأجراهم على سنن أجداده وأسلافه . وعبد شمس بن وائل هو جد بلقيس[2] بنة

---

(١) غِيطان : مفردها غَيْط : المطمئن الواسع من الأرض (القاموس : غ و ط) .
(٢) التيجان ١٣٧ ـ ١٧٠ ، تاريخ الخميس ١/ ٢٤٩ ، نهاية الأرب ١٤/ ١٣٤ ، وابن خلدون ط الجابي ١/ ٧٩ وفيه ينقل عن الطبري أنّ اسمها بلقمة بنت اليشرح بن الحارث بن قيس ، وفي نسب معد ٢/ ٢٩٢ بلقمة بنت اليشرح بن ذي جدن ، وفي شرح المقامات للشريشي ٢/ ٢٣٠ أنها بلقيس بنت شراحيل بن أبي سرح .

الهدهاد[1] بن شرحبيل[2] بن عمرو ، واسم عمرو معاوية [بن] المعترف ، واسم المعترف علاق بن شدد بن القطاط بن عمرو ، وعمرو [دوانس] بن عبد شمس ، فما من هؤلاء القوم المسمين[3] أحد إلا وقد ملك ما ملك عبد شمس وآباؤه من قبله . وأخبارهم تطول عند الشرح .

ثم انتقل الملك من هؤلاء القوم إلى حمير الأصغر وهو زرعة بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن فلس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . وأخو زرعة سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن فلس وكان حسن السيرة في الناس حين ولي الملك ، وكذلك كان ابنه شدد بن زرعة .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أن زرعة بن كعب بن زيد بن سهل وصى ابنه شداد ، فقال[4] : يا بني ، لو أنّ ملكاً يستغني بثاقب رأيه دون رأي الناس لفضل عقله وكمال معرفته وبارع أدبه وفطنته وعلمه بما تقدم من التجارب لأسلافه مع ما حفظه ورواه وأحاط به من سنن الأوائل [٧/ب] من الآباء والملوك من قومه وسنن الماضين من الأجداد من أغنى الملوك عن مشاركة [أهل الآراء][5] ومشاورة الأقيال ووصية الموصين ، إلا أنه لا بد للملك من يعينه في الرأي والأمر والنهي ، ولا بدَّ له من مشير يحمل عنه بعض ما يثقله من ذلك . ولا بد للولد من وصيّة الوالد ، قلّت الوصية أم كثرت .

---

(١) التيجان ١٣٥ ، النويري ١٥/ ٢٩٣ ، التاج ٢/ ٥٤٥ ، منتخبات من أخبار اليمن ١٠٩ .
(٢) التيجان ١٣٤ ، المحبر ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٣٧٠ .
(٣) في الأصل المسمون .
(٤) الخلاصة ٥٥ .
(٥) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل ، والاستدراك من الخلاصة .

ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

جـرّبـت قَبْلَـكَ أَسْبَـابـاً عَمِلْـتُ بِهَـا ... في المُلْكِ بيني وبَيْنَ النَّاسِ يا شَدَدُ

فَلَمْ أَجِدْ نجدةً في المُلكِ تكلؤُهُ ... مِثْـلَ النَّـوالِ إذا مـا قَلَّـتِ العُـدَدُ

وَلَمْ أَجِدْ طاعةً كالعَدْلِ إن نَزَعَتْ ... عَـنْ طـاعَـةٍ لمليْـكٍ فـي الأَنَـام يَـدُ

والنَّاسُ كالوَحْشِ إنْ دارأتم شرعوا ... وإنْ دنيت لهم عَافُوا وما وَرَدُوا[1]

مَتَـى أطـاعَـكَ سـاداتُ العَشِيـرةِ لا ... يعصِيْكَ في النَّاسِ فاعلَمْ بَعْدَهَا أَحَدُ

دارِ الوَرَى وذوي القُرْبى وجُدْ لهمُ ... بـالخَيْـرِ إنَّـكَ مطلـوبٌ بمـا تَجِـدُ

وحدثني علي بن محمد عن جده الدعبل بن علي ، أن شداد بن زرعة بن كعب بن زيد ولي الملك دهراً طويلاً لم يعصه أحد من حمير ولا كهلان في ملكه الذي أحاط به بأكثر الأرض ومن فيها . ويقال : إنه سار في الناس بسيرة آبائه ، وأجراهم على سنن أجداده ، وحفظ وصايا الأوائل من أسلافه ، وعمل بها ، وثبت عليها إلى أن توفي .

وانتقل الملك إلى [ابن] عمه الحارث الرائش[2] بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس . فالرائش أبو التبابعة السبعة . ويقال : إنه أول ملك استعمل الدروع لأصحابه وألبسهم إياها . ويقال : إنه قسم بلدان اليمن سهلها وجبالها وأوديتها بين عشائره ، وأعانهم على عمارتها ، وأخرج لهم فيها المستغلّات ، فارتاشت العشيرة واستغنى بعضها من بعض عن كثير مما كانوا محتاجين إلى الملك مما في يده ، ولارتياشهم معه سمّوه الرائش ، وإلا فاسمه الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر .

---

(١) شرع في الماء : دخل فيه (القاموس : ش ر ع) . دنى يدنى دناً ودناية : صار ضعيفاً .

(٢) جاء في دائرة معارف البستاني ٧/ ٢٤١ أنه أول الملوك التبابعة واختلف في نسبه إلى أن يصل إلى وائل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير . الجمهرة (هارون) ٤٣٨ ، نسب معد ٢/ ٢٩٤ .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ الرائش وصَّى ابنه ذا المنار[1] بن الرائش فقال له[2] : إنَّ أباك حوى لك الملك ، وأقرّه في محتد أنت أوسط الناس فيه ، وأولاهم به . وإنَّه ليوصيك بزيادة ما نالت يدك من الخير أن تفعله إلى من سمع لك وأطاع . واجعل العدل ناصراً ، واتخذ الأحساب لك تجده ، واصطنع العشيرة ليومٍ .

وأنشأ يقول : [٨/ أ] [من الطويل]

حويتُ لَكَ المُلْكَ الذيْ كانَ حَازَهُ ... لأَوْلادِهِ فـي سلـفِ الـدَّهْـرِ حِمْيَـرُ
فَكُنْ حَافِظَاً للمُلْكِ بَعْدِيَ عَامِراً ... فَقَـدْ يُحْفَـظُ المُلْـكُ الأَثيـلُ ويُعْمـرُ
وعِمْـرَانُـهُ أَنْ يُبْسَـطَ العَـدْلُ دُوْنَـهُ ... وبـالعَـدْلِ تَنْهَـى مـا نَهَيْـتَ وتَـأْمُـرُ
وَثَابِرْ عَلى الأَحْسَابِ إِنَّكَ لَنْ تَرَى ... فَتَـىً مُحْسِنَـاً إلاّ يُعَـانُ ويُنْصَـرُ
وَقَـوْمَـكَ واصِلْهُـمْ وحِطْهُـمْ وَإِنَّمـا ... بِقَـوْمِـكَ تَعْلُـو مَـنْ أَرَدْتَ فَتَقْهَـرُ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال إن أبرهة ذا المنار بن الرائش ولي الملك بعد أبيه الحارث الرائش ، وثبت على ما وصاه به أبوه الرائش وعمل به وحفظه ، وهو أول ملك نصب الأعلام وبنى الأميال والعلامات على الطرق والمناهل ، ولذلك سمي ذا المنار ، وذلك أنّه ضرب في الأرض يطلب بلاد [ ][3] في شرقها وغربها ليفتحها ، وليأخذ إتاوتها واسمه أبرهة ذو المنار بن الرائش ، وهو الذي ذكره صلاءة بن عمرو الأودي[4]

---

(١) الجمهرة (هارون) ٤٣٨ ، نسب معد ٢/ ٢٩٤ ، جمهرة الأنساب ٤١٠ ، الحور العين ٢٠ ، التيجان ١٢٦ .

(٢) الخلاصة : ٦٩ .

(٣) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

(٤) في الأصل الإيادي بدل الأودي وهو وهم . كان سيّد أود (مذحج) في نجران وقائدهم في حروبهم ، يعد من حكماء العرب ، واشتهرت أقواله وشعره . زعموا أنه أول من قصّد القصيد . لقب بالأفوه الأودي لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان سمط اللآلي ٥٦٣ ، ٨٤٤ ، معاهد التنصيص ٤/ ١٠٧ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، شعراء=

في شعره الذي ذكر التبابعة والمثامنة[1] حيث يقول : [من الوافر]

فَلَـــوْ دامَ البَقَـــاءُ إذاً جُـــدُودِيْ وَأَسْـــلافِـــيْ بَنُـــو قَحْطَـــانَ دَامُـــوا
وَدَامَ لَهُـــمْ تَبَـــابِعُهُـــمْ مُلُـــوكـــاً وَلَـــمْ تَمُـــتِ المَثَـــامِنَـــةُ الكِـــرَامُ
وعَـاشَ المَلْـكُ ذُو الأَذْغَـارِ عَمْـروٌ وَعَمْـروٌ حَـوْلَـهُ النُّجُـبُ اللُّهَـامُ[2]
وخُلِّـــدَ ذُو المَنَـــارِ وَمَـــا تَـــرَدَّى أَبُـــوهُ الـــرَّائِـــشُ المَلِـــكُ الهُمَـــامُ
مُلُـــوكٌ أَدَّتِ الـــدُّنْيَـــا إِلَيْهِـــمْ إِتَـــاوَتَهَـــا وَدَانَ لَهَـــا الأَنَـــامُ
وَلَمَّـــا يَعْصِهِـــمْ حَـــامٌ وَسَـــامٌ وَيَـــافِـــثُ حَيْـــثُ مـــا حَلَّـــتْ وَلاَمُ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : أما سام فأبو العرب ، وأما حام فأبو النوبة والحبش والزنج والبجاة [والبازة] . قال : وقرأت في بعض الكتب أنَّ خراسان أخو فارس ، وأخوهما كرمان والكرد الأكبر ، أبوهم يافث بن نوح النبي ﷺ . ويقال : إنَّ الروم [ ][3] منه من ولد لام بن نوح النبي ﷺ ، وفيه من ولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ . قال : فأما الروم الأولى فمن ولد لام بن نوح النبي ﷺ ، إخوتهم الصقالبة والخزر [ ][4] والغورط والكابل والصين والسند والهند .

وحدثني علي بن محمد عن جده الدعبل بن علي أن أبرهة ذا المنار وصى ابنه عمراً [٨/ ب] ذا الأذعار[5] بن أبرهة ذي المنار ، فقال له : يا بني ، إنَّ

= النصرانية ٧٠ وفيه أنه توفي سنة ٥٧٠م .

(١) المثامنة ملوك ثمانية هم ذو ثعلبان وذو خليل وذو سحر وذو جدن وذو صرواح وذو مقار ، وذو حزفر وذو عثكلان . وأولادهم أبيات ثمانية ، ويسمون المثامنة من حمير ، ولا يصلح الملك لمن ملك من ملوك حمير إلا بهم حتى يقيمه هؤلاء الثمانية ، وإن اجتمعوا على عزله عزلوه (الخلاصة ١٥٧ ـ ١٥٨) .

(٢) اللُّهام : العدد الكثير والجيش العظيم (القاموس : ل هـ م) .

(٣) مابين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

(٤) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

(٥) التيجان ١٣٣ ، تاج العروس ٣/ ٢٢٥ ، ابن خلدون ٢/ ٥١ ، السبائك ٢٠ .

الملك زرع ، والملك قيّمٌ مَلَكَ الزرع ، فإن أحسن القيم قيامه عليه في سقائه عند حاجته إليه ، وفي إجلابه غرائب النبات مما نبته وتعاهده إياه بالكرم وحمايته عن المؤذيات من البهائم والطير زكا حصاده ، وكثر محصوله ، وحمد القيم ، واستكرمت الأرض . وإن كان القيم غير متفقد لذلك الزرع ولا متيقظ لمثابرته على سقياه وكرمه وحمايته وحفظه أوهنه العطش ، وأيبسه الخَلَى[(١)] ، وأكلته الطير ، وداسته البهائم ، فلا الزَّرع زاك ، ولا الأرض معمورة ، ولا القيم محمود .

ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

يا عَمْرُو إنّكَ مَا جَهِلْتَ وَصِيَّتي ... إيّاكَ . فاحْفَظْهَا فَإنّكَ تَرْشُدُ

يا عَمْرُو لا واللهِ ما سَادَ الوَرَى ... فِيْمَا مَضَى إلاّ المُعِيْنُ المُرْفِدُ

كلُّ امرئٍ يا عَمْرُوْ حَاصِدُ زَرْعِهِ ... والزَّرْعُ شَيْءٌ لاَ مَحَالَةَ يُحْصَدُ

إنْ كَانَ مَذْمُوماً فَيُعْرَفُ دُونَهُ ... بالذَّم فِيْهِ الزَّارِعُ المُتَقَلِّدُ

أَوْ كَانَ مَحْمُوداً فَتُحْمَدُ أَرْضُهُ ... والزَّرْعُ والزَّرَّاعُ كُلٌ يُحْمَدُ

يا عَمْرُو مَنْ نَشَرَ العُلا بِنَوالِهِ ... كَرَماً يُقَالُ لَهُ الجَوَادُ السَّيِّدُ

يَا عَمْرُو أَنْتَ لَكَ المَهَابَةُ والعُلاَ ... في النَّاسِ والمُلكُ اللَّقاحُ الأَتْلَدُ[(٢)]

واصِلْ ذَوِيْ القُرْبى وَحُطْهُمْ إنّهُمْ ... بِهِمُ تَغُمُّ الأَبْعَدِيْنَ وَتَصْمُدُ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال إن عمراً ذا الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر خرج يطوف للإعمال من شرق البلاد وغربها ، فكان لا يسمع به قوم إلا وولّوْا الأدبار رهبة منه خائفين مذعورين ، فلذلك سُمِّي عمراً ذا الأذعار . وهو أبو التُبَّع الأول .

---

(١) الخلى : الرطب من النبات ، أو كل بقلة ، واحدته خلاة ، وأخلت الأرض كثر خلاها (القاموس : خ ل ى) .

(٢) اللّقاح الذي لا يدين لغيره (القاموس : ل ق ح) .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدِّعبل بن علي ، أنَّ عمراً ذا الأذعار وصى ابنيه تُبَّعاً ورفيدة فقال لهما : غيركما يجهل الملك وسياسته ورعايته وكلاءته وما يحتاج إليه الملك من التيقظ والتدبير والحزم والحلم والموالجة والمحاماة والمناوأة ، وما الملك إلا رحىً تدور على قطب ، فإن جُعل لها مع ذلك القطب قطبٌ آخر وقفت الرحى منها . وهذا لتعلما أنَّ الملك لا يستوي لاثنين إلا أن يكون أحدهما المقتدي والآخر المُقتدى به . وقد علمتما أن التَّاج لا يسع الرأسين ، ولا يُجمع الرأسان في تاج أبداً ، كما لا يصلح [٩/ أ] السيفان في غمد .

ثم أنشأ يقول شعراً يأمر فيه ابنه رفيدة بطاعة أخيه تُبَّع بن عمرو ذي الأذعار وهو التُّبَّع الأول : [من الطويل]

رُفَيْـدةُ لا تَعْـصِ أَبَـاكَ فَـإِنَّـهُ ... رَأَى رَأْيَـهُ أَنْ يُعْطِـيَ المُلْـكَ تُبَّعَـا
لِيُعْطِيَـكَ الخَيْـلَ المُغِيْـرَةَ تُبَّـعٌ ... فَتَـرْعَـى لَـهُ المُلْـكَ اللَّقـاحَ المُمَنَّعَـا
يَنَـالُ بِـكَ العَلْيَـا وَأَنْـتَ كَمِثْلِـهِ ... تَنَـالُ بِـهِ طَـوْداً مِـنَ العِزِّ مَيْفَعَـا[1]
وتصبـحُ ركنـاً دُوْنَـهُ وَوَزِيْـرَهُ ... مَنِيْعَـاً ويُمسي مَـؤْئِـلاً لَـكَ مَفْـزَعَـا
فَمَـا عَـزَمَ ابْنَـا سَيِّـدٍ وَتَعَـاضَـدَا ... عَلَـى سَبَـبٍ رَأْيـاً هُمـا فِيْـهِ أَجْمعـا
وَقَـامَـا لَـهُ إلاَّ وَنَـالاهُ جَهْـرَةً ... وَفَـازَا بِـهِ مِـنْ دُونِ مَـنْ ذَاقَـهُ مَعَـا

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن تُبَّع بن عمرو ذي الأذعار ولي الملك بعد أبيه ، وقلّد أخاه رفيدة بن عمرو الوزارة ، فكان إلى التُّبَّع ما يكونُ إلى الملك ، وكان إلى رفيدة ما يكون إلى الوزير ، فبقيا في ذلك دهراً طويلاً على وصيته أبيهما عمرو ذي الأذعار . وسار الملك تُبَّع في الناس سيرة أبيه ذي الأذعار ، وبسط العدل والإحسان في الأرض ، ورزق من الهيبة ، واعطي من الطاعة ما لم يعط أحد قبله . وهو الذي يقول فيه الموثبان بن ذي حارث : [من السريع]

---

(١) المَيْفَعة : الشرف من الأرض (القاموس : ل ق ح) .

مَـنْ ذَا الَّـذِيْ يَسْـأَلُ عَـنْ تُبَّـعٍ كَـأَنَّـهُ لَـمْ يَـدْرِ مَـا تُبَّـعُ
وَتُبَّـعٌ فـي الأَرْضِ سُلْطَـانُـهُ كَـالشَّمْـسِ فـي آفَـاقِهَـا تَسْطَـعُ
المَلِـكُ المَحْمُـوْدُ فـي مُلْكِـهِ وَالمَـاجِـدُ المُهْـرُ الَّـذِيْ يَمْـرَعُ
قَـدْ مَلَـكَ النَّـاسَ فَـأَحْيَـاهُـمُ نَـاهِيْـكَ مِـنْ تُبَّـعٍ مُسْتَمتِـعُ
ذُو الغَـارَةِ السَّـوْدَاءِ تَجْـرِي لَـهُ أوارد العُصْـم فـلَا تُمْنَـعُ
وَخَيْلُـهُ مُـرْسَلَـةٌ فـي العِـدَا زُهْـواً رِعَـالاً تَمْـرَعُ[1]
إِتَـاوَةُ الأَرْضِ وَمَـنْ حَلَّهَـا طَـوْعَـاً إِلـى تُبَّـعٍ تُـدْفَـعُ
مَـا رَفَـعَ التُّبَّـعُ لَـمْ يُـوْهِـهِ مُـوْهٍ وَمَـا أَوْهَـاهُ لَا يُـرْفَـعُ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ التُّبَّع بن عمرو ذي الأذعار وصَّى ابنه حسان ملكيكرب ، وهو الثاني من التبابعة ، فقال له : يا بني إن الملك صنعة والملك صانع ، فإن قام الصانع حق قيامه على صنعته استجادها الناس له ، واستحكم أمره فيها فكسب [٩/ ب] بها المال والجاه وكانت له عدَّة وذخيرة . وإن استهان بها ولم يقم حق قيامه عليها ذهبت الصنعة عن يده ، وانقطعت منافعها عنه ، واكتسب الذم لنفسه والحرمان ، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وأنشأ يقول : [من البسيط]

ما زِلْتُ بَعْدَ أبي بِالمُلْكِ مُنْفَرِداً أَسُوْسُهُ بَعْدَ أَسْلافي وأَجْدَادِيْ
أَحْمِيْ مَحَاسِنَهُ جهْدِيْ وأَكْلَؤُهُ دَهْرِيْ وَأحكمهُ بَعْدِيْ لأَوْلاَدِيْ
وَقَدْ ضَرَبْتُ لَكَ الأَمْثَالَ فِيْهِ وَقَدْ عَرَفْتَ في المُلْكِ إِصْدَارِيْ وإِيْرَادِيْ
فاعْمَلْ بِمَا لَمْ أَزَلْ مُذْ كُنْتُ أَعْمَلُهُ في المُلْكِ يرْشِدْكَ يا حَسَّانُ إِرْشَادِيْ

---

(١) الرعال جمع رَعْلة وهي القطعة من الخيل ، أو مقدمتها أو قدر العشرين أو الخمس والعشرين (القاموس : ر ع ل) .

ويقال : إنّ حسان هو الأقرن . توفي بأرض المغرب ، فولي الملك بعده إفريقيس . ويقال : إنَّ اسمه إفريقيش ، كل ذلك قد قيل . ويقال : إنَّه هو الذي بنى بالمغرب مدينة ، يقال لها إفريقية ، منسوبة إلى اسمه[1] . وهو الثالث من التبابعة .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ إفريقيس وصَّى أخاه أسعد أبا كرب ، فقال له : قد علمت ما عهد إليّ أبونا مما عهد إليه أبوه من وصايا الآباء والأجداد في سياسة هذا الملك الذي أوتينا من دون غيرنا ، فعليك بالتمسك بما وجدتني عليه من بث العدل واصطناع الرجال ومكابدة العدو والصفح عند الاقتدار وسدّ الثغور واتقاء الخلل .

وأنشأ يقول : [من الكامل]

لَـمْ يَـرْوِ عَنْـكَ ذَخِيـرَةً مِمَّـا بِهَـا ... مَلِـكُ البِـلادِ أَخُـوكَ إِفْـرِيقِيـسُ
لا تَعْـدِلَـنَّ وَصِيَّـةً وَصَّـاكَهَـا ... إِنَّ الـوَصِيَّـةَ مَقْصَـدٌ مَـأْنُـوسُ
كُـلَّ امْـرِىءٍ وَبُلُـوغُـهُ فـي قَـوْمِـهِ ... الكُـلُّ كُـلٌّ والـرَّئِيْـسُ رَئِيْـسُ
والنَّـاسُ كـالأَغْصَـانِ غُصْـنٌ نَـاضِـرٌ ... مِنْهَـا وَذَاوٍ قَـدْ عَـلاَهُ البُـوْسُ
أَوْصِيْـكَ خَيْـراً بـالأَنَـامِ فَـإِنَّمَـا ... لَكَ مُلْكُهُمْ وَالمَنْصِبُ القُدْمُوْسُ[2]

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ أسعد وهو الرَّابع من التبابعة ولي الملك بعد أخيه إفريقيس بن حسان بن تُبَّع بن عمرو ذي

---

(١) انظر معجم البلدان مادة (إفريقيّة) قال : « وسميت إفريقية بإفريقيس بن أبرهة بن الرائش . وقال أبو المنذر هشام بن محمد : هو إفريقيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو الذي اختطها » وقال : « وذكر أبو عبد الله القضاعي أن إفريقية سميت بفارق بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر حاز فارق إفريقية » .

(٢) القدموس : القديم ، والملك الضخم . (القاموس ق د س) .

الأذعار ، فسار في الناس سيرة الأوائل من آبائه وأجداده ، وملك من البلاد ما لم يملك أحد قبله ، وأعطي من العَدَد والعُدَد ما لم يُعط ملك ، وهو الذي يقول[1] [١٠/أ] : [من السريع]

يَـا أَيُّهـا السَّـائِـلُ عَـنْ خَيْلِنَـا ... مـا العَـالِـمُ المُخْبِـرُ كـالجـاهِـلِ
تِسْعُـــونَ أَلْفَـــاً عَـــدَداً بُلْقُهـــا ... وَدُهْمُهَـــا كـــالعـــارِضِ الـــوَابِـــلِ
عَـــنْ مُلْكِنَـــا النَّـــاسُ لَـــمْ تَعْصِنَـــا ... في الأَرْضِ مِنْ حَافٍ وَمِنْ نَاعِلِ
أَدَّتْ لَنَـــا الخَـــرْجَ أَحَـــابِيْشُهَـــا ... والسِّنْـــدُ والهِنْـــدُ مَـــعْ كَـــابُـــلِ
والصِّيْـــنُ قَـــدْ أَدَّتْ لَنَـــا خَـــرْجَهَـــا ... فـــي عَـــاجِـــلٍ مِنْهَـــا وَفِـــيْ آجِـــلِ
وكَـمْ لَنَـا فـي الشَّـرْقِ والغَـرْبِ مِـنْ ... مُسْتَخْـــرِجٍ جَـــابٍ وَمِـــنْ عَـــامِـــلِ
فـــي أَرْضِ كَـــرْمَـــانَ وفِـــي فَـــارِسٍ ... وَفِـــي خُـــرَاسَـــانَ وَفِـــيْ بَـــابِـــلِ
كُـــلاًّ فَتَحْنَـــاهَـــا لَنَـــا عُنْـــوَةً ... تخفِـلُ مِثْـلَ الـدَّبَـى السَّـائِـلِ[2]

ويُقال : إنَّ أسعد الكامل مرض مرضة أشرف منها على التَّلف ، وذلك عند انصرافه من سفره الذي سافر فيه حين دخل الظلمات ، وكان له ولد يُقال له حسَّان الأصغر ، سماه باسم أبيه ، ويقال : إنه لم يملك شيئاً ، وهو الذي ذكره أبوه أسعد الكامل في شعره ، يوصيه فيه عند مرضته تلك ، حيث يقول : [من الكامل]

حَضَـرَتْ وَفَـاةُ أَبِيْـكَ يَـا حَسَّـانُ ... فَـانْظُـر لِنَفْسِـك وَالـزَّمَـانُ زَمَـانُ[3]

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ أسعد الكامل وصى [ ][4] ، وهو عم أبيه ، وهو المعمر من التبابعة ، وهو تُبَّع بن زيد بن

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة في أخبار عبيد بن شرية ٤٨٢ ، على اختلاف بالرواية .
(٢) الدَّبى : أصغر الجراد والنَّمل (القاموس : د ب ى) .
(٣) البيت مطلع قصيدة طويلة وردت في الخلاصة ، ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٤) مابين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

رفيدة بن عمرو ذي الأذعار ، وهو الخامس من التبابعة ، فقال له : ما من شي إلاّ وله أصل وأساس ، وأصل الملك وأساسه الرِّجال ، وأساسها الإحسان إليها ، ومن أحسن إلى الرجال أطاعته وسمعت له ، ومن سمعت له الرجال دانت له البلاد ومن فيها ، ومادانت البلاد ومن فيها إلا لمالكها بعد الله عز وجل ، وحكم لمالكها أن يستديم له الملك فيها بالعدل والإحسان ، فإنَّه لا طاعة لمن لا عدل له ، ولا مُلك لمن لا إحسان له . ثم أنشأ يقول :

[من البسيط]

لا مُلْكَ إلاّ الرِّجالُ المُحْضِرُونَ لَهُ ... بالمَشْرَفِيَّةِ والصُّمِّ المَداعِيْسِ[1]

في الخَافِقَيْنِ لَهُمْ ضَرْبٌ تَطِيرُ لَهُ ... أَيْدِيْ الحُمَاةِ وَهَامَاتُ القَنَاعِيْسِ[2]

[١٠/ ب] فَهُمْ أَسَاسُ العُلَا والمَكْرُمَاتِ ... وهُمْ لِرَائِمِ المُلْكِ عِزٌّ غَيْرُ مَنْكُوْسِ

مَتَى أَطَاعُوْهُ وانْهَلَّتْ تَبَابِعَةٌ ... في الرَّحْلِ مِنْهَا وفي الخَيْلِ الكَرادِيْسِ[3]

نَالَ العُلَا وَحَوَى المُلْكَ العَظِيْمَ بِهِمْ ... والحَظُّ في المُلْكِ جَاءَ غَيْرَ مَنْحُوسِ

وَمَنْ عَصَوْهُ فَمَدْحُورٌ وَمُنْكَشِفٌ ... ومَنْ أَطَاعُوهُ عَالٍ غَيْرَ مَنْخُوسِ

وعدة المَرْءِ دُوْنَ النَّاسِ أُسْرَتُهُ ... وَهَلْ تُشَادُ العُلَا إلاّ بِتَأْسِيْسِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : ابن التُّبع بن زيد بن رفيدة بن عمرو بن أبرهة بن الرائش ، ولي الملك بعد أسعد بن حسان المعروف بملكيكرب الأقرن[4] ، فأحسن سيرته في الناس ، وملك ما ملك الأوائل من آبائه وأجداده ، ويقال إنَّه وصى ابنه ياسر ينعم بن تبع بن زيد بن رفيدة بن ذي الأذعار ، وهو السادس من التبابعة ، فقال له : يا بني إن الملك مصباح ، والملك واقد ذلك المصباح ، فإن حفظه من ريح يطفئه أو من

---

(١) المداعيس : الرماح ، مفردها مِدْعس (القاموس : د ع س) .

(٢) القناعيس ، مفردها قنعاس : الرجل المنيع الشديد (القاموس : ق ن ع س) .

(٣) الكُردوسة : قطعة عظيمة من الخيل (القاموس : ك ر د) .

(٤) جمهرة الأنساب (هرون) ٤٣٨ .

ذُبَالة[1] لا تساعفه أو من وَقود يقطع به منه أو من مستوقد لا يخونه دام له ذلك المصباح وسلم ضياؤه ونوره ما شاء أن يضيء له ، وإن هو غفل عنه بعد أن أوقده ، ولم يقم حق قيامه عليه اطفأته الريح ، فإن سلِم من الريح لم يسلم أن يطفأ عند انقطاع الوقود عنه ، فإن سلِم من انقطاع الوقود لم يسلم من أن يُطفأ عند احتراق الذُّبَالة ، ولا يؤمن عند احتراق الذُّبالة من مستوقد المصباح أن يطير المستوقد قلقاً ؛ فلا النور ساطع ، ولا المستوقد صحيح ، ولا الذُّبالة سالمة ، ولا الواقد محمود . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

ضَرَبْتُ لَكَ الأَمْثَالَ يَاسِرُ ينعُمٍ ... وَأَنْتَ بِمَا يُوحَى إِلَيْكَ خَبِيْرُ
وَأَنْتَ غداً لِلْمُلْكِ مِنْ دُونِ كُلِّ مَنْ ... يُحَاوِلُ مُلْكاً فِي البِلادِ جَدِيْرُ
أَعِنْ وَاسْتَعِنْ مَادُمْتَ لِلْعِزِّ رَاكِباً ... وَفِي كَفِّكَ المُلْكُ اللَّقَاحُ جَرِيْرُ[2]
فَإِنِّي رَأَيْتُ المُلْكَ مِصْبَاحَ سَامِرٍ ... إِذَا نَالَهُ أَمْرٌ فَلَيْسَ ينير
فإن لم يخنه بُؤْسُهُ وَوَقُودُهُ ... وَيَسْلَمَ مِنْ رِيْحٍ عَلَيْهِ تَدُوْرُ
يُضِيْءُ وَمِنْ تَحْتِ الظَّلَامِ سِرَاجُهُ ... يُضِيءُ لَهُ الدَّيْجُورُ فَهْوَ بَصِيْرُ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنّ ياسر ينعم بن تُبَّع بن زيد بن ذي الأذعار بن ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر ثبت بعد أبيه على وصايا آبائه وأجداده ، وحفظها ، وعمل بها في سياسة الملك ما ثبته بين الناس [١١/أ] ، ولم يتعد سيرة أسلافه وسنن أوائله .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ ياسر ينعم بن تُبَّع بن زيد بن رفيدة بن عمرو وصَّى ابنه شمر ذا الجناح ، فقال له : يا بني ، دبّر الملك ، فإن التدبير ثباته ، والإحسان أساسه ، والعدل قوامه ، والرجال

---

(١) الذبالة : الفتيلة والجمع الذُّبال (مختار الصحاح : ذ ب ل) .
(٢) اللقاح : مر معناها .

عزه ، والمال نجدته ، والعشيرة عدَّته . ولا ملك لمن لا تدبير له ، ولا ثبات لمن لا احسان له ، ولا إحسان لمن لا عدل له ، ولا عدل لمن لا قوام له ، ولا قوام لمن لا رجال له ، ولا رجال لمن لا بذل له .

ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

أُوْصِيْكَ شَمَّرُ ذا الجَنَاحِ وَصِيَّةً ... مَازِلْتُ أَحْفَظُهَا لِجَدِّكَ تُبَّعِ

مَا لاحَ لِيْ دَرْكُ العُلا إلاَّ بِهَا ... وَبِهَا اهْتَدَيْتَ إلى السَّبِيْلِ المَهْيَعِ[1]

وَلَقَدْ مَلَكْتُ بِهَا البِلَادَ وَحُزْتُهَا ... مَا بَيْنَ مَغْرِبِ شَمْسِهَا وَالمَطْلَعِ

فَاحْفَظْ لِملكِكَ ذَا الجَنَاحِ وَصِيَّتِيْ ... وَعَلَيْكَ شَمَّرُ بِالخِصَالِ الأَرْفَعِ

حشد الرِّجَال وَإِنَّهُمْ لَكَ عُدَّةٌ ... وَبِهِمْ تُدَافِعُ كُلَّ أَمْرٍ مُفْظِعِ

وَعَلَيْهِمْ وَبِهِمْ تَدُوْرُ رَحَى العُلَا ... وَالمكْرُمَاتُ وَكُلُّ أمْرٍ مَيْفَعِ[2]

وَاعْدِلْ فَإِنَّ العَدْلَ يُحْمَدُ غِبُّهُ ... والخَيْرُ مَهْمَا اسْطَعْتَ مِنْهُ فَاصْنَعِ

كُلُّ امْرِىءٍ يُجْزَى بِمَا سَبَقَتْ لَهُ ... فَإِذَا أَرَدْتَ حَصَادَ زَرْعِكَ فَازْرَعِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ شَمَّر ذا الجناح ولي الملك بعد أبيه ، وهو آخر التبابع وأعظمهم ملكاً وسلطاناً ، وهو الذي يقال له التُّبَّع الأكبر ، وهو الذي سار في الظلمات بعد أسعد الكامل في منقطع الأرض ، يطلب فيها ما طلب ذو القرنين وأسعد الكامل ، وهو الذي بنى مدينة سمرقند وإليه نسبت . وكتب على باب مدينة مرو كتابه الذي يعرف به وله إلى اليوم . وكذلك كتب على صنم المغرب الذي ليس وراءه إلا الرمل الذي تتغطمط[3] أمواجه كما تتغطمط أمواج البحر ، ويجري كما تجري السيول

---

(١) المهيع : الطريق الواسع الواضح (القاموس : م هـ ع . قال : والصواب أنّه من هـ ي ع لأنّه ليس في الكلام فَعْيَلٌ ، وأما ضَهْيَدٌ فمصنوع) .

(٢) ميفع : مر شرحها في الحواشي السابقة .

(٣) الغطمطة : اضطراب موج البحر وغليان القدر وصوت السيل في الوادي (القاموس : غ ط ط) .

الطَّامة في أوديتها . وقد ذكر ذلك الدِّعْبِل بن علي الخزاعي في شعره الذي يقول فيه[1] : [من الوافر]

وَهُمْ سَمَّوْا سَمَرْقَنْداً بِشِمْرٍ ... وَهُمْ غَرَسُوا هُنَاكَ التُّبَتِينَا
وَهُمْ كَتَبُوا الكِتَابَ بِبَابِ مَرْوٍ ... وَبَابِ الصِّينِ كَانُوا كَاتِبِينَا
[١١/ب] وفي صَنَمِ المَغَارِبِ فَوْقَ رَمْلٍ ... مسِيْلُ تُلُولِهِ تَحْكِي السَّفِيْنَا[2]

وهذا التُّبَّع المذكور هو أول ملك بَشَّر بمحمد النبي ﷺ بعد أسعد الكامل وآمن به ، وحج واعتمر وطاف بالبيت سبوعاً ، ونحر البُدن ، وكسا الكعبة ، وجعل لها باباً وحَلَقاً . وقد ذكر ذلك في شعر له حيث يقول[3] : [من الخفيف]

وَكَسَوْنَا البَيْتَ الَّذِيْ حَرَّمَ اللـ ... ـهُ مُلاَءً مُعَضَّداً وَبُرُودَا[4]

---

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي ، ٢٥٦ وانظر المقدمة لترجمة دعبل . والأبيات من قصيدة له في ثمانية وعشرين بيتاً ينقض فيها قصيدة الكميت بن زيد التي هجا فيها اليمنية . ومطلع قصيدة دعبل :
أفيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاك اللوم مرُّ الأربعينا
(٢) في شعر دعبل :
.... تسيل تلوله سيل السفينا
قال في الخلاصة ٨٩ ـ ٩٠ : إن الملك ياسر ينعم توجه نحو المغرب لرؤيا رآها فبلغ وادي الرمل الذي يسيل فلا تسكن رماله إلا يوم السبت ولم يجد منه مخرجاً فأمر أن ينصب فيه صنم من نحاس على هيئة إنسان يشير إلى من أتى أمامه أن يرجع وكتب على الصنم كتاباً يحذر القادمين .
(٣) الخلاصة ، ١٣٤ ، والأبيات وردت فيها بتغيير بعض الكلمات وزيادة بعض الأبيات . ونسبتها هناك إلى أسعد الكامل . وهي في أخبار عبيد في قصيدة طويلة ٤٧١ ـ ٤٧٣ وهي كذلك لأسعد الكامل .
(٤) المعضد : ثوب له علم في موضع العضد (القاموس : ع ض د) .

ثُـمَّ طُفْنَـا بِـهِ مِـنَ السَّيْـرِ سَبْعَـاً　　وَجَعَلْنَـا لِبَـابِـهِ إقْلِيْـدَا[1]
وَنَحَـرْنَـا بِـالشِّعْـبِ تِسْعِيْـنَ أَلْفَـاً　　فَتَـرى النَّـاسَ حَـوْلَهُـنَّ وُرُوْدَا

وقد ذكر ذلك حكم بن عباس الكلبي[2] في شعره الذي يقول فيه :
[من الوافر]

وتَبِعْنَـا الَّـذيْ قَـدْ طَـافَ سَبْعَـاً　　وَزَارَ البَيْـتَ قَبْـلَ الـزَّائِـرِيْنَـا
وآمَـنَ بِـالنَّبِـيِّ وَمَـا رَآهُ　　فَكَـانَ مِـنَ الهُـدَاةِ الفَـائِـزِيْنَـا

ويقال : إنَّه زين الملوك وأبناء الملوك [. . .][3] من قومه من قبائل العرب والعجم ومدائنها وأمصارها . فكان لكل قبيلة من العرب ولكل حي من العجم ملك[4] من قومه إمَّا حميري وإما كهلاني ، يسمع له ويطاع . ويقال : إنَّه جمع الملوك وأبناء الملوك الأوائل وأبناء المقاول[5] من قومه فقال لهم : أيها الناس ، إنَّ الدَّهر قد نفد أكثره ، ولم يبق إلا أقله ، وإنَّ الكثير إذا قل إلى نقصان أحرى منه إلى الزيادة ، فسارعوا إلى المكارم ، فإنَّها تقربكم إلى الفلاح ، واعملوا على أنَّ من سلِم من يومه لم يسلم من غده ، ومن سلِم من غده لم يسلم مما بعده . وإنكم لتؤوبون مآب الآباء والأجداد ، وتصيرون إلى ما صاروا إليه الأولون[6] ، وكل يوم الموت أقرب إلى المرء من حياته منه ، ولكل زمان أهل ، ولكل دائرة سبب ، وسبب عطلان هذه الفترة التي من عزَّ فيها بزمن هو دونه ظهور نبي ، يعزُّ الله به دينه ، ويخصه بالكتاب المبين على

---

(١) الإقليد : المفتاح (القاموس : ق ل د) .
(٢) لم أقع له على ترجمة في مظانه .
(٣) ما بين المعقوفتين فراغ في الأصل بمقدار نصف سطر .
(٤) في الأصل : « ملكاً » .
(٥) المقاول والمقاولة والأقيال بمعنى ، مفردها قيل : وهو دون الملك الأعلى (القاموس : ق و ل) قال الثعالبي : فهو في حمير كالوزير في الإسلام (فقه اللغة) .
(٦) في الأصل صاروا .

يأس من المرسلين ، رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين ، فليكن ذلك عندكم وعند أبنائكم من بعدكم وأبناء أبنائكم قرناً فقرناً وجيلاً فجيلاً ، لتتوقعوا ظهوره ، ولتؤمنوا به ، ولتجتهدوا في نصرته على كافة الأحياء ، حتى يفيء الناس له إلى أمر الله .

ثم أنشأ يقول : [من المتقارب][1]

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ ... رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسَمْ

[١٢/ أ] فَلَوْ مُدَّ دَهْرِي إِلَى دَهْرِهِ ... لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ وابْنَ عَمْ

وَأَلْزَمْتُ طَاعَتَهُ كُلَّ مَنْ ... عَلَى الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ أَوْ عَجَمْ

فَأَحْمَدُنَا سَيِّدُ المُرْسَلِينَ ... وَأُمَّتُهُ تِلْكَ خَيْرُ الأُمَمْ

هُوَ المُرْتَضَى وَهُوَ المُصْطَفَى ... وَأَكْرَمُ مَنْ حَمَلَتْهُ القَدَمْ

ويقال : إنَّ الملوك وأبناء الملوك من حِمير وكهلان لم تزل تتوقع ظهور النَّبي ﷺ ، وتبشِّر به ، وتوصي بالطاعة له والإيمان به والجهاد معه والقيام بنصرته من ذلك العصر إلى أن ظهر رسول الله ﷺ ، فكانوا له حين بُعث من أحرص الناس على نصرته وطاعته ؛ فمنهم من سمع له وأطاعه وآمن به قبل أن يراه ، ومنهم من وصل به كتابه فسمع له وأطاع وآمن وصدق ، ومنهم من وازره ونصره وأيّده وجاهد في سبيل الله دونه حتى أتاه اليقين . نطق بذلك كتاب رب العالمين في قوله جلَّ شأنه : ﴿ والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[2] . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن

---

(١) وردت الأبيات في أخبار عبيد بن شريه ٤٦٨ من قصيدة طويلة ولكن الأبيات الثلاثة الأخيرة ليست في القصيدة المذكورة . وانظر الخلاصة ، ١٢٢ . في الإكليل ٨/ ٢٨٩ أبيات منها . وفي كل هذا منسوبة إلى التبع أسعد الكامل .

(٢) سورة الحشر ٥٩/ ٩ .

دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم [ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم] ﴾[1] . يقال إنهم هَمْدان . وقد كان من خبر سيف بن ذي يزن الحميري في أمر النبي ﷺ وكلامه وإلقائه إلى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عند وفوده على سيف بن ذي يزن ما كان . ويقال : إنه لم يكن لسيف بن ذي يزن ذلك العلم في أمر النبي ﷺ إلا من جهة تُبَّع ، وما تناهى إليه مما كان ألقاه إليهم تُبَّع وعرّفهم به من أمر النبي ﷺ .

وحدثني علي بن محمد ، عن جدّه الدِّعبل بن علي ، أنّ يوسف ذا نواس[2] لما انتقل الملك إليه ظهر له الحسد من بعض قومه وبلغه عنهم قوارص مما يلفظون به ويخوضون فيه من أمره ، قال : فأقبل عليهم وقال : يا أيها الناس ، ما من رئيس حقد فأفلح ، ولا من رائم أمر يستعجل فيه فأنجح ، ألا وكأني بمن يقول : إن يوسف ذا نواس ملك هذا الأمر وليس من ورثته ولا من أبناء من حازه من قبله . وكلا ، ليس الأمر كما زعم الزاعم ، ولكن للملك أساسٌ ، من حازه حاز الملك .

ثم أنشأ يقول : [١٢/ب] [من الوافر]

أَسَاسُ المُلْكِ وَيَحْكُمُ رِجَالٌ	إِذَا مَا المُلْكُ زَالَ عَنِ الأَسَاسِ
بَلِ المُلْكُ الأَثِيلُ لَهُم مُثَنًّى	وفيهم كل [ذي] عزٍّ وبَاسِ[3]

---

(١) سورة المائدة ٥/ ٥٤ .

(٢) جمهرة الأنساب لابن حزم ٤١١ وفيه : زرعة وهو ذو نواس الذي تهوّد وهوّد أهل اليمن وتسمى يوسف ، تاريخ ابن الوردي ١/ ٥٨ ، والمجد ٣٦٨ ، تاج العروس مادة شنتر . والقاموس مادة نوس وهو فيه زرعة بن حسان .

(٣) الأثيل : العظيم (القاموس : أ ث ل) . والكلمة بين المعقوفتين ليست في الأصل ويقتضيها الوزن والمعنى .

وَمَـنْ يُعْـطَ الـرِّجَـالَ [ ] ويُطْعَـنَ دُوْنَـهُ يَـوْمَ الحَمَـاسِ[1]
يَنَـالُ بِهَـا مِـنَ الـدُّنْيـا الَّـذِيْ قَـدْ حَـوَاهُ المَـرْءُ يُـوسُـفُ ذُو نُـوَاسِ
فَكَـمْ مِـنْ تـاجِ مُلْـكٍ قَـدْ رَأَيْتُـمْ تَحَـوَّلَ مِـنْ أُنَـاسٍ فـي أُنَـاس
أَلاَ يَـا لَلْقَبَـائِـلِ أَنْصِتُـوا لِـيْ لأُخْبِـرَكُـمْ فَـإِنَّ الطَّـبَّ آسِ[2]
وَإِنَّ وَصِيَّتِـيْ مَـازِلْـتُ قِـدْمـاً لَهَـا يَـا لَلْقَبَـائِـلِ غَيْـرَ نَـاسِ
أَطِيْعُـوا الـرَّأْسَ مِنكُمْ كَيْ تَسُـودُوا وَهَـلْ ذَنَـبٌ يَسُـودُ بِغَيْـرِ رَاسِ
فَـإِنَّ النَّـاسَ مِثْـلُ الأَرْضِ أَرْضٌ وَإِنَّ مُلُـوكَهُـمْ مِثْـلُ الـرَّوَاسِـيْ
وَلَـوْلاَ الـرَّاسِيَـاتُ إِذاً لَمَـادَتْ رَوَابِـيْ الأَرْضِ حَقّـاً [ ][3]
وَأَجْنَـاسُ الـرَّوَاسِـي الشُّـمِ سِـتٌّ فَـذُو تِبْـرٍ يُصَـانُ وَذُوْ نُحَـاس
وَذُوْ مَـاءٍ وَذُوْ زَرْعٍ وَضَـرْعٍ وَذُو ثِقَـلٍ كَـأَمْثَـالِ [ ][3]

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ ذا رعين واسمه يَريم[4] بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس أقبل على أهل بيته وولده ، وكان عُمِّر عمراً طويلاً حتى ضعُف بصره وقصُر خطاه وكلَّ سمعُه ، فقال لهم : يا بني ، قد حفظت من وصايا الأوائل من أسلافي ، وسلكت مسلك آبائي وأجدادي ، وأفادني الدهر بالكبر والشباب من الأدب والزيادة في المعرفة ما يصلح به المرء دنياه ومعيشته فيما اشتهى فيها ، وما يحيي به المآثر والمفاخر والمكارم أكثر مما أورثني الآباء والأجداد من ذلك .

وأنشأ يقول : [من الوافر]

لَئِـنْ أَمْسَيْـتُ لاآلُـو نُهُـوْضَـاً وَأَنِّـيْ يَـا بَنِـيَّ كَمَـا تَـرَوْنِـي

---

(١) ما بين معقوفتين كلمة غير مفهومة .
(٢) الطب : الماهر الحاذق بعمله كالطبيب (القاموس : ط ب ب) والآسي : الطبيب جمعه أساة (القاموس : أ س ا) .
(٣) ما بين المعقوفتين كلمة غير مفهومة في الأصل .
(٤) صفة جزيرة العرب ١٠٢ .

كَبِرْتُ وَهَدَّنِي مَرُّ اللَّيَالِي ... وَصِرْتُ مِنَ الزَّمَانِ إلى الرمين
وَوَدَّعَنِي الشَّبَابُ وَدَقَّ عَظْمِي ... فَلَسْتُ أَنُوءُ إلاَّ بِاليَدَيْنِ
وَأَصْبَحَ كَالمُبَيَّرِدِ عَظْمُ سَاقِي ... وَلاَزَمَنِي ارْتِعَاشُ الرُّكْبَتَيْنِ
وأَظْلَمَ مَا عَلَى عَيْنَيَّ مِمَّا ... تَهَدَّلَ مِنْ سُقُوطِ الحَاجِبَيْنِ
فَمَا ذَمَّتْ بَنُو قَحْطَانَ يَوْماً ... إِذَا ذَكَرَتْ مَسَاعِي ذِي رُعَيْنِ
نَشَأْتُ مَعَ المُلُوكِ وَكُنْتُ فِيهِمْ ... أَسُوسُ لَهُمْ أُمُورَ الخَافِقَيْنِ
وَكُنْتُ لِمَعْشَرِيْ إِذْ كُنْتُ رُكْناً ... وَزَيْناً في الحَوادِثِ غَيْرَ شَيْنِ
بَنِيَّ وإِخْوَتِي إِنْ حَانَ يَوْمِي ... وَشَاهَدْتُمْ مَعَ الأَشْهَادِ حَيْنِيْ
سَبِيْلِيْ في العَشِيْرَةِ فَاسْلُكُوْهُ ... لِتَحْمَدَهُ العَشِيْرَةُ بَعْدَ عَيْنِي
[١٣/أ] وَلاَ تَسْمُوا لِمَجْهَلَةٍ فَتَغْوُوا ... غَوايَةَ سَاقِطٍ مَا بَيْنَ بَيْنِ
فَإِنَّ العَقْلَ مِفْتَاحُ المَعَالِي ... وَإِنَّ الجَهْلَ شَيْنٌ غَيْرُ زَيْنِ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدِّعبل بن علي ، أنَّ ذا مقار أقبل على عشيرته وولده ، فقال لهم : ما الاثنان منكم وإن قرب أمرهما مثل الواحد وإن عظم أمره . اجتمعوا تعزُّوا ، ولا تتفرقوا فتذلُّوا ، فإنّ القداح واحدها يهون كسره ، والاثنان منها يصعب أمرهما وكسرهما ، والثلاثة منها يمتنع عن الكسر . ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

مَا يَغْلِبُ الواحِدُ الاثْنَيْنِ في سَبَبٍ ... وَلاَ يَحِيدُ عَنِ النَّجْدِ الضَّعِيفَانِ
مَا سَاعِدٌ أبداً كَالسَّاعِدَيْنِ وَإِنْ ... لَمْ يَبْلُغَاهُ وَلا كَالقِدْحِ قِدْحَانِ
فَرْدُ الرِّجَالِ ذَلِيْلٌ لاَ نَصِيْرَ لَهُ ... وَذُو الشَّرَاكَةِ في عِزٍّ وَسُلْطَانِ
إِنَّ القِدَاحَ إِذَا لاَوَيْتَهُنَّ مَعاً ... عَزَّتْ ولما تَحُكْ فِيْهَا الذِّرَاعَانِ
ولا تَقَرَّ إذا مَا إِنْ فَرَقْتَ لَهَا ... تَحْتَ الرَّوَاجِبِ مِنْ مَثْنَى ووحدانِ[(١)]
هَاتَا ضَرَبْتُ لَكُمْ قَوْمِيْ بِهَا مَثَلاً ... وَقَدْ عَلِمْتم لَكُمْ سِرِّيْ وَإِعْلاَنِي

(١) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع (القاموس : ر ج ب) .

أُوْصِيكُمُ بِالَّذِيْ مَا لِلرِّجَالِ بِهِ   أَوْصَى الأَوَائِلُ مِنْ أَمْلاكِ قَحْطَانِ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ ذا جوال واسمه عامر بن حرب بن ذي مقار أقبل على إخوته وولده ، فقال لهم : ما كل موصٍ يبلغ فيما يوصي . ولا كل مومىء يصيب فيما يومىء . للبلاغة دليل ، وللإصابة مواقع ، والحكم لا يعدو المَهْيَع[1] ولا يضِلُّ النهج السوي . أطيعوا الأرشد منكم تعزوا ، ولا تعصوا أمره فتذِلُّوا ، واجتمعوا تُهابوا وتُرجوا ، ولا تتفرقوا فتعادوا وتجووا[2] . وأنصفوا الناس ، واعدلوا فيما يُفضى إليكم من أمورهم تحمدوا ، وأحسنوا أخلاقكم معهم تسودوا ، فالشَّرف مع الحمد حيث كان ، والعفو في الإنصاف حيث استبان ، والطاعة مع السؤدد .

ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

مَتَى مَا اجْتَمَعْتُمْ نِلْتُمُ العِزَّ كُلَّهُ   وَأُعْطِيْتُمُ المُلْكَ اللقاح المؤثلا[3]

وأَضْحَى مُوالِيْكُم عَزِيْزاً مُؤَبَّداً   وَأَمْسَى مُعَادِيْكُمْ مُهَاناً مُذَلَّلا

وَصَارَ لَكُمْ أَمْرُ الأَنَامِ وَنَهْيُهُمْ   وَصِرْتُمْ لَهُمْ رُكْناً وكَهْفاً وَمَوْئِلا

بِكُمْ يَهْتَدِيْ مَنْ يَطْلُبُ القَصْدَ مِنْهُمُ   وَيَسْطو بِكُمْ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ تَطَوَّلا

وَمَا يَسْتَوِي السَّيْفَانِ مَاضٍ يَهُزُّهُ   شُجَاعٌ وَمُلْقَى صَارَ جُنْحاً مُفَلَّلا

وما القَاهِرُ المَخْصُوصُ بالنَّصْرِ كالَّذِيْ   يَضِلُّ وَيُمْسِيْ خَائِفاً مُتَوَجِّلا

[١٣/ب] وَمَا مَنْ يُنَادِيْ قَوْمَهُ فَتُجِيْبُهُ   ثَمَانُونَ أَلْفاً جَحْفَلاً ثُمَّ جَحْفَلا

كَمَنْ لَوْ تَنَادَى آخِرَ الدَّهْرِ لَمْ يَجِدْ   لَهُ نَاصِراً إلاَّ غَوِيّاً مُذَلَّلا

وحدثني علي بن محمد عن جده الدعبل بن علي أنّ ذا مناخ[4] دعا إخوته

---

(١) طريق مهيع : بيّن (القاموس : هـ ي ع) .

(٢) الجوى : هوى باطن والحزن (القاموس : ج و ى) .

(٣) مر في الحواشي السابقة معنى اللقاح والمؤثل .

(٤) نسب معدّ ٢/٢٦٨ .

وقومه من بني عبد شمس فقال لهم : لا يسود المرء إلا بكرمه ولا ينال منتهى العز إلا بقومه ، ولا يرزق محبته الناس إلا بإحسانه ، ولا ينال الملك إلا ببذله المال للخاصة والكافة من نصرته ورجاله ، ولا يدوم له الملك إلا بعدله فيهم وإنصافه لهم . ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

مَا سَادَ فِيمَنْ مَضَى من قَبلَنا أَحَدٌ ... إلاَّ المُشَهَّرُ والمعْرُوفُ بالكَرَمِ
وَلاَ حَوَى المُلْكَ مَأْمُولٌ وَمُرْتَغِبٌ ... إلاَّ بِمَعْشَرَةِ العَالِيْنَ فِي الفخمِ
وَمُحْسِنُ القَوْمِ لَمْ يَعْدِمْ مَوَدَّتَهُمْ ... وَمِنْ وِدَادِهِمُ المذْمُومُ في العَدَمِ
وَلاَ يَنَالُ امْرُؤٌ مُلْكَ المُلُوْكِ إِذَا ... لَمْ يَبْذُلِ المَالَ لِلأَشْيَاعِ وَالخَدَمِ
وَلاَ يَدُوْمُ لَهُ مُلْكٌ وَلاَ شَرَفٌ ... إِلاَّ بِإِنْصَافِهِ وَالعَدْلِ فِي الأُمَمِ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ ذا الكَلاَع واسمه يزيد بن هاشم أقبل على بني عمه وإخوته وولده فقال لهم : معشر الجماعة من ولدي وإخوتي وبني عمي ، لو كان الملك يدوم لأحد لدام لأسلافكم الذين ملكوا البلاد ، فأحسَنُوا السيرة في أهلها ، وأَخَذُوا للضعيف من القوي ، وأَمَّنُوا السبل ، وأذلوا الجبابرة ، وأبادوا المفسدين ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وعَمَروا الأرض شرقها وغربها ، وعندكم مما أنا باثٌّ لكم شارح عليكم من أخبارهم ومآثرهم ومفاخرهم مما تجتزئون به عما بعده . ثم أنشأ يقول : [من المتقارب]

شَهِدْتُ المُلُوكَ وَعَاشَرْتُهُمْ ... وَكُنْتُ وَزِيراً لَهُمْ وابْنَ عَمْ
فَحَازُوْا البِلاَدَ وَمَنْ حَلَّهَا ... مِنَ النَّاسِ مِنْ عَرَبٍ أَوْ عَجَمْ
وَقَدْ أَخَذُوا الخَرْجَ في شَرْقِها ... وَفي غَرْبِهَا مِنْ جَمِيْعِ الأُمَمْ
وَدَانَتْ لَهُمْ سُوْقَةُ العَالَمِيْن ... وَأَهلُ العُلاَ وَالْمُلُوكُ القِدَمْ
بَنِيَّ وإِخْوَتِيَ الأَقْرَبَيْن ... وَمِنْ بَيْنِكُمْ لِيَ مِنْ ذِيْ رحَمْ
عليكم [ ][1] ... مِنَ المَجْدِ ما اسْطَعْتُمُ وَالْكَرَمْ

---

(١) ما بين المعقوفتين كلام مطموس في الأصل .

فَــإنَّ النَّــوَالَ يُعِــزُّ الــرِّجَــالَ وَيُنْــزِلُهُــم فــي الــذُّرَى والقِمَــمْ
بِــهِ فُضِّــلَ الأَجْــوَدُونَ الكِــرامْ عَلــى كُــلِّ مَــنْ حَمَلَتْــهُ القَــدَمْ
بِــهِ كَمَــلَ المَــالِــكُ المَــالِكِيْــنَ مِــنَ ابْنَــاءِ قَحْطَــانَ قِــدْمــاً وَتَــمْ
وَصَــاتِــيَ هَــا ، فَبِهَــا فَــاعْمَلُــوا وَصُــونُــوا بِهَــا المُلْــكَ بَعْــدَ النِّعَــمْ
[١٤/أ] وَإِنَّ يَزِيْداً لَكُمْ ذَا الكَلاَعِ لَفِــيْ النُّصْــحِ والــوُدِّ لاَيُتَّهَــمْ
وَمَهْمَــا قَضَــى رَبُّكُــم كَــائِــنٌ مِــنَ الأَمْــرِ فِيْــهِ وَجَــفَّ القَلَــمْ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ سيف بن ذي يزن[١] بن أَسْلَمْ بن زيد بن الغوث الأصغر بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعه وهو حمير الأصغر بن كعب بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس لما وفد إليه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأميّة بن عبد شمس القرشي وخويلد بن أسد بن عبد العزى في النَّفر الذين وفدوا بهم من قريش ، فاستأذن عبد المطلب له ولمن معه بالوصول إلى سيف بن ذي يزن واسمه النعمان بن معد يكرب بن أسلم بن زيد بن الغوث الأصغر . قال : فأذن لهم بالدخول ، فدخلوا عليه ، فاستأذن عبد المطلب بن هاشم في الكلام ، فقال له وزير سيف بن ذي يزن : إن كنت ممن يتكلم بين أيدي الملوك فقد أذنَّا لك . قال : فقام عبد المطلب بين يديه وحوله الملوك وأبناء الملوك ، وعن يمينه وشماله الأقاول وأبناء الأقاول[٢] وسيفه مجرد بين يديه ، وهو مضمخ بالعنبر ،

---

(١) انظر ابن هشام ١/ ٢٢ ، والروض الأنف ١/ ٥١ الكامل لابن الأثير ١/ ١٥٨ ، والأخبار الطوال ٦٣ ، المسعودي ط باريس ٣/ ١٦٢ ـ ١٧٢ ، النويري ١٥/ ٣٠٩ ، نزهة الجليس ١/ ٢٧٦ ، شرح القصورة الدريدية ٨٧ ، التيجان ٣٠٣ ، واسمه يختلف .

(٢) الذي في القاموس مادة (ق و ل) · أقوال وأقيال ومقاول ومقاولة وهم من دون الملك الأعلى كما مرّ في بعض الحواشي . وليس فيه أقاول .

ووبيص[1] المسك في مفْرِقه . فقال له عبد المطلب : إنَّ الله قد أحلَّك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبِتاً طابت أَرُومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن ، فأنت ـ أَبَيْتَ اللعن ـ رأس العرب الذي إليه تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد ، وربيعها الذي تخصب منه البلاد ، سلفك خير سلف ، وأنت من بعدهم خير خلف ، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلِك من أنت خلفه . أيها الملك نحن أهل حرم الله وسكنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي فَدَحَنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة .

قال : فلما سمع سيف بن ذي يزن هذا الكلام من عبد المطلب بن هاشم أقبل عليه بوجهه ، فقال له : أيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . قال : فقال سيف بن ذي يزن : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال : فقال سيف بن ذي يزن : ادنُ إلي يا عبد المطلب بن هاشم . ثم أقبل عليهم جميعاً فقال لهم : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملكاً رِبَحْلاً[2] يعطي عطاء جَزْلاً . قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا [١٤/ب] ظعنتم . ثم انهضوا إلى دار الضيافة والوفود . قال : فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم بالانصراف . قال : وأجريت عليهم الأنزال[3] . فلما كان بعد فراغ ذلك الشهر انتبه لهم سيف بن ذي يزن انتباهة ، فأرسل على عبد المطلب بن هاشم فأدناه وأخلى مجلسه . ثم قال له : يا عبد المطلب ، إني مفضٍ إليك من سر علمي أثراً لو يكون غيرك لم أبُح له به ، ولكني وجدتك معدِنه ، فأطلعتك عليه ، فليكن

---

(١) الوبيص : اللمعان (القاموس : و ب ص) .

(٢) الربحل : العظيم الشأن (القاموس : ر ب ح ل) .

(٣) الأنزال مفردها نُزُل ونُزْل : ما هيىء للضيف أن ينزل عليه (القاموس : ن ز ل) .

ذلك عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه ، فإنه بالغ فيه أمره ، فإني وجدت في الكتاب المكتوب والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً جسيماً وخطراً عظيماً ، فيه شرف الحياة وفضل الممات ، للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة . فقال عبد المطلب : أيها الملك مثلُك سِرٌّ وبِر ، فما هو فداك أهل الوبر والمدر ، زمراً بعد زمر ؟ قال : فقال سيف بن ذي يزن : إذاً ولد بتهامة غلام به علامة ، له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة . قال : فقال عبد المطلب بن هاشم : أبيت اللعن لقد أُبتُ بخبر ما آب به وفد قوم ، ولولا هابَةُ الملك وإعظامه وجلالته لسألته من إشارة إياي ما أزداد به شرفاً ، فإن رأى الملك أن يخبرني بإفصاح فقد وضح لي بعض الإيضاح . قال : فقال سيف بن ذي يزن : هذا حينه الذي يولد فيه ، أو قد ولد ، اسمه محمد ، بين كتفيه شامة ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمّه ، قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، تعز لهم أنصاره ، وتذل بهم أعداؤه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، وتستفتح بهم كرائم الأرض ، يعبد الرحمن ، ويزجر الشيطان ، ويكسر الأوثان ، ويُخمد النيران ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله . قال : فخرَّ عبد المطلب ساجداً . فقال له سيف بن ذي يزن : ارفع رأسك ، فقد ثلج صدرك وعلا كعبك ، فهل أحسست من أمره شيئاً؟ قال : نعم أيها الملك ، كان لي ولد ، وكنت به معجباً جذلاً ، وعليه رفيقاً ، فزوجته كريمة من كرائم قومي ، يقال لها آمنة بنة وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كلُّ ما ذكرت من العلامة . قال : فقال سيف بن ذي يزن : والبيت ذي [١٥/ أ] الحُجُب ، والعلامات على النقب ، إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب ، وإنَّ الذي قلت لك ما قلت فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنَّهم له عدو ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . واطوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط

الذين معك ، فإني لست آمن أن تدخلهم النَّفَاسة[1] من أن تكون لك الرئاسة ، فيبغون لك الغوائل ، وينصبون لك الحبائل ، وهو فاعلون ذلك وأبناؤهم ، ولولا أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي وَرَجِلِي حتى أُصَيِّر يثرب دار مملكتي ؛ فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن مدينة يثرب استحكام أمره فيها ، وأهل نصره وموضع قبره . ولولا أني أقيه الآفات وأبقي عليه العاهات لأوطأت أسنان العرب كعبه ولأعلنت على حداثة سنه ذكره ، ولكني صارف ذلك إليك بغير تقصير بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل وعشر[ة] أعبد وعشر جوار وعشرة أرطال تبر وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبراً ، وأمر لعبد المطلب بن هاشم بعشرة أضعاف ذلك . ثم قال له : ائتني بخبره وما يكون من أمره بعد رأس الحول .

قال : فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول الحول . فكان عبد المطلب يقول : يا أيها الناس ، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ، فإنه إلى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ويعقبني من بعدي من شرفه وذكره وفخره . قال : فإذا قيل له ما ذلك ؟ قال : ستبلغن ولو بعد حين[2] .

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس القرشي[3] : [من الوافر]

جَلَبْنَا المَدْحَ تحقبه[4] المَطَايَا إلى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ

---

(١) نَفَس عليه الشيء نَفَاسة : لم يره أهلاً له . (القاموس : ن ف س) .

(٢) انظر الخبر في مروج الذهب ٢/ ٨٣ ـ ٨٤ ، والخلاصة ١٥٢ ـ ١٥٥ .

(٣) أمية بن عبد شمس جدّ الأمويين كانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه ، عاش إلى ما بعد ولادة النبي ﷺ . سبائك الذهب ٦٨ ، سمط اللآلي ٦٧٤ ، الأزرقي ١/ ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٦ . والإكليل ٨/ ٥ .

(٤) كل ما شدّ في مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب ، والحقيبة : الرفادة في مؤخر القتب (القاموس : ح ق ب) وفي الإكليل تجفيه . وقال أجفى الماشية : أتعبها ولم يدعها=

مُغَلْغَلَةً مَرَابِعُهَا ثِقَالاً إلى صَنْعَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيْقِ
تَؤُمُّ بِنَا ابْنَ ذِيْ يَزَنٍ وتفري ذوات بُطُونِهَا أُمَّ الطَّرِيْقِ
وتَرْعَى في مَخَايِلِه بُرُوْقًا مُوَافِقَةَ الوَمِيْضِ إلى بُرُوق
فَلَمّا وَافقَتْ صَنْعَاءَ صَارَتْ بِدَان المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيْقِ

وحدثني علي بن محمد ، عن جدّه الدعبل بن علي ، أنّ ذا أصبح ، واسمه الحارث بن زيد بن سعد بن عدي بن ملك بن مسدد بن أسد بن حنظلة بن زرعة ، وهو حمير الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل [١٥/ب] بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس لما اجتمعت حمير وكهلان أمرها على طاعتها له واتِّباعها إياه وقبولها منه عند الأمر والنهي والسلم والحرب أقبل على بنيه ، فقال لهم : يا بني ، إن حمير وكهلان لم تجمع أمرها على طاعتها لي واتباعها إياي وقبولها مني على أني أشرفها منصباً ، ولا أني أحق بالملك فيها دون غيري منها ، ولكنها وزنت رجالها المعدودة ، فألفتني أرجحها عند الأمر والنهي ، فقلدتني أمرها ، وآثرتني بالملك على غيري منها . ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

بَنِيَّ مَا إنْ جَهِلَتْ حِمْيَرٌ والحَيُّ مِنْ كَهْلَانَ ذَا أَصْبَحِ
إذْ قَلَّدُوْنِيْ أَمْرَهُمْ وَاهْتَدَوْا فِيْ طَاعَتِيْ بِالطَّائِرِ الأَفْلَحِ
حَتَّى اصْطَبَحْنَا بِالخُيُولِ العِدَا في كُلِّ مَا هصت وما أفتح[١]
إنَّا لَنَا مُلْكُ بَنِيْ يَعْرُبٍ وَزَانَهُ الإِصْلَاحُ لِلْمُصْلِحِ
أَمَا تَرَوْنِي فَانِياً شَاحِبَاً أَسْمَطَ مِثْلَ الوَقْعِ في صَرْدَحِ[٢]
فَقَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَارَهُ وَلَمْ أَرُدَّ الطَّرْفَ عَنْ مَطْمَحِ

= تأكل فهي مجفاة . قال : ويروي تحفيه المطايا على أكوار .
(١) قال في القاموس : هصه : وطئه فشدخه .
(٢) سمط الجدي يسمِطُه : نتف صوفه (القاموس : س م ط) . الوقع : الحجارة (القاموس : و ق ع) الصردح : المكان المستوي (القاموس : ص ر د ح) .

بَنِـيَّ سِيْـرُوا سِيْـرَتِـيْ إِنَّهَـا	كَمَـا عَلِمْتُـمْ سِيْـرَةُ المُفْلِـحِ
وَاتَّخِـذُوا الإِحْسَـانَ مَـا بَيْنَكُـمْ	تِجَـارَةَ الـرَّابِـحِ والمـربـح
بُثُّـوا عَطَـايَـاكُـمْ وَجُـوْدُوْا بِهَـا	لِـلأَعْجَـمِ الضَّـاوِيْ وَلِلْمُفْصِـحِ[1]
بِهَـا لَكُـمْ يُفْتَـحُ بَـابُ العُـلاَ	إِذَا العُـلاَ بِـالبَـأْسِ لَـمْ يُفْتَـحِ
وَصَّيْتُكُـم فَـاغْتَنِمُـوا نُصْـحَ مَـنْ	عَسَـاهُ إِنْ أَمْسَـى فَلَـمْ يُصْبِـحِ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ حمير وكهلان لمّا قسم بينهما أبوهما سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملكه ، فجعل سياسة الملك لحمير ، وجعل أعنة الخيل وملك الأطراف والثغور لكهلان ـ وقد تقدم شرح خبرهما في أول كتابنا هذا ـ قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن حمير وكهلان لم يزالا على ذلك ، وكذلك أولادهما وأولاد أولادهما ، لحمير على كهلان الطاعة ، ولكهلان على حمير المال والنجدة ، والملوك الراتبة في [١٦/أ] دار المملكة من حمير ، والملوك في الأطراف والثغور من كهلان . ويقال[2] : إنَّ كهلان لما تقلد الأطراف وثغورها وأعمالها واستقام أمره وأمر أخيه حمير على ذلك قال لأخيه حمير : إنِّي قد عزمت على أن أبعث العساكر إلى الأطراف والثغور ، فامر بالمصالح لذلك . قال : فأمر حمير بالمال والخيل والإبل والطعام والروايا[3] وتقدم إلى أهل المملكة أن يمتثلوا ما يومىء إليهم به كهلان . قال : فجرّد كهلان إلى أرض الحجاز جرهماً ومن لف لفها ، وولى عليهم رجلاً منهم يقال له هيّ بن بي بن جرهم بن سعد بن جرهم ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا أمره ، وقسم عليهم الخيل والعدد والسلاح والزاد والروايا وأعطاهم الأدلاء . وكتب لَهيٍّ بن بَيّ بن

---

(١) الضاوي : الطارق (القاموس : ض و ى) .
(٢) الخلاصة ، ١٧ .
(٣) الروايا جمع راوية وهي المزادة يكون فيها الماء وتطلق كذلك على الدابة التي يستقى عليها (القاموس : ر و ى) .

جرهم إلى ساكن الحجاز من العمالقة بالسمع والطاعة له ودفع الإتاوة إليه .

وكان كتابه الذي كتب لهي بن بي بن جرهم : [من الطويل]

أَلاَئِكُ مِنْ كَهْلاَنَ عَنْ أَمْرِ حِمْيَرٍ لِعَامِلِهِ هَيٍّ بنِ بَيٍّ بنِ جُرْهُمِ[1]
إِلى مَنْ بِأَعْرَاضِ الحِجَازِ مَحَلُّهُ مِنَ النَّاسِ طُرّاً مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
عَلَى أَنَّ هَيّاً لَيْسَ يُعصَى وَإِنَّهُ لَدَيْهِمْ لَذُوْ أَمْنٍ أثيرٍ مُقَدَّمِ
وإلاَّ فَلاَ يَلْحَوْنَ إلاّ نُفُوسَهُمْ إذَا مَا مُنُوْا بِالقَسْطَلاَنِ العَرَمْرَمِ[2]

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنّ هيًّ بن بيّ بن جرهم خرج إلى الحجاز فيمن معه من قومه وتباعهم ، فأقام بها والياً عليها ، وغلب العمالقة عليها ، وكتب كتاب ولايته على جبل من جبال مكة ، وهي هذه الأبيات :

ألائك من كهلان عن أمر حمير لعامله هيٍّ بن بيٍّ بن جرهم

ويقال : إنّ كهلان لما فرغ من تجهيز هيٍّ بن بيٍّ بن جرهم وتجريده للحجاز ، جرد[3] إلى أرض نجد رجلاً يقال له : الهميم بن عاصم بن جُلهمة الجديسي في جَديس ومن لحقها من التباع ، وولاه عليهم ، وأمره لهم بالسمع والطاعة ، وكتب إلى سكان نجد كتاباً ، وهو : باسمك اللهم : [من الطويل]

من ابنِ سَبَا كهلانَ عنْ أمرِ حِمْيَرٍ إلى أهل نجدٍ للهميم بن عاصمِ
عَلى أنه من لَيْسَ يُعْصَى وأنَّه يُطاع ويُعْطى الخرجَ خرجَ السَّوائمِ
وإلاَّ فَلاَ يَلْحَوْن إلاّ نُفُوسَهُم إذا ما مُنُوا بالخَيْل تحتَ الضَّراغِمِ

قال : فتجهز الهميم والياً على أهل نجد ، وسار إليهم في جديس وتباعهم

---

(١) ألائك جمع ألوكة وهي الرسالة (القاموس : أ ل ك) .
(٢) القسطلان : الغبار (القاموس : ق س ط ل) العرمرم : الجيش الكثير (القاموس : ع ر م) .
(٣) الخلاصة ، ١٧ ـ ١٨ .

بالخيل والعدة من الروايا والأزواد [١٦/ب] وسارت الأدلاء بين يديه حتى توسط بلاد نجد وَمَلَكَها ، وأخذ الإتاوة من أهلها وأنفذها إلى كهلان .

ثم[١] إنّ كهلان دعا عمرو بن جحدر جد ثمود ، ويقال : إنّه جد صالح النبي ﷺ ، فجرّده إلى الوادي ، وهو فيما بين الشام والحجاز ، وعقد له الولاية على ساكن الوادي ، وأمر قومه ثموداً له بالطاعة والسمع والمسير بين يديه ، وكتب له كتاباً إلى ساكن الوادي ، وكان شاكته قوم يقال لهم زهرة بن عملاق .

وكان كتابه الذي كتبه لعمرو بن جحدر : [من الطويل]

مِنِ ابْنِ سَبَا كَهْلَانَ عَنْ أَمْرِ حِمْيَرَ ... إلى سَاكِنِ الوَادِي لِعَمْرِو بنِ جَحْدَرِ
عَلَى طَاعَةٍ مِنْهُمْ لِعَمْرِو بْنِ جَحْدَرِ ... وَلِلْقَيْلِ كَهْلَانٍ وَلِلْمَلْكِ حِمْيَرِ
وَدَفْعِ الإتَاوَاتِ الَّتِي يُسْأَلُونَهَا ... إلى عَامِلِيْ مِنْ كُلِّ بَدْوٍ وَمُحْضِرِ
وَإلاّ فَلاَ يَلْحَوْنَ إلاَّ نُفُوسَهُمْ ... إذَا زَارَهُمْ بِالبِيْضِ وَالسُّمْرِ عَسْكَرِيْ

قال : فتجهز عمرو بن جحدر والياً على ساكن الوادي ، وسار إليهم في قومه وعشيرته ثمود بالخيل والإبل والعدة ، ومضى قاصداً حتى أتى الوادي ، فخرج سكان الوادي منه إلا من سمع له وأطاع منهم .

ويقال[٢] : إنَّ كهلان لما فَرَغ من تجهيز عمرو بن جحدر إلى الوادي الذي ذكر الله عز وجل في محكم كتابه ﴿ وَثَمُوْدَ الَّذِيْنَ جَابُوْا الصَّخْرَ بِالْوَاد ﴾[٣] أقبل على ابنه زيد بن كهلان ، وقد مات أخوه حمير ، وولي الملك من بعده ابنه الهَمَيْسَع بن حمير فقال : بُني ، العم قد ولّى ، والأب على الأثَر . ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

---

(١) الخلاصة ١٨ .
(٢) الخلاصة ، ٢٣ .
(٣) سورة الفجر ٩/٨٩ .

يَـا زَيْـدُ إِنَّ أَبَـاكَ أَصْبَـحَ نَسْـرُهُ لاَ يَسْتَطِيْـعُ إِلـى النُّهُـوضِ سَبِيْـلاَ
الْيَـوْمَ عَمُّـكَ خَـفَّ عَنَّـا آفِـلاً وَغَـدَاً سَتَشْهَـدُ مِـنْ أَبِيْـكَ أُفُـوْلاَ
يَـا زَيْـدُ لاَ تَعْـصِ الهَمَيْسَـعَ وَانْتَظِـرْ مَـا عُـوْنَـهُ لَـكَ بُكْـرَةً وَأَصِيْـلاَ[1]
يَـا زَيْـدُ إِنَّ لَـكَ الحَجَـازَ وَنَجْـدَهَـا وَإِلَيْـكَ أَصْبَـحَ خَـرْجُهَـا مَحْمُـوْلاَ
وإِلَيْـكَ يَـرْفَـعُ عَـنْ ثَمُـوْدَ وَغَيْـرِهَـا عَمْرُوُ بْنُ جَحْدَرَ خَرْجَهَا المسؤولا
وإِلَيْـكَ عُـدَّتْ بـالهَمِيْـمِ رَوَاحِـلُ بـالْخَـرْجِ تُعْلِـنُ بـالمَسِيْـرِ ذَمِيْـلاَ[2]
كُـنْ لِلْهَمَيْسَـعِ طَـائِعـاً كَيْمَـا يَكُـنْ لَكُـمُ الهَمَيْسَـعُ نَـاصِـراً وَكَفِيْـلاَ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن زيد بن كهلان حفظ وصية أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وتقلد للهميسع ما كان يتقلده كهلان لأخيه حمير .

ويقال : إن زيد بن كهلان أرسل إلى عمّال أبيه في الأطراف والثغور بتجديد العهد منه لهم ، فسمعوا وأطاعوا ودفعوا إليه الإتاوة [١٧/أ] التي كانوا يدفعونها إلى أبيه .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدِّعبل بن علي ، أنّ[3] زيد بن كهلان جرَّد ابنه عمرو بن زيد بن كهلان - وهو أبو جُذَام - إلى مدين وما حولها في الخيل والرجال ، وعقد له الولاية على مَدْيَن ، وأمرهم له بالسمع والطاعة ودفع الإتاوة إليه ، وكتب كتاباً إلى أهل مدين يقول فيه : [من الطويل]

لِعَمْـرِو بـنِ زَيْـدٍ مِـنْ أَبِيْـهِ وَعَمِّـهِ أَلُوْكٌ إلى الأَحْيَاءِ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنِ
بِطَـاعَتِهِـمْ عَمْـراً وَتَسْلِيْـمِ خَـرْجِهِـمْ إِلَيْـهِ جِهَـاراً عَـنْ مُسِـرٍّ وَمُعْلِـنِ

---

(١) الماعون : المعروف والانقياد والطاعة (القاموس : م ع ن) .
(٢) الذميل : السير اللين (القاموس : ذ م ل) .
(٣) الخلاصة : ٢٣ .

وإلا فـإنّ الخيـل تعبـط مـدينـاً وَتَسْـرَحُ أُخْـرَاهَـا بِلَحْـجٍ وَأَبْيَـنِ[1]

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ عمرو بن زيد بن كهلان سار إلى مدين بالخيل والرجال والياً عليهم حتى نزل بها ، وملكها ، وأطاعه أهلها ، وأخذ إتاوتها .

ويقال : إن شعيب النَّبي ﷺ من نسله وذريَّته ، وإنه جدّ بني جُذام ، ثم أحد بني وائل منها .

ويقال[2] : إنَّ زيد بن كهلان لمَّا مات الهَمَيْسع بن حمير أقبل على ابنه مالك بن زيد بن كهلان وهو يقول : [من الوافر]

أَتَـى يَـوْمُ الهَمَيْسَـعِ فَـاحْتَـوَاهُ وَزَيْـــدٌ يَـــوْمُـــهُ لاَ بُـــدَّ آتِ
وَكُـــلٌّ لاَ مَحَـــالَـــةَ مُسْتَقِـــلٌّ يَـؤُوْلُ مِـنَ الحَيَـاةِ إِلـى المَمَـاتِ
وَكُـلُّ جَمَـاعَـةٍ لاَ بُـدَّ يَـوْمَـاً تَصِيْـرُ إِلـى التَّفَـرُّقِ وَالشَّتَـاتِ
فَمَـالِـكُ سِـرْ لأيمـن فـي مسيـري لِـوَالِـدِهِ إِذَا حَـانَـتْ وَفَـاتِـي
أَطِعْـهُ يُطِعْـكَ أَيْمَـنُ مِثْـلَ مَـا قَـدْ أَطَـاعَنِـي الهَمَيْسَـعُ فـي هَنَـاتِ
هُـوَ المَلِـكُ العَظِيْـمُ وَأَنْـتَ فَـاعْلَـمْ عَلَـى أَعْمَـالِـهِ وَعَلَـى الـوُلاَةِ
إِلَيْـكَ إِتَـاوَةُ الأَطْـرَافِ تُجْبَـى وَتَـأْمُـرُ فـي الجُيُـوشِ المُعْلَمَـاتِ

فيقال : إنَّ مالك بن زيد بن كهلان حفظ وصية أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وولي بعد أبيه ما كان يتولاه أبوه زيد بن كهلان من الثغور والأطراف وتدبير العساكر في طاعة الملك أيمن بن الهميسع . وكتب إلى عمال أبيه ، فأجابوه بالسمع والطاعة ودفع الإتاوة إلى ما قبله .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ مالك بن زيد بن

---

(١) عبط التراب : أثاره (القاموس : ع ب ط) . لَحْجِ : بلد بعدن أبْيَن (القاموس : ل ح ج) .
(٢) الخلاصة ، ٢٤ .

كهلان جرّد ابنه ربيعة بن مالك ـ وهو جد همدان ـ في الخيل والرجال والعدد ، وعقد له الولاية على من معه ، وكتب له كتاباً إلى ساكن الأَجواف[1] أهل سهولها وجبالها ، وهم بقية عاد الصغرى التي تعرف إلى اليوم قبورهم وآثارهم في الجبال والسهول بها . وكان [١٧/ ب] كتابه لربيعة بن مالك : باسمك اللهم ، [من الطويل]

إلى سَاكِنِ الأَجْوَافِ مِنْ أَيْمَن العُلَا ... وِمِنْ مَالك القَيْلِ بن زَيْدِ بنِ كَهْلَانِ

رَبِيْعَـةُ لاَيُعْصَـى لَـدَيْهِـمْ ويُتَّقَـى ... رَبِيْعَـةُ مَـا غـالـى بِـهِ المَلَـوانِ[2]

وَيُجْبَى إِلَيْـهِ الخَـرْجُ عِنْـدَ وُجُـوبِـهِ ... عَلَى طَاعَـةٍ تُـرْضِيْهِ مِنْهُـمْ وإِذْعَـانِ

وإلاَّ فَـلاَ يَلْحَـوْنَ إلاَّ نُفُـوْسَهُـمْ ... إِذَا دَاسَتْهُمُ رَجْلِي هُنَاكَ وَفُرْسَانِي

قال : فلما فرغ من تجهيز ولده الربيعة بن مالك جرّد ابنه أُدَد بن مالك إلى الأعراض[3] والأسواد من نجران وتثليث[4] والشَّرُوم[5] وبيشة[6] والحنو[7] وما حولها من البلاد المسكونة في الخيل والعدد . وكتب له إلى ساكنها ، وهم بقايا إرم بن حام بن نوح النبي ﷺ ، آثارهم بها إلى اليوم ، وقبورهم تعرف بالإرميات ، وذلك أنها مبنية على هيئة الآكام والقِنان[8] . وكان كتابه الذي كتب لأُدَد إليهم حيث يقول : [من الرمل]

---

(١) الأجواف : قال ياقوت : الجوف : واد في أرض عاد (معجم البلدان : جوف) .

(٢) الملوان : الليل والنهار (القاموس : م ل ا) .

(٣) الأعراض قرى بين الحجاز واليمن والسراة . (معجم البلدان : الأعراض) .

(٤) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة المكرمة (معجم البلدان : تثليث) .

(٥) الشروم : قرية كبيرة عامرة باليمن فيها عيون وكروم (معجم البلدان : شروم) .

(٦) بيشة : من عمل مكة ممايلي اليمن من مكة على خمس مراحل (معجم البلدان : بيشه) .

(٧) ذكر الهمداني أنه ماء الحنو في بلاد بكر (صفة جزيرة العرب ١٢٣) .

(٨) الأكمه : التل من القف من حجارة واحدة ، أو هي دون الجبال ج أكم (القاموس أ ك م) . والقنة : الجبل المستوي على الأرض ج قنان (القاموس : ق ن ن) .

بِـاسِمِـكَ اللّهُـمَّ مِـنْ أَيمَنِهـا بْـنِ (م) مَـالِـكِ الخَيْـلِ إِلَـى الحَـيِّ إِرَمْ
لِسَـاكِـنِ الأسـوادِ والأَعْـرَاضِ مِـنْ بَطْـنِ نَجْـرَانِ إلَـى مـا حَيْـثُ هُـمْ
أَنْ يُطِيْعُـــــوا أُدَداً بَيْنَهُـــــمُ مَـــا نَهَــارٌ لاحَ أَوْ لَيْــلٌ هَجَــمْ
وَيُــــوَفُّـــوْا أُدَداً مَسْــأَلَــــةً مِـنْ ثِمَـارِ النَّخْـلِ والخُـوْرِ النَّعَـمْ[1]
أَوْ فَـلاَ يَلْحَـوْنَ يَـوْمَـاً غَيْـرَهُـمْ إِنْ عَـلاَهُـمْ قَسْطَـلاَنٌ مُـدْلَهِـمْ[2]

قال : فسار أُدد بن مالك بن زيد بن كهلان حتى نزل فيما بينهم والياً عليهم ، فسمعوا له وأطاعوا ، ودفعوا إليه إتاوتهم ، وهو أبو مَذْحِج .

ثمَّ إنَّ مالك بن زيد بن كهلان توفي ، وولي ابنه نَبْت[3] بن مالك ما كان يتولاه أبوه مالك بن زيد بن كهلان في طاعة الملك أيمن بن الهَمَيْسع بن حِمْير .

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنّ أيمن بن الهميسع رثى مالكاً بهذه الأبيات ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

تَـوَلَّيْـتَ عَنِّـي مَـالِـك غَيْـرَ قـافِـلِ وإنِّـي غَـدَاً لاَ شَـكَّ نَحْـوَكَ قَـافِـلُ
أَوَاخِـرُنَـا لاَ شَـكَّ أَنَّ مَصِيْـرَهُـمْ مَصِيْـرٌ إِلَيْـهِ صَـارَ مِنَّـا الأَوَائِـلُ
كَـذَلِكُـمُ تِلْـكَ النُّجُـوْمُ إِذَا بَـدَتْ طَـوَالِعُهُـنَّ التَّـالِيَـاتُ الأَوَافِـلُ
فَلَوْ كَانَ يجدي اليَومَ شَيْئَاً بُكاؤُنَا لَمَـا رَقَـأَتْ مِنَّـا الـدُّمُـوْعُ الهَـوَامِـلُ
سَيَخْلُفُـكَ المَـأْمُـوْلُ نَبْـتٌ وَإِنَّـهُ [ ][4] لما قَدْ كُنْتَ تَحْمِلُ حامِلُ
شَمَـائِلُـهُ الحُسْنَـى شَمَـائِلُـكَ الَّتِـيْ إِذَا ذُكِـرَتْ لَـمْ تَعْلُهُـنَّ شَمَـائِـلُ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدِّعبل بن علي ، أنَّ نَبْت بن مالك

---

(١) الخُور : النوق الغُزُر جمع خَوّارة (القاموس : خ و ر) .
(٢) مر معنى القسطلان ، ومدلهم : مبالغة مظلم (القاموس : د ل هـ م) .
(٣) نسب معد ١/ ٦٣ ، ٣٧٤ ، ٢/ ٢ ، ٢٣٨ . جمهرة الأنساب ٣١١ ـ ٣٦٩ .
(٤) مابين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

[١٨/أ] جرّد ابنه ثور بن نبت - وهو أبو كندة - إلى الأحقاف[1] بالخيل والرجال ، وعقد له الولاية على من بالأحقاف من سائر ولد هود النبي ﷺ وعشيرته ، وأمرهم بالسمع والطاعة له ، وكتب إليهم كتاباً يقول فيه : [من الطويل]

إِلَى سَاكِنِ الأَحْقَافِ مِنْ أَيْمَنِ العُلاَ ... لِثَوْرِ بن نَبْتٍ عَنْ أَبِيْهِ ابنِ مَالِكِ
عَلَى أَنَّ ثَوْرَاً لاَ يُخَالَفُ مَا دَهَتْ ... بَظَلْمَائِها ذَاتُ النُّجُوم الشَّوابِكِ
وَأَنَّ الإِتَاوَاتِ الَّتِي يُسْأَلُونَهَا ... تُوَفّى إلى ثَوْرِ بنِ نبتِ بن مَالِكِ
وَإِلاَّ فَلاَ يَلْحَوْنَ إلاَّ نُفُوسَهُمْ ... إِذَا رُمِيَتْ هَامَاتُهُمْ بالسَّنَابِكِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ ثور بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان خرج إلى الأحقاف ، وملكها ، وأخذ الإتاوة من أهلها ، وكتب كتاب ولايته على جبل من جبالها . فيقال : إن ذلك الكتاب إلى اليوم بيّن ظاهر ، يقرؤه من يجيد كتابة الأوائل . ويقال : إنَّ نبت بن مالك بن زيد بن كهلان لما توفي أيمن بن الهَمَيْسَع وولي الأمر بعده ابنه زهير بن أيمن أقبل على ابنه الغوث بن نبت بن مالك ، وكان كاملاً في كل أحواله من الشجاعة والفطنة والرأي الثاقب ، فقال وهو يرثي أيمن بن الهميسع[2] :
[من الطويل]

قَضَى نَحْبَهُ بَعْدَ الهَمَيْسَعِ أَيْمَنُ ... وَأَيْمَنُ فَاعْلَمْ خَيْرُ حَيٍّ وَهَالِكِ
وُكُلُّ امرِىءٍ لاشَكَّ يُقْضَى قَضَاؤُهُ ... وَيُسْقَى بِكَأْسِ النَّازِلِ المُتَدارِكِ
فَشِبْهُ بَنِي الدُّنْيا إذَا مَا جهِلْتَهُمْ ... كَتِلْكَ النُّجُوم التَّالِيَاتِ الشَّوَابِكِ
فَمَنْ بَيْنِ بَادٍ لاَحَ عِنْدَ طُلُوعِهِ ... وَمِنْ آفِلٍ دَانٍ وهاوٍ وَسَامِكِ[3]

---

(١) الأحقاف : رمال بأرض اليمن كانت عاد تنزلها (معجم البلدان : الأحقاف) .
(٢) الخلاصة ، ٢٦ - ٢٧ .
(٣) سامك : مرتفع (القاموس : س م ك) .

وَكُـلٌّ لَـهُ نُـورٌ عَلَـى قَـدْرِ ذَاتِـهِ وَسُلْطَانِـهِ عِنْـدَ اخْتِـلاَفِ المَسَـالِكِ
فَيَاغَوْثُ لاَ تَنْسَ الوَصَايَا الَّتِي بِهَا خَصَصْتُكَ يَا غَوْثَ بْنَ نبتِ بنِ مالِكِ
تُطِيْعُ زُهَيْراً مِثْلَ مَا كُنْتُ لَمْ أَزَلْ أُطِيْـعُ أَبَـاهُ أَيْمَـنَ بـنَ المَـلائِـكِ
أَطَعْـتُ وَوَافَتْنِـي الإِتَـاوَةُ جَهْـرَةً مُعَكَّمَـةً فَـوْقَ المَطِـيِّ الـرَّوَاتِـكِ[1]
بُنَـيَّ عَـرَفْـتَ الـرُّشْـدَ فَـاتَبِـعْ ضِيَـاءَهُ مَدَى الدَّهْرِ واسْلُكْ في الأُمُورِ مَسَالِكِي

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إن الغوث بن نبت بن مالك حفظ وصية أبيه ، وعمل بها ، وثبت عليها . ويقال : إنه كتب إلى عمال أبيه في الأطراف والثغور في طاعة زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَع بن حمير ، فسمعوا له وأطاعوا ، وحملوا إليه الإتاوة .

ويقال[2] إن الغوث بن نبت بن مالك جرَّد ابنه الأزد[3] بن الغوث إلى مأرب في الخيل والعدد ، وعقد له الولاية على ساكني أرض مأرب ، وأمرهم بالسمع والطاعة له . وكتب للأزد إليهم هذه الأبيات : [١٨/ ب] [من الطويل]

مِنَ الغَوْثِ عَنْ أَمْرِ المَلِيْكِ زُهَيْرِهَا إِلَـى مَـأْرِب بِـالأَمْـرِ والنَّهْـيِ لِـلأَزْدِ
عَلَـى أَنَّ بَعْـدَ الغَـوْثِ لِـلأَزْدِ أَمْـرُهُ وَتُجْبَى لَهُ الأَطْرَافُ في القُرْبِ والبُعْدِ
وَلاَ تَتَعَـدَّى طَـاعَـةَ الأَزْدِ مَـأْرِبٌ مَدَى الدَّهْرِ ما وَهْمٌ براكبه يحدي[4]
وإلاَّ فَـلاَ يَلْحَـوْنَ إلاَّ نُفُـوْسَهُـمْ إِذَا مَـامُنُـوا بِـالـزَّاعِبِيَّـةِ والجُـرْدِ[5]

---

(١) عكم المتاع يعكِمه : شدّه (القاموس : ع ك م) . رتك البعير : قارب خطوه (القاموس : ر ت ك) .
(٢) الخلاصة ، ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) ابن خلدون ٢/ ٢٥٢ ، اليعقوبي ١/ ٢١٢ ، جمهرة الأنساب ٤٥٨ ، صبح الأعشى ١/ ٣١٨ ، سبائك الذهب .
(٤) الوهم : الجمل الذلول (القاموس : و ه م) .
(٥) الزاعبية : الرماح (القاموس : ز ع ب) والجرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر السبّاق (القاموس : ج ر د) .

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن مأرب سمعت للأزد وأطاعت . ومأرب اسم قبيلة من قبائل عاد الصغرى . ويقال : إن الأزد تولى بعد أبيه الغوث جميع ما كان يتولاه لزهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حمير ، وكذلك لابنه عُريب بن زهير حين ولي الملك بعد أبيه زهير بن أيمن بن الهميسع .

ويقال : إن الأزد لم يزل والياً للأطراف والثغور للملك عريب بن زهير ، تسمع له العمال ، وترفع إليه ما يجب عليها لبيت مال الملك . وكان كلما مات في الأطراف والثغور عامل من عمالها تقلد عمله الأرشد من ولده أو من إخوته أو من بني عمّه ، يرفع الإتاوة ويسمع ويطيع ، ويحيي رسم من مضى قبله في طاعة من تقلد الملك من حمير وطاعة من تقلد الأطراف والثغور من كهلان .

ويقال : إن مازن[1] بن الأزد بن الغوث ولي بعد أبيه الأزد بن الغوث الأطراف والثغور للملك عريب بن زهير بن أيمن ، وكذلك لابنه قطن بن عريب حين صار الملك إلى قطن بن عَريب بعد أبيه .

ويقال : إنَّ مازن بن الأزد رثى عَريب بن زهير حين توفي في شعره الذي يقول فيه[2] : [من البسيط]

أَمْسَى عَرِيْبٌ عَنِ المُلْكِ اللَّقَاحِ وَعَنْ ... رَعِيَّةِ المُلْكِ تَحْتَ التُّرْبِ مَرْمُوسَا

وَكَانَ فِيْمَا مَضَى المُلْكُ اللَّقَاحُ بِهِ ... مستوسِقَ العِزِّ في الآفَاقِ مَأْنُوْسَا[3]

لَوْلاَ أَبُو وَائِلٍ خَيْرُ الوَرَى قَطَنٌ ... لأَصْبَحَ المُلْكُ مَيَّاداً وَمَنْكُوْسَا

بِهِ استَقَامَتْ لَنَا الدُّنْيَا وأَسْعَد مَنْ ... بِالأَمْسِ بَعْدَ عَرَيْبٍ كانَ مَنْحُوْسَا

---

(١) الخلاصة ، ٣٨ .
(٢) انظر الإكليل ط الكرملي ٨/ ٢٧١ ، السبائك ٦٠ ، طرفة الأصحاب ٨٩ .
(٣) استوسق الأمر : انتظم (القاموس : و س ق) .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ مازن بن الأزد[1] جرّد أخاه نصر[2] بن الأزد إلى الشَّحْر[3] في الخيل والعدد ، وكتب له إليهم كتاباً يقول فيه : [من البسيط]

مِـنْ مَـازِنٍ مُهْـرَقٌ فِيْـهِ الأَلُـوكُ إلـى ... مَنْ حَلَّ بالشَّحْرِ مِنْ عُجْمٍ ومَن عَرَبِ[4]

أَنْ اسْمَعُوْا وادْفَعُوا الخَرْجَ الوَفِيَّ إلى ... نَصْرٍ وَدِيْنُوا وَلاَ تَعْصُوْهُ في سَبَبِ

يَـوْمـاً وَإلاَّ فَلُـومُـوا فِيْـهِ أَنْفُسَكُـمْ ... إِذَا مُنِيْتُـم لَنَـا بِـالجَحْفَـلِ اللَّجِبِ[5]

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ نصر بن الأزد سار إلى [١٩/أ] الشَّحْر حتى نزل بها ، وسمع له من بالشَّحْر وأطاع ، ودفعوا إليه الإتاوة . ويقال : إنَّ الجُلُنْدى[6] بن كَركَر بن المستكبر بن مسعود الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً[7] من بني نصر بن الأزد ، وذلك المُلك ثابت إلى اليوم في آل الجُلندى بن كركر ، يُجبى إليهم في دار مملكتهم ما كان يُجبى إلى الجُلندى من البر والبحر .

وآل الجُلندى هم الذين يقول فيهم الشاعر : [من الخفيف]

إنَّ خَيْـرَ المُلُـوْكِ آلُ الجُلُنْـديّ (م) عشيـرا وَمَحْتِـداً وَجُـدُوْدَا

---

(١) الخلاصة ، ٣٨ .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب ط ليدن ٢١١ ، جمهرة الأنساب ٣٥٥ .

(٣) صقع بين عدن وعمان ضبطه الفيروزبادي بالفتح (القاموس : ش ح ر) وضبطه ياقوت بالكسر (معجم البلدان : الشحر) .

(٤) المُهْـرَق : الصحيفـة (القـامـوس : هـ ر ق) ، والألـوك والألـوكـة : الـرسـالـة (القاموس : أ ل ك) .

(٥) الحَجْفل : الجيش الكبير . (القاموس : ج ح ف ل) . اللّجِب : ذو صياح وجلبة (القاموس : ل ج ب) .

(٦) انظر جمهرة أنساب العرب (هرون) ٣٨٤ .

(٧) يشير إلى الآية ٧٩ من سورة الكهف وهي من الآيات التي تتحدث عن قصة موسى مع الخضر عليهما السلام .

مَلَكُوا البَحْرَ بَعْدَمَا مَلَكُوا البَرَّ (م) إِلَى اليَوْمِ [ ] وسجودا[1]
وترى الكرد في الجموع وفي السيف (م) لها اليوم سُوَّقاً[2] وعبيدا
تلك أبناؤهم تحن لها الفرس وسَادُوا المُلُوكَ نُبْلاً وَجُودَا
غَلَبُوا النَّاسَ بِالمَكَارِمِ وَالفَضْلِ وَعَنْدَ اللِّقَاء فَاقُوا الأُسُودَا

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ مازن بن الأزد وصّى ابنه ثعلبة بن مازن ، فقال : [من الكامل]

أُوْصِيكَ ثَعْلَبَةَ بنَ مازِنَ مَابِهِ وَصَّانِيَ الأَزْدُ الهُمَامُ الأَوْحَدُ
أَوْصَانِيَ الأَزْدُ الأَغَرُّ بِطَاعَتِي لِمُلُوكِ حِمْيَرَ مَا اسْتَنَار الفَرْقَدُ
فِي مُلْكِهِمْ لَكَ نِصْفُ مَا يَحْوُوْنَهُ مِنْ فَيْئِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ أَوْ أَزْيَدُ
إِنَّ المُتَوَّجَ بِالعُلَا قَطَنُ الَّذِيْ لَكَ كَاهِلٌ فَاعْلَمْ وَأَنْتَ لَهُ يَدُ
فَأَطِعْهُ تَغْلَبُ كَيْ تَدُوْمَ مَعَ العَلا لَكَ بَعْدِيَ العِزُّ اللَّقَاحُ الأَتْلَدُ[3]

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ ثعلبة بن مازن بن الأزد حفظ وصيته أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها بعد وفاة أبيه ، وسمع وأطاع الملك قَطَن بن عريب ، وتقلد له الأعمال التي كان يتقلدها أبوه مازن بن الأزد ، وكتب إلى عماله في الثغور والأطراف ، فسمعوا له وأطاعوا ، ودفعوا إليه الإتاوة التي كانوا يدفعونها إلى أبيه .

ويقال : إنَّ ثعلبة بن مازن بن الأزد جرّد أَحْمَسْ بن عوف[4] بن أنمار بن دارس بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان إلى الطود ، وهي البلاد التي يقال لها السَّرَاة ، وهي فيما بين الطائف وجرش ، جرده إليها

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة .
(٢) في الأصل : سوّق .
(٣) مر معنى اللقاح في بعض الحواشي السابقة .
(٤) في نسب معدّ ١/٣٩٧ ، أحمس بن الغوث بن أنمار .

في قومه بني أنمار بن دارس بن عمرو بن الغوث وفيمن ضمهم إليه من سائر حمير وكهلان .

قال : وسألت أبا علي الهجري عمن خرج مع أحمس بن عوف بن أنمار من قومه بني أنمار ، فقال : خرج معه بنو بجيله بن أنمار وبنو [١٩/ب] أقيل بن أنمار ، وهم من بني عوف بن أنمار ، فسألته عن أقيل ، فقال : منهم شهران وكرد وناهس والأوس وأس ، فسألته عن ولد أحمس فقال : من ولده بنو أمينه بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن عوف بن أنمار . وهذه القبائل تعرف بخَثْعَم وبُجيلة وأسد بن الحميس القحافي ، وقحافة بطن من شهران : [من البسيط]

نَحْنُ الَّذِيْنَ وَرِثْنَا العِزَّ عَنْ إِرَمَ ... أَيَّامَ أَحْمَس وَافَاهَا بِأَنْمَارِ
أَيَّامَ حِمير تَغْلُو نَارُ عِزَّتِهَا ... مَا أَوْقَدَ النَّاسُ في الآفَاقِ مِنْ نَارِ
أَيَّامَ كَهْلَان قَوْمي ضَارِبُونَ لَهُمْ ... مَا ضَمَّتِ الأَرْضُ مِنْ بَدْوٍ وَأَمْصَارِ
تُجْبَى إِلَيْهِمْ إِتَاوَاتُ البِلادِ وَلاَ ... يَعْصِيْهِمُ مِنْ مُقِيْمٍ لاَ وَلاَ سَارِ
وَتِلْكَ آثَارُ آبَائِيْ بِمَأْرِبَ لاَ ... يَفُوقُهَا اليَوْمَ مِنْ رَسْمٍ وَآثَارِ

ويقال : إن ثعلبة بن مازن بن الأزد لم يزل للملك قَطَن بن عريب على ما كان عليه أبوه مازن بن الأزد لقطن بن عريب بن زهير ، وكذلك لابنه الغوث بن قَطَن بن عريب .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنَّ ثعلبة بن مازن وصَّى ابنه امرأ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

هَلِ امْرُؤُ القَيْسِ لاَ يَنْسَى الوَصَاةَ لِمَا ... يَسْرِي بِهَا نَهْجُ آبَائِي وَأَجْدَادِي
إِنَّ امْرَأَ القَيْسِ مَنْ مَازِلْتُ آمُلُهُ ... لِلْمُلْكِ بَعْدِيَ مِنْ نَسْلِيْ وَأَوْلاَدِي
يُطِيْعُ لِلْغَوْثِ لاَ يَعْصِيْهِ فِي أَمَلٍ ... يُرْشِدُه ذَاكَ فِي دُنْيَاهُ إِرْشَادِي

لَـهُ البِـلادُ وَمَــنْ فِيْهِــنَّ قَــاطِبَــةً   مِـنْ مَعْشَـرٍ حَـاضِـرٍ أَوْ مَعْشَـرٍ بَـادِ
والغَوْثُ بَيْتُ سِمَاكُ المُلْكِ يَرْفَعُهُ   وَكُــلُّ بَيْــتٍ بِمِسْمَــاكٍ وَأَوْتَــادِ[1]

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ امرأ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد حفظ وصية أبيه في طاعة الملك الغوث بن قَطَن بن عريب .

ويقال[2] : إنَّ امرأ القيس ولي الثغور والأطراف لأربعة من ملوك حمير ، للغوث بن قطن ، ولوائل بن الغوث ، ولعبد شمس بن وائل ، ولجُشَم بن عبد شمس .

ويقال إنَّه قلّد ابنه حارثة الأحساب بن امرىء القيس الثغور والأطراف التي كان [٢٠/أ] يتقلدها في طاعة الملوك من حمير . وكتب له كتاباً يقول فيه :

[من الرجز]

مِـنِ امْـرِىءِ القَيْـسِ أَلُـوْكٌ لابْنِـهِ   حارثِةِ الأَحْسَابِ عَنْ أَمْرِ جُشَمْ[3]
إلـى جَمِيْـعِ النَّـاسِ بـالطَّـاعَـةِ فـي   آفَـاقِهَـا مِـنْ عَـرَبٍ وَمِـنْ عَجَـمْ
وَأَنْ يُجِيْئُـوا الخَـرْجَ مَحْمُـولاً إلـى   حَـارِثَـةِ الأَحْسَـابِ عُمَّـالُ الأُمَـمْ[4]
أَوْ لاَ يُـلاَمُ جُشَـمٌ إنْ أَعْـرَضُـوا   أَوْ أَتَـتِ الخَيْـلُ إِلَيْهِـمْ لِلنِّقَـمْ

فيقال : إنَّ حارثة بن امرىء القيس ولي الأطراف والثغور في حياة أبيه وبعد وفاته في طاعة الملك جشم بن عبد شمس وفي طاعة الملك عمرو بن عبد شمس وفي طاعة الملك الفظاظ بن عمرو[5] بن عبد شمس .

---

(١) المسماك : عود الخباء (القاموس : س م ك) .
(٢) الخلاصة ، ٤٧ .
(٣) مر معنى الألوك في بعض الحواشي السابقة .
(٤) أجأته : جئتُ به (القاموس : ج ا ء) والجملة على لغة أكلوني البراغيث . وفي الخلاصة : وأن يؤدي الخرج .
(٥) في الخلاصة ٥١ : الملطاط بن عمرو .

ويقال : إن حارثة بن امرىء القيس عمر ثلاثمائة سنة ونيفاً وثمانين سنة .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنَّ[1] حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وصَّى ابنه عامر بن حارثة فقال :
[من البسيط]

يَا عَامِرَ الخَيْرِ إِنِّيْ قَدْ وَهَي بَصَرِيْ ... وَرَابَنِـيْ مَـا يَـرِيْـبُ المُسْتَـرِيْبِيْنَـا
وَرَابَنِيْ مَا يَرِيْبُ ابْنَ الثَّلاثَةِ مِنْ ... [عدّ] المِئَاتِ الخَوَالِيْ والثَّمانِيْنَا[2]
قُلِّـدْتُ أَعْمَـالَ أَسْـلافِـيْ وقُلِّـدَهَـا ... قبْلِـيْ أَبِـيْ لِلَّهَـامِيْـمِ الأَغَـرِّيْنَـا[3]
فَاثْبُتْ عَلَى كُلِّ مَا أُوْصِيْ إِلَيْكَ وَمَا ... قَدْ كَانَ قِدْماً بِهِ الآبَاءُ يُوْصُوْنَا
لاَ تَعْدُ عَنْ طَاعَةِ الفَظَّاظِ إِنَّكَ مَا ... لَـمْ تَعْصِـهِ لـم تخـف [ ][4]
لَـمْ يَعْـصِ آبَـاؤُنَـا آبَـاءَهُـمْ وَلَقَـدْ ... كـانُـوا لآبَـائنـا قِـدْمـاً مُطِيْعِيْنَـا
إِنَّـا نُجِيْـبُ بَنِـيْ أَعْمَـامِنَـا وَهُـمُ ... إِذَا دَعَـوْنَـاهُـمُ يَـوْمَـاً يُجِيْبُـوْنـا
نُعِـزُّهُـمْ فَيُعِـزُّوْنَـا وَنَنْصُـرُهُـمْ ... فَيَنْصُـرُوْنَـا وَنَكْفِيْهِـمْ فَيَكْفُـوْنَـا
نَسْعَى لَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ إِذَا نَهَضُوا ... وإِنْ نَهَضْنَـا يَكُـوْنُـوا بَيْـنَ أَيْـدِيْنَـا
إِذَا مَضَـى سَيِّـدٌ مِنَّـا يَقُـومُ لَنَـا ... مقَـامَـهُ سَيِّـدٌ لَـمْ نَعْـدُهُ فِيْنَـا
يَحْكِـيْ أَوَاخِـرُ أَقْـوَامِـيْ أَوَائِلَهُـمْ ... وإِنَّ مَـنْ بَعْـدَنَـا مِنَّـا سَيَحْكِيْنَـا
يَا عَامِرَ الخَيْرِ لاَ تَنْسَى الوَصَاةَ وَكُنْ ... بعْـدِيْ لِقَـوْمِـكَ مِـنْ خَيْـرِ المُـوَصِّيْنَـا

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ عامر بن حارثة بن امرىء القيس حفظ وصيَّة أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها فيما بينه وبين قومه ،

---

(١) الخلاصة ، ٥٢ ـ ٥٣ .
(٢) مابين معقوفتين كلمة غير موجودة ويقتضيها الوزن والمعنى . والبيت في الخلاصة
ورابني مـا يـريـب ابـن الثـلاث بـه ... مـن المئـات الخـوالـي والثمـانينـا
(٣) اللُّهام : الكثير الخير (القاموس : ل هـ م) .
(٤) ما بين المعقوفتين كلمتان غير واضحتين .

وتولى ما كان يتولاه أبوه من الأطراف والثغور للفظاظ بن عمرو ، ولمن قبله من ملوك حمير .

ويقال : إنّ عامر بن حارثة بن امرىء القيس [٢٠/ب] ، هو الذي تسميه العرب ماء السماء ، وهو الذي افتخر به أحد الأنصار في قوله حيث يقول :
[من الوافر]

أنا ابن مِزِيقيا عمرو وجدّي … أبوه عامرٍ ماء السَّماءِ
نماني الفيض ثعلبة المرجى … وقيلةُ تلكَ سَيِّدَةُ النِّساءِ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ عامر[1] بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد جرّد إلى الشام بأمر الملك الفظاظ بن عمرو [ ][2] ، وولى عليهم زيد بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير ، وعقد له الولاية وأمرهم بالسمع والطاعة له . وزيد هذا هو أبو عذرة وأبو جُهَيْنَة ونهد ويحمد والحميس وشحمة وأخوه بلي ويهوى أبناء عمرو بن الحارث .

ويقال : إنّ ماء السماء كتب لزيد بن عمرو إلى أهل الشام كتاباً . وكان كتابه : [من الطويل]

لِزَيْدٍ إلى مَنْ حَلَّ بِالشَّامِ حُجَّةٌ … مِنَ المَلِكِ الفَظَّاظِ والقَيْلِ عَامِرِ
عَلَى أَنَّ زَيْداً لَيْسَ يُعْصَى وَيَنْتَهِيْ … إلى أَمْرِ زَيْدٍ كُلُّ بَادٍ وَحَاضِرِ
وَيُعْطُوْنَهُ الخَرْجَ الَّذِيْ يُسْأَلُوْنَهُ … وَفَاءً وَلاَ يَلْقَوْنَهُ بِالْمَعَاذِرِ
وَإلاَّ فَلاَ يَلْحَوْنَ إلاَّ نُفُوْسَهُمْ … إِذَا مَامُنُوا بِالسَّابِحَاتِ الضَّوَامِرِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ زيداً لما خرج

---

(١) الخلاصة ، ٥٣ ـ ٥٤ .
(٢) ما بين المعقوفتين كلمة غير مفهومة في الأصل .

بأحياء قُضاعة إلى الشَّام والياً عليها ، وصار إلى الحجاز ، وقع بينه وبين عشيرته كلامٌ وحماشات[1] ومحاسد فتفرقوا عنه ، فمنهم من رجع إلى اليمن ، ونسله إلى اليوم بها ، وهم خولان بن عمرو بن الحاف بن جلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ومنهم من نزل بالحجاز ونسله إلى اليوم بها ، وهم بلي[2] بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وأما نسل زيد بالحجاز فجهينة بن زيد ، وحميس بن زيد ، وعذرة بن زيد . وأما من مضى من قضاعة إلى الشام فنسله إلى اليوم بها وهم عاملة بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن قضاعة وإخوتهم بنو وَبْرة . وأكثر وَبْرة بالشام عدداً وأشدهم بأساً وعضداً ونجدة وعزاً بنو كلب بن وبرة . منهم حباب ، ومنهم العمائر ، ومنهم عدي وعليم وأوس الله ويتم الله وسعد الله ويسع الله ووهب الله وزيد الله . فهؤلاء بنو رفيدة بن ثور بن كلب[3] . ومنهم تنوخ ، ومنهم العاص ، ومنهم كنانة الكبرى . فهؤلاء حماة الشام [٢١/أ] ومدائنها . وأنشد أحدهم شعراً يقول فيه : [من الكامل]

نَحْنُ اللِّيُوْثُ إِذَا حَمَسْنَا في الوَغَى ... وَالْحِلْمُ شِيْمَتُنَا إِذَا لَمْ نَحْمَسِ[4]
نَحْنُ الصُّخُوْرُ فَمَنْ يُحَاوِلُ عَضَّهَا ... تَفْلُلْ نَواجِذَهُ الصُّخُورُ وَيَضْرَسِ
نَحْنُ البُحُوْرُ فَمَنْ يَخُضْ أَمْوَاجَهَا ... تَعْطِفْ عَلَيْهِ بِيَمِّهَا المعلنطس
عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ نِزارٍ كُلِّهَا ... مَاضَرْبُنَا وَطِعَانُنَا بِتَمَلَّسُ[5]
أَعْدَاؤُنَا لَمْ يَسْلَمُوا وَحَرِيْمُنَا ... لَمْ يُسْتَبَحْ وَتُرَاثُنَا لَمْ يُغْمَسِ[6]
فَأَبَا عُثَيْمٍ إِنَّنِيْ لَكَ نَاصِحٌ ... فَأَجِلَّنَا وَبِغَيْرِنَا فتمرّسِ

---

(١) حَمِش حَمْشاً وحمشة : غضب (القاموس : ح م ش) .
(٢) انظر نسب معد ٣/ ١ .
(٣) انظر رفيدة بن ثور في نسب معد ١/ ١٩٧ .
(٤) حمِس : اشتد وصلب في الدين والقتال (القاموس : ح م س) .
(٥) تملّس : أفلت (القاموس : م ل س) .
(٦) غمس : غاب (القاموس : غ م س) .

واجْعَلْ هِجَاءَكَ فِي لِئَامِ مُحَارِبٍ أَوْ فِي بَنِي عَجْلَانَ أَوْ فِي فَقْعَسِ
أَتَحُوطُ مِنَّا هَاشِماً لِتُجِيْرَهَا هَـذَا لَعَمْرُكَ أَنْكَسُ المتنكس
وَقُضَاعَةُ الرَّأسُ الرَّئِيسُ وَأَنْتُمُ ذَنَبٌ لَعَمْرِ أَبِيْكَ غَيْرُ مُرَأَّسِ
وَهُمُ الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وَأَنْتُمُ بَيْضٌ مَتَى يُقْرَعْ بِهِ يَتَنَفَّس[1]

ويقال : إنَّ ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس عُمِّر ثلاثمئة سنة ونيفاً وستين سنة ، وولي الأطراف والثغور لأربعة من ملوك حمير ؛ للفظّاظ بن عمرو ، وليشدد بن الفظاظ ، ولأبرهة بن يشدد ، ولإفريقيس بن أبرهة .

وحدّثني علي بن محمد ، عن جدّه الدِّعبل بن علي ، أنّ ماء السماء وصّى ابنه المزيقياء بن ماء السماء ، وهو عمرو بن عامر[2] فقال : [من الكامل]

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَابَنِي عَيْشاً لَهُ فِي النَّاقِلِيْنَ دَبِيْبُ
أَبْلَيْتُ عُمْرِيْ فِي ثَلَاثِ عَمَائِمٍ مَنْشُورَةٍ أَلْوانُهُنَّ ضُرُوْبُ
يَقَقٌ وسَحَقٌ كَالبَسِيْلِ وَحَالِكٌ مِثْلُ الدُّجُنَّةِ حِنْدِسٌ غِرْبِيْبٌ[3]
مَرَّتْ بِيَ المِئَتَانِ والمِئَةُ الَّتِي جَلّى عَلَيْهَا عُمْرِيَ المَحْسُوبُ
يَا عَمْرُو أَنْتَ خَلِيْفَتِيْ فَاعْمَلْ بِمَا قَدْ كُنْتُ أَعْمَلُ فالرَّشِيْدُ قَرِيْبُ
أَطِعِ المُلُوكَ وَلاَ تَزِغْ عَنْ أَمْرِهِمْ ما اخْضَرَّ فِي فَنَنِ الأَرَاكِ قَضِيْبُ
وَإِذَا دَعَوْكَ أَجِبْهُمُ واسْمَعْ لَهُمْ كَي يَسْمَعُوا لَكَ دَاعِياً وَيُجِيْبُوا

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ المزيقياء بن ماء

---

(١) تنفس : تصدع (القاموس : ن ف س) .
(٢) انظر التيجان ٢٦٢ ، ابن خلدون ٢/ ٢٥٣ ، تاج العروس : م ز ق ، السبائك ٦٢ ، جمهرة الأنساب ٣١١ وما بعدها . نسب معد ٢/ ٣ ، ١١٦ .
(٣) اليقق : الأبيض (القاموس : ي ق ق) ، السحق : النخل الأحمر (القاموس : س ح ق) البسيل : عصارة الحناء والعصفر (القاموس : ب س ل) الدُّجنة : الظلمة (القاموس : د ج ن) ، الحندس : الليل المظلم (القاموس : ح ن د س) الغربيب : الحالك السواد (القاموس : غ ر ب) .

السماء حفظ وصية أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وولي بعد أبيه ما كان يتولاه ماء السماء للملوك من قبله من أعمال الأطراف والثغور ، فكتب إلى العمال في كل بلد ، فسمعوا له ، وأطاعوا ، ورفعوا إليه الإتاوات التي كانوا يرفعونها إلى أبيه .

ويقال : إنّ عمرو بن عامر كان أيسر رجل في زمانه وأكثرهم مالاً وعَدداً وعُدداً ومواشي وضياعاً ، وكان له ثلثا جنتي مأرب . [٢١/ب] ويقال : إنَّه عُمِّر عمراً طويلاً ، ورزق جماعة من الأولاد ، وعاش حتى رأى من نسله وبنيه وبني بنيه سبعة آباء . ويقال : إنَّه تولى الأعمال والأطراف والثغور لأربعة من ملوك حمير ؛ لعمرو بن أبرهة ، ولشرحبيل بن عمرو ، وللهُدهاد[1] بن شرحبيل مصاهر الجن ، وهو أبو بلقيس صاحبة العرش التي زوجها الله من سليمان بن داود النبي ﷺ .

ويقال : إنَّ أم بِلْقيس بنت الهدهاد امرأة من الجن ، كان سبب تزويجها للهدهاد بن شرحبيل أنَّه خرج للصيد في جماعة من خدمه وخاصته ، فرأى غزالة يطردها ذئب وقد أضافها إلى[2] مضيق ليس للغزالة منه مخلص ، فحمل الهدهاد بن شرحبيل على الذئب حتى طرده عن الغزالة ، وخلّصها منه ، وانفرد يتبعها ، لينظر أين منتهى ما به . قال : فسار في أثر الغزالة ، وانقطع عنه أصحابه ، فبينما هو كذلك إذ ظهرت مدينة عظيمة ، فيها من كل شيء دعاه الله باسمه من الشاء والنعم والنَّخل والزرع وأنواع الفواكه . قال : فوقف الهدهاد بن شرحبيل دون تلك المدينة متعجباً مما ظهر له ، إذ أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة التي ظهرت له يسلّم عليه ، ورحّب به وحيّاه . ثم قال له : أيُّها الملك إني أراك متعجباً مما ظهر لك في يومك هذا . قال : فقال

---

(١) انظر التيجان ١٣٥ ، والنويري ١٥/ ٢٩٣ ، التاج ٢/ ٥٤٥ ، منتخبات من أخبار اليمن ١٠٩ . والخلاصة ٧٤ ـ ٧٦ .

(٢) أضافه إلى : ألجأه (القاموس : ض ي ف) .

الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن يشدد بن الفظّاظ بن عمرو بن عبد شمس : إنّي لكما ذكرت ، فما هذه المدينة ؟ ومن ساكنُها ؟ قال له : هذه مأرب ، سميت باسم بلد قومك ، وهي مدينة عَرم ، حي من الجن ، وهم سكانها ، وأنا اليلب بن صعب ملكهم وصاحب أمرهم ، وأنت الهدهاد بن شرحبيل ملك قومك وسيدهم وصاحب أمرهم . قال : فبينما هو معه في هذا الكلام إذ مرت بهما امرأة لم ير الراؤون أحسن منها وجهاً ، ولا أكمل منها خلقاً ، ولا أظهر منها صباحة ، ولا أطيب منها رائحة . قال : فافتتن بها الهدهاد بن شرحبيل ، وعلم ملك الجن أنه قد هويها وشغف بها . فقال له : يا بن شرحبيل ، إن كنت قد هويتها فهي ابنتي وأنا أزوجكها . قال : فجزاه الهدهاد بن شرحبيل خيراً على كلامه ، وقال له : من لي بذلك ؟ فقال اليلب : أنا لك بما عرضت عليك من تزويجي إياها منك ، وجمعي بينكما على أسرّ الأحوال وأيمنها ، فهل عرفتها ؟ [٢٢/أ] فقال له الهدهاد : ما عرفتها قبل يومي هذا ، فقال اليلب للهدهاد : هي الغزالة التي خلصتها من الذئب ، ولأكافئنك على جميع فعالك أبداً بأحسن من محبواتها ، فتأهب لدخولك عليها ، فقد زوَّجتك إياها بشهادة الله وشهادة ملائكته ، فإذا أردت ذلك فقدّم إلينا بخاصتك من قومك وأهل بيتك وملوك قومك ليشهدوا مِلاكك[١] ويحضروا وليمتها ، وميعادك الشهر الدَّاخل . قال : فانصرف الهدهاد بن شرحبيل على الميعاد ، وغابت المدينة عنه ، فإذا هو بأصحابه حوله يدورون . فقالوا له : أين كنت ؟ فنحن في طلبك مذ فارقتنا ، ولم نترك شيئاً من هذه الفلوات إلا وقد قلبناه عليك وطلبناك فيه .

فقال لهم : لم أبعد ولم أغب[٢] وأقبل يسير وهو يقول : [من البسيط]

عَجَائِبُ الدَّهْرِ لاَ تَفْنَى أَوَابِدُهَا ... والمَرْءُ مَا عَاشَ لاَيَخْلُو مِنَ الْعَجَبِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الأَرْضَ يَعْمُرُهَا ... غَيْرُ الأَعَاجِمِ في الآفَاقِ وَالْعَرَبِ

---

(١) المِلاك والإملاك : عقد الزواج (القاموس : م ل ك) .
(٢) في الأصل : لم أجب ، ولم أجد لها وجهاً .

وَكُنْتُ أُخْبَرُ بِالجِنِّ الخُفَاةِ فَلا ... أَرُدُّ أَخْبَارَهَا إِلاَّ إِلى الكَذِبِ
حَتَّى رَأَيْتُ أَقَاصِيْراً مُشَيَّدَةً ... لِلْجِنِّ مَحْفُوفَةَ الأَبْوَابِ والحُجُبِ
يَحُفُّهَا الزَّرْعُ والمَاءُ المَعِيْنُ بِهَا ... مَعَ المَوَاقِيْرِ مِنْ نَخْلٍ وَمِنْ عِنَبِ[1]
مَا بَيْنَهَا الخَيْلُ مِنْ طَرْفٍ وَمِنْ تَلَدٍ ... والخُورُ فيها مِنَ الأَنْعَامِ والكَسَبِ[2]
وَكُلُّ بَيْضَاءَ تَحْكِيْ الشَّمْسَ ضَاحِيَةً ... هَيْفَاءَ لَفَّاءَ مِنْ مَوْصُوفَةِ العَرَبِ[3]
مَضَى جَمَادُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ رَجَبٌ ... وَسَوْفَ أُسْرِيْ عَلَى المِيْعَادِ فِي رَجَبِ
حَتَّى أُوَافِيَ خَيْرَ الجِنِّ مِنْ عَرَمٍ ... ذَاكَ ابْنُ صَعْبٍ هُوَ المَعْرُوفُ باليَلَبِ
أَبْغِيْ لَدَيْهِ الَّذِيْ أَرْجُوهُ مِنْ سَبَبٍ ... مِنَ التَّوَاصُلِ والإِصْهَارِ والنَّسَبِ

ويقال : إنَّ الهدهاد بن شرحبيل خرج على الميعاد إلى أصهاره الجن في خاصة قومه وخدمه حتى وافاهم ، فوجد قصراً بناه له الجن في فلاة من الأرض ، تحفُّه النخل والأعناب وألوان الزروع وأنواع الفواكه ، تجري فيه الأنهار الجارية . قال : فتعجب القوم من ذلك تعجباً شديداً ، ورأوا ملكاً عظيماً ، فنزلوا في القصر معه على فرش لم يروا مثلها ، وقربت لهم موائد ، عليها من طيبات المأكول وألوانها التي لم يأكلوا قط أطيب منها طعماً ولا أزكى رائحة ، وسُقوا من الشراب ما لم يشربوا قط أهضم منه ولا ألذَّ ولا [٢٢/ ب] أمرأ ولا أخف منه . فمكثوا معه ثلاثة أيام بلياليها في ذلك . ورفعت إلى الهدهاد بن شرحبيل امرأته الحرور بنة اليلب بن صعب العرمي ملك الجن . قال : وأذن الهدهاد لبني عمه وخاصة عشيرته بالانصراف إلى مواضعهم ، وصار ذلك القصر دار مملكته .

ويقال : إنه مكث زماناً طويلاً مع الحرور بنة اليلب بن صعب ، وولد منها

---

(١) أوقرت النخلة كثر حملها ، يقال نخلة موقِرة وموقِرٌ وموقَرَةٌ (مختار الصحاح : و ق ر) .

(٢) الخُور : النوق مفردها خوّارة (القاموس : خ و ر) .

(٣) اللفاء : الضخمة الفخذين (القاموس : ل ف ف) .

بِلقيس بنة الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن يشدد بن الفظاظ بن عمرو بن عبد شمس . قال : فلما ترعرعت بلقيس توفي أبوها الهدهاد ، ولم تعش بعده أمها الحرور بنة اليلب إلا قليلاً ، وبقيت بلقيس بنة الهدهاد بن شرحبيل مع أخوالها العرميين من الجن[1] .

ويقال إن ابن عم أبيها جلس بعد الهدهاد في الملك وهو شمرَّ يرعش[2] ، فسمع له الناس وأطاعوا ، ثم إنه أرسل إلى بِلْقيس يخطبها ، فأجابته إلى ذلك على أنه لا يخالفها في شيء تريده وفي شيء تكرهه ، فضمن لها ذلك وتزوجها . فيقال : إنها لم تزل تبث المواهب والإحسان في الناس حتى استمالتهم إلى طاعتها .

ويقال : إن شمَّر يرعش لم يمت حتى أعطاها خاتم الملك لِمَا رأى من كفايتها ورعايتها للمُلك وحفظها وحياطتها وحسن قيامها به ، فكان لا ينهى ولا يأمر غيرها على الرسم الذي قد جرى لها .

ويقال : إنه مات وما درى أحد بموته إلا في أيام سليمان بن داود النبي ﷺ حين رفعها الله زمن سليمان بن داود ﷺ ونقلها إليه . فلما توفي سليمان بن داود ﷺ انتقل الملك عن رهط بلقيس بنة الهدهاد بن شرحبيل إلى زرعة بن كعب ، وهو حمير الأصغر ، أخوه عبد شمس ، وهو سبأ الأصغر ، وهما ابنا كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدعبل بن علي ، أنَّ عمرو بن عامر

---

(١) انظر القصة والقصيدة في الخلاصة ٧٤ ـ ٧٦ .

(٢) انظر الإكليل ٨/ ٢٠٨ ـ ٢١٥ ، ١٠/ ١٩ ، تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ١/ ٢٠ ، جمهرة الأنساب ٤١١ ، سبائك الذهب ٢٠ ، التيجان ٢٢٠ ـ ٢٣٨ ، المعارف لابن قتيبة ٢٧٣ ، نسب معد ٢/ ٢٩٥ ، جمهرة الأنساب (هرون) ٤٣٩ .

عند ذلك أخبره كاهن بخراب السدّ وخراب مأرب ، وحذره ذلك ، وقال له : احتل في تخلصك من [٢٣/أ] ضررها فإنك في أوان ذهاب الجنتين وخراب السدّ .

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ عمرو بن عامر أولم وليمة ، جمع فيها أهل بيته ووجوه عشيرته ، وقد تقدم إلى ابنه ثعلبة بن عمرو ، فقال له : يا بني ، قد علمت ما أشرفنا عليه من خراب هذا السد وذهاب هاتين الجنتين . وقد عزمت على بيع الذي لنا فيهما ، وليس أحد يشتريه مني إلا بحيلة أحتالها . واعلم أني شأخاشنك في الكلام بحضرة وجوه العشيرة من حمير وكهلان ، فكلما كلمتك بكلمة شكعة[1] فاردد علي بمثلها أو بأشكع منها ، وإذا رأيتني رفعت يدي لأضربك بها فارفع يدك عليّ ، تري الناس أنك أردت ضربي بها ، حتى أحلف على بيع جميع ملكي في مأرب وخروجي منها ، أري الناس أني أريد لك إضرارك .

قال : فلما اجتمع الناس عنده لوليمته تلك من حمير وكهلان ، وفرغوا من الطعام ، وغسلوا أيديهم ، وقرب لهم الشراب ، أقبل عمرو بن عامر على ابنه ثعلبة بن عمرو فكلمه بكلام حوش ، قال : فرد عليه ثعلبة بن عمرو كلاماً مثل كلامه أو أشد ، قال : فرفع عمرو بن عامر يده على ابنه ثعلبة ليلطِمه ، قال : فرفع ثعلبة بن عمرو يده ، وقال له : وايم الله لئن لطمتني لألطِمنك . قال : فعند ذلك آلى يميناً لا كفارة لها على بيع جميع ما يملكه في أرض مأرب من الجنتين وغيرهما وخروجه منها . ونادى هل من مشترٍ ؟ قال : فلما رأى الناس أنه قد جدّ في البيع أقبلوا إليه ، وقالوا له : أتأذن لنا أن نساومك في أموالك هذه ؟ قال : فقال لهم : قد أذنت لكم ، فساوموا . قال : فقالوا له : نأخذ منك نصف الذي لك بمائة حِمْلٍ من كل شيء من المال الحسن . قال : فقال

---

(١) شكع كفرح : غضب ، أشكعه : أغضبه وأضجره وأملّه (القاموس : ش ك ع) .

لهم : هو لكم بما طلبتم . قال : فدفعوا إليه مائة حمل من كل حَسن قد سمَّوّه ؛ وهو عشرون حِملاً من التبر ، وعشرون حملاً من الفضة ، وعشرون حِمْلاً من عصب اليمن ، وعشرون حِمْلاً من طرائف الحجاز ، وعشرون حِمْلاً من الكافور الأشهب والعنبر [٢٣/ب] الهندي والمِسْك الأَذْفَر[١] .

قال فلما استوفى منهم عمرو بن عامر مائة حِمل من كل شيء على الوصف الذي ذكرناه سلم إليهم نِصف جميع الذي له من الجنتين ، ولم يجد من يشتري النِّصف الآخر ، فتركه ، وخرج من مأرب بجميع ولده وأهله وعشيرته كافة أزد ، وأقبل فيما لا يعلمه إلا الله، من العَدد والعُدد والخيل والإبل والشاء والبقر وغيرها من أجناس السوام ، فلا يرد قومه وكافة من معه من بني عمه ماء إلا أنزفوه ، ولا يُسيمون[٢] بلداً إلا أجدبوه . وفي ذلك ضربَتِ الأمثالَ لهم الرُّوادُ في البلاد ، حيث خرجت تلتمس لهم المرعى والماء . وكان من روادهم رجل من عمرو بن الغوث خرج لهم رائداً إلى بلاد إخوتهم هَمْدان[٣] فرأى بلاداً لا تقوم مرعاها ومياهها بماشيتهم ، فأقبل آتياً إليهم حتى وافاهم ، ثم قام فيهم منشداً وهو يقول : [من الوافر]

أَلَمَّـــا تَعْجَبُـــوا مِنَّـــا وَمِمَّـــا تَعَسَّفَنَـــا بِـــهِ رَيْـــبَ اللَّيَـــالِـــي
تَـــرَكْنَـــا مَـــأْرِبَـــاً وَبِهَـــا نَشَـــأْنَـــا وَقَـــدْ كُنَّـــا بِهَـــا فـــي حُسْـــنِ حَـــالِ
تَقِيـــلُ سُـــرُوجُنَـــا فـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ عَلَـــى الأَشْجَـــارِ والمَـــاءِ الـــزُّلاَلِ
وَكُنَّـــا نَحْـــنُ نَسْكُـــنُ جَنَّتَيْهَـــا مُلُـــوكَـــاً فـــي الحَـــدَائِـــقِ والظِّـــلاَلِ
فَـــوَسْـــوَسَ رَبُّنـــا عمـــراً كـــلامـــاً لِكَـــاهِنَـــهِ المُصِـــرِّ علـــى الضَّـــلاَلِ

---

(١) مسك أَذْفَر وذَفِر : جيد إلى الغاية (القاموس : ذ ف ر) .
(٢) سامت الماشية : رعت وأسامها صاحبها أخرجها إلى المرعى . قال تعالى في سورة النحل الآية ١٠ : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ (المختار : س و م) .
(٣) همدان : مرت في بعض الحواشي السابقة .

فَـأَقْبَلْنَـا نَسُـوقُ الخُـوْدَ مِنْهَـا إلـى بَلَـدِ المَجَـاعـةِ والهُـزَالِ[1]
أَلاَ يَـالَلْـرِّجَـالِ لَقَـدْ دَهَتْهُـمْ بِمُعْضِلَـةٍ أَلاَ يَـا لَلْـرِّجَـالِ
أَبَعْـدَ الجَنَّتَيْـنِ لَنَـا قَـرَارٌ بِـرَبَـذَةَ أو أَثَـافِـتَ أو أَزالِ[2]
فـأمـا الجَـوْفُ وادٍ لَيْـسَ فِيْـهِ سِـوى الـرِّيْضِ المُبَـرَّدِ والسَّيَـالِ[3]
وفـي عـوف فَلَيْـسَ لَكُـم قَـرَارٌ وَلاَ هِـيَ مُلْتَجَـا أَهْـلٍ وَمَـالِ[4]
وَأَرْضُ البَـوْنِ قَصـدُكُـمُ إِلَيْهَـا لِتَـرْعَـوْهَـا العَظِيْـمَ مِنَ المُحَـالِ[5]
وفـي الخُشُـب الخـلاء وأشـرفيهـا لَكُـمْ يَـا قَـوْمِ مِـنْ قِيْـلٍ وَقَـالِ[6]
وَهَـذا الطُّـوْدُ دُوْنَ الغَـوْرِ مِنْكُـمْ وَدُونَ الغَـوْرِ أَرْكَـانُ الجِبَـالِ
وخَيْلُكُـمُ إِذَا حَشَّمْتُمُـوْهَـا تـزور الشَّـامِخَـات مِـنَ القـلال[7]
أَخَـافُ وَجَـى تعلُّقها عَلَيْكُـم فَتُصْبِـحُ لاَ تَسِيْـرُ مِـنَ الكَـلاَلِ

---

(١) الخُود : مفردها خُوْد وهي الحسنة الخَلْق ، الشابة ، أو الناعمة (القاموس : خ و د) .

(٢) ربذه : من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز (معجم البلدان : الربذة) . وأثافت : قرية باليمن ذات كروم كثيرة (معجم البلدان : أثافت) . وأزال : اسم مدينة صنعاء (معجم البلدان : أزال) .

(٣) الجوف : واد في أرض عاد (معجم البلدان : جوف) والرِّيْض : جمع ريضة : مستنقع الماء في الرمل والعشب (القاموس : ر ي ض) . والسيَال : نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع خرج منه اللبن . أو هو ما طال من السَّمُر (القاموس : س ي ل) .

(٤) لعل المراد بعوف الجبل الذي بنجد (معجم البلدان : عوف) .

(٥) البَون : كورتان باليمن أعلى وأسفل وفيهما البئر المعطلة والقصر المشيد المذكورتان في التنزيل ، وموضع ببلاد مزينة وبلد باليمن (القاموس : ب و ن) .

(٦) الخُشُب : واد على مسيرة ليلة من المدينة . أو هو جبل ، أو هو من أودية العالية باليمامة . وخَشَب بفتح الخاء : ذو خشب ، من مخاليف اليمن (معجم البلدان : خشب) .

(٧) حشمت الدابة في أول الربيع : أصابت منه شيئاً فسمنت وصلحت (القاموس : ح ش م) .

وَأَنتُمْ يا بَنِيْ الغَوْثِ بنِ نَبْتٍ فَلاَ والخَيْلِ والسُّمْرِ العَوَالِي
إِذَا ما الحَرْبُ أَبْدَتْ نَاجِذَيْهَا وَشَمرَّتِ الجَحَاجِحُ لِلْقِتَالِ [٢٤/أ]

قال : وكان من روادهم رجل يقال له عائذ بن عبد الله بن نصر بن مالك بن نصر بن الأزد ، خرج لهم رائداً إلى بلاد إخوتهم حمير ، فرأى بلاداً ضيقة ، لا تحملهم ، ولا تقوم مياهها ومراعيها بماشيتهم ، مع ما فيها من كثرة أهلها . وأقبل آتياً إليهم حتى وافاهم ، فقام فيهم منشداً وهو يقول : [من الطويل]

عَلاَمَ ارتِحالُ الحَيِّ مِنْ أَرْضِ مَأْرِبِ وَمَأْرِبُ مَأْوَى كُلِّ رَاضٍ وَعَاتِبِ
أَمَا هِيَ فِيْهَا الجَنَّتَانِ وَفِيْهِمَا لَنَا وَطَنٌ فِيْهَا فُنُوْنُ الأَطَايِبِ
أَلَمْ تَكُ تَغْدُو خُوْرُنَا مُرْجَحِنَّةً عَلَى الحَرَجِ المُلْتَفِّ بَيْنَ المَشَارِبِ[1]
لَئِنْ قَالَ قَوْلاً كَاهِنٌ لِمَلِيْكِنَا وَمَا هُوَ فِيْما قَالَ أَوَّلُ كَاذِبِ
نُخَلِّفُهَا وَالْجَنَّتَيْنِ وَنَبْتَغِي بجَهْرانَ أو في يَحْصِبٍ مثل مأربِ[2]
فَهَيْهَاتَ بَلْ هَيْهَاتَ وَالْحَقُّ خَيْرُ مَا يُقَالُ وَبَعْضُ القَوْلِ كَشْفُ المَعَايِبِ
لَقَدْ رُدْتُ صَيْداً والسحولين بعده وعُنَّة والسيّال بين الربائب[3]
وَغَوَّرْتُ حَتَّى طُفْتُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ لِمَأْرِبِنَا مِنْ مُشْبِهٍ أَوْ مُقَارِبِ
وَهَذِي الجِبَالُ الشُّمُّ لِلْغَوْرِ دُوْنَكُمْ حِجَابٌ وَمَافِيْهَا لَكُمْ مِنْ مَآرِبِ
وَخَيْلُكُمُ خَيْلٌ رَعَتْ فِي سُهُوْلَةٍ مِنَ الأَرْضِ لَمْ تَأْلَفْ طُلُوعَ الشَّنَاخِبِ[4]

---

(١) مر معنى الخور في الحواشي السابقة ، مرجحنّة : ثقيلة (القاموس : ر ج ن) .
(٢) جهران : من مخاليف اليمن قريب من صنعاء (معجم البلدان : جهران) . ويحصب : مخلاف في اليمن بينه وبين ذِمار ثمانية فراسخ (معجم البلدان : يحصب) .
(٣) صَيْد : جبل عظيم عال جداً في أرض اليمن من مخلاف جعفر من حقل ذمار (معجم البلدان : صيد) . السحول : قرية في اليمن (معجم البلدان : سُحُول) عنّة : من مخاليف اليمن (معجم البلدان : عنه) السيال : موضع بالحجاز (معجم البلدان : السيّال) .
(٤) الشناخب : أعالي الجبال (القاموس : ش ن خ ب) .

أَخَـافُ عَلَيْهِـنَّ الـوَنَـى إنْ ربـابهـا وأنتـم ولات المعلمـات العجـائـب
وَكَمْ ثَمَّ كَمْ مِنْ مَعْشَرٍ بَعْدَ مَعْشَرٍ أَبَحْتُمُ حَمَاهُمْ بِالجِيَادِ السَّلَاهِبِ[1]

قال : فأقاموا ما أقاموا في أزال وربذه[2] حتى استمخرت[3] خيلهم ونعمهم وماشيتهم ، وصلح لهم طلوع الجبال ، فطلعوها ، وهبطوا منها في تهامة على ذُوال[4] وغلبوا غافقاً[5] عليها . وأقاموا بتهامة ما أقاموا ، فلم يغتبطوا بها ، ولم تقع منهم بالموافقة ، فساروا منها إلى الحجاز ، وافترقوا من الحجاز فرقاً ، فصار كل فخذ منها إلى بلد ، فمنهم من نزل السَّروات ، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها ، ومنهم من سار إلى الشام ، ومنهم من سار إلى عُمان . وفي ذلك يقول جماعة البارقي[6] حيث يقول : [من الخفيف]

حَلَّـتِ الأَزْدُ بَعْـدَ مَـأْرِبِهَـا الغَـوْ رَ فَـأَرْضَ الحِجَـازِ فَـالسَّـرَوَاتِ
وَمَضَـتْ مِنْهُـمُ كَتَـائِـبُ صِـدْقٍ مُنْجِـدَاتٍ تَجُـوْبُ أَرْضَ الفَـلَاةِ
فَـأَتَـتْ سَـاحَـةَ اليَمَـامُـةِ بِـا لأَظْعَـانِ وَالْخَيْـلِ وَالْقَنَـا وَالـرُّمَـاةِ
فَـأَنَـافَـتْ عَلـى سُيُـوفِ لِطَسْـمٍ وَجَـدِيْـسٍ لَـدَى العِظَـامِ الـرُّفَـاةِ
وأنـابـت تـوْم قـافيـة البحـريـن بـالحـور بيـن أيـدي الـرعـاة
فَـأَقَـرَّتْ قَـرَارَهَـا بِعُمَـانِ فَعَمَانٌ مَحَلُّ تِلْكَ الجِهَاتِ/ [٤٢/ب]
[٢٤/ب] وَأَتَتْ مِنْهُمُ الخَوَرْنَقَ أُسْدٌ فَـاحْتَـوَوْا مُلْكَلَهـا وَمُلْـكَ الفُـرَاتِ
وَسَمَـتْ مِنْهُـمْ مُلُـوْكٌ إلـى الشَّـا مِ عَلَـى الأَعْـوَجِيَّـةِ المُضْمَـرَاتِ[7]

---

(١) السلاهب : جمع سلْهَب وهو ما طال من الخيل وعظم (القاموس : س ل ه ب) .
(٢) مرّ التعريف بهذين المكانين آنفاً .
(٣) استمخر الفرس الريح قابلها ليكون أروح لنفسه (القاموس : م خ ر) .
(٤) ذُوال : واد باليمن (معجم البلدان : ذوال) .
(٥) غافق : من أولاد الأزد (القاموس : غ ف ق . في الحاشية بيروت ، مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٧/ ١٩٨٧) .
(٦) لم أقع له على ترجمة في مظانّه .
(٧) مرّ شرح معنى الأعوجية .

فَاحْتَوَوْهَا وَشَيَّدُوا المُلْكَ فِيْهَا | فَلَهُمْ مُلْكُ سَاحَةِ الشَّامَاتِ
تِلْكُمُ الأَكْرَمُوْنَ مِنْ وَلَدِ الأَزْ | دِ لَغِسَّانَ سَادَةُ السَّادَاتِ
وَالمقِيْمُونَ بِالحِجَازِ بِجَمْعٍ | أَرْغَمُوا مِنْهُمُ أُنُوفَ العِدَاة
مَلَكُوْا الطَّوْدَ من شروم إلى الطَّائِفِ بالعَدْلِ منهم وَالثَّبَاتِ[1]
وَاحْتَوَتْ مِنْهُمْ خُزَاعَتُهَا الْـ | كَعْبَةَ ذاتَ الرُّسُومِ وَالآيَاتِ
أَخْرَجَتْ جُرْهُمَ بنَ يَشْجبَ مِنْهَا | عُنْوَةً بِالكَتَائِبِ المُعْلَمَاتِ
فَوُلاةُ الحَجِيْجِ مِنْهَا وَمِنْهَا | قُدْوَةٌ فِي مِنىً وَفِي عَرَفَاتِ
وَإِلَيْهَا رِفَادَةُ البَيْتِ والمِرْ | بَاعُ تُجْبَى لَهَا مِنَ الغَارَاتِ[2]
وَبَنُو قَيْلَةَ الَّذِيْنَ حَوَوْا يَثْرِبَ بِالقُوَّدِ الأُسُودِ العُتَاةِ[3]
زَحَفُوا لِلْيَهُودِ وَهْيَ أُلُوفٌ | مِنْ دُهَاةِ اليَهُوْدِ أَيَّ دُهَاةِ
فَأَبَادوا الطعان مِنْهَا وَلَمَّا | يَفْشَلُوا فِي لِقَاءِ تِلْكَ الطُّغَاةِ
فَأَذَلُّوْا اليَهُوْدَ فِيْهَا وَأَخْلَوْا | مِنْهُمُ الحَرَّتَيْنِ فَالأَلْبَاتِ
أصبح الماء والفشيل لقوم | تحت آطامها مع الثمرات[4]
وَلَهُمْ مِنْ بَنِي الْيَهُوْدِ عَبِيْدٌ | حُوَّلٌ مِنْ نَوَاظِرٍ وَبَنَاتِ
ورحاب لهم تسيم سُرُوْجاً | وسقاة قوارب وطهاة
أَسَرُوْهَا مِنَ اليَهُوْدِ لدى شَتٍّ | يتها في القرى وفي الفلوات
أَيُّهَذَا الَّذِيْ يُسَائِلُ عَنَّا | كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ نُوْرُ الهُدَاةِ
نَحْنُ أَهْلُ الفَخَارِ مِنْ وَلَدِ الأَزْ | دِ نَحْنُ أَهْلُ الضِّيَاءِ والظُّلُمَاتِ
هَلْ تَرَى اليَوْمَ فِي البِلادِ سِوَانَا | مِنْ مُلُوكٍ وَسَادَةٍ وَوُلاةِ

---

(١) شروم : قرية كبيرة عامرة باليمن (معجم البلدان : شروم) .
(٢) المرباع : ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية (القاموس : ر ب ع) .
(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج ، وقيلة أمهم (القاموس : ق ي ل) ، والقُوَّد : جمع قائد (القاموس : ق و د) .
(٤) تفشّل الماء : سال (القاموس : ف ش ل) .

قال : فأما من سكن عُمان من الأزد فيحمدُ والحَدَّان ومالك والحارث وعبيد . وأما من سكن العراق فَجُذَيمة الوضَّاح . وأما من سكن الشام فجفنة . وأما من سكن المدينة فالأوس والخزرج . وأما من سكن مكة ونواحيها فخُزاعة . وأما من سكن السَّرَوات فَبُجَيْلة وخثعم والحجر ونهْد [ ][1] وغامد وشكر وبارق [ ][1] وسنحاب [ ][1] ودوس ونمر وخواله واليهوم وشمران وعمرو .

ويقال : إنه لما خرج عمرو بن عامر بكُلِّية قومه الأزد من أرض مأرب في كافّة ولده ، وخرب سدّ مأرب ، وتعطلت الأعمال التي تقلّدها [٢٥/أ] عمرو بن عامر ، واشتغلت ملوك كندة بأعمالها التي كانت تتولاها من الأطراف والثغور وقبائل العرب ، وكذلك اشتغلت مَذحِج وهَمْدان بما في أيديهما من البلاد والأعمال ، وبعدت لخم وجذام ، واشتغلت ببلادهما وبما هما فيه من مقاساة الأطراف والثغور ، وصارت أولاد نصر بن الأزد في أرض فارس وجانب الشحر ـ وهم عشيرة الجلند بن كركر وقد تقدم خبره في هذا الكتاب ـ وانتشرت قضاعة في الشام وأكناف الحجاز ، ونزلت في الحجر منها عذرة ، وفي جنبها ورضوى نزلت جهينة . قال : وأقبلت أولاد عمرو بن عامر تلتِهمُ البلاد التهاماً ، تشق العرب بطناً بطناً لا يدخلون بلداً إلا غلبوا أهل ذلك البلد عليه . أما خزاعة فغلبت جرهم على مكة ، وأما الأوس والخزرج فغلبوا اليهود على المدينة ، وأما المناذرة فغلبوا أهل العراق على العراق . وأما جفنة فغلبوا أهل الشام على الشام وملكوها . وأما ولد عمران بن عامر فغلبوا أهل عمان عليها . إلا أن الجميع من هؤلاء في طاعة الملوك من حمير ، وذلك عند انتقال الملك من يشدد بن زرعة إلى ابن عمه الحارث الرائش ، وخبره قد تقدم في هذا الكتاب . وهو أبو التبابعة السيّارة في شرق البلاد وغربها ، وخبره قد

---

(١) ما بين المعقوفات كلمات غير مفهومة في الأصل .

تقدم ، وكذلك أخبار المثامنة قد تقدمت في هذا الكتاب .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدِّعبل بن علي أنَّ عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس لما حضرته الوفاة جمع بنيه وقومه فخطبهم وأوصاهم ـ وكان قد مضى له من العمر ثمانمئة سنة ، منها أربعمائة سنة سيداً شريفاً ، وأربعمئة ملكاً مملكاً ـ فقال لهم : قد أسمعكم الدَّاعي ونفذ فيكم البصر ولزمتكم الحجة ، وانتهى بكم الأمر إلى حدّ الرجاء ، ومرجوّ حسن القضاء ، فليس أحد أعظم في خلقه رزية ولا في أمره بلية ممن ضيّع اليقين وغرّه الأمل ، وإنما البقاء بعد الفناء . وقد ورثنا من كان قبلنا وسيرثنا من يكون بعدنا ، وقد حان الرحيل من محل زائل وظل مائل ، ألا وقد تقارب سبب فاحش وخطب جليل فاستصلحوا ما تقدمون عليه [٢٥/ب] ، وارضوا بالباقي خلفاً من الفاني سلفاً ، وأجملوا في طلب الرزق ، واحتملوا المصائب بأحسن الاحتساب تستجلبوا النعماء . واستديموا الكرامة بالشكر قبل العجلة إلى النقلة وانتقال النعم ودول الأيام وتصرف الحالات ، فإنما أنتم فيها أهل للمصائب وطريق للمعاطب ، فانتهوا ، ودعوا المذاهب في هذه الغرّارة الضرَّارة أهلها ، في كل يوم لهم جرعة شَرَق ، ومع كل أكلة غَصَص . ولن تنالوا فيها نعمة إلا بفراق أخرى ، فأنتم الخلف بعد السلف ، تفنيكم الدهور والأيام ، وأنم أعوان الحتوف ، وعلى أنفسكم وفي معاشكم أسباب مناياكم ، لا يمنعكم شيء منها ، ولا يغنيكم شيء عنها . في كل سبب منكم صريع ومعترف . وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً إلا وضعاه ، وهما جديران بتفريق ما جمعاه . أيُّها الناس اطلبوا الخير ووليه واتركوا الشر ووليه ، واعلموا أنّ خيراً من الخير عامله ، وأنّ شراً من الشر فاعله . ثم التفت إلى بنيه وأنشأ يقول :

[من الطويل]

تَجَدَّدَ لحمي يابَنِيَّ وأَقْشَعَتْ سَحَائِبُ جَهْلِي واسْتَرَحْتُ عَنِ العَذْلِ
وَوَدَّعْتُ إِخْوانِي الشَّبَابَ وَغَرَّنِي غَوَايَ وَعَرَّيْتُ المَطِيَّةَ مِنْ رَحْلِ

وَأَصْبَحْتُ أَخْطُو أَسْبُرُ الأَرْضَ بالخُطَا دَبِيْبَـاً كَمَـا يَخْطُـو المُقَيَّـدُ بِـالْغُـلِّ
وَقَدْ كُنْتُ غَضّاً في الشَّبَابِ وَعَيْشِهِ كَلَدْنٍ من الخَطِّي أو مُرْهَفٍ نصل
أَجِدُّ وأُمْضِيْ في الأُمُورِ إذَا دحت قَـوادِحُها بـالعَـزْمِ والجِـدِّ لاَ الهَـزْلِ
فَلَمَّـا رَأَيْـتُ الـدَّهْـرَ يَنْقُضُ مِـرَّتِـي كما انْتَقَضَتْ بَعْدَ القُوى مِرَّةُ الحَبْلِ
فَزِعْتُ إِلَيْكُمْ بِالوَصِيَّةِ فَاحْفَظُوْا وَصَاتِيْ وَبَادَرْتُ التَّغَيُّرَ مِنْ عَقْلِيْ
بَنِـيَّ حَلَبْـتُ الـدَّهْـرَ بـالـدَّهْـرِ بُـرْهَـةً وَذُقْتُ بِهِ طَعْمَ الممرِّ مِنَ المُحْلِيْ
وَقَايَسْتُ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَجِدْ لِـذِيْ شَـرَفٍ فِيْهـا عُلُـوًّا مَـعَ البُخْـلِ
وَلَـمْ أَرَ مِثْـلَ الجُـوْدِ دَاعٍ إِلـى العُـلاَ وَلاَ كَالنَّدَى دَاعٍ إِلى شَرَفٍ مُعْلِي
وَأَدْرَكَ عُمْـرِي السَّـدَّ قَبْـلُ انْهِـدَامِـهِ وعَهْـدِيْ بِـهِ إِذْ ذَاكَ مُجتَمِـعُ الشَّمْـلِ
وَنَحْـنُ مُلُـوكُ النَّـاسِ طُـرّاً وَمَـا لَنَـا نَظِيْـرٌ بِحَـزْنٍ فـي البِـلاَدِ وَلاَ سَهْـلِ
وَقُـدْتُ جِيَـادَ الخَيْـلِ مِـنْ سَـدِّ مَـأْرِبٍ إلى يَثْرِبَ الآطَامِ والحرث [والنّسل][1]
وَأَدْرَكْـتُ رُوْحَ اللهِ عِيْسَـى بـنَ مَـرْيَـمٍ وَلَسْـتُ لَعَمْـرُ اللهِ إِذْ ذَاكَ بـالطِّفْـلِ
[٢٦/ أ] إِذَا مِتُّ فَانْعَونِي إلى كُلِّ سَيِّدٍ شَـرِيْـفٍ وَأَعْلُـوا بـالـرَّزِيَّـةِ والثُّكْـلِ
وَكُـوْنُـوا عَلَـى الأَعْـدَاءِ أُسْـداً أَعِـزَّةً وَقُوْمُوْا لِتَشْيِيد المَعَالي عَلَى رَحْلِ
وَإِنْ قَـامَ مِنْكُـمْ قَـائِـمٌ فَـاسْمَعُـوْا لَـهُ وَلاَ تَخْذُلُوْهُ إِنَّما الذُّلُّ في الخَذْلِ
وَكُـوْنُـوْا لَـهُ حِصْنَـاً حَصِيْنـاً وَمَعْقِـلاً مَنِيْعَـاً وَأَبْلُـوا يَـابَنِـيَّ مَـعَ المُبْلِـي
وإِنْ ظَالِمٌ مِنْ قَوْمِكُمْ رَامَ ظُلْمَكُمْ فَأَغْضُوا وَحَامُوا يَا بَنِيَّ عَلَى الأَصْلِ
فَلَـمْ يَعْـدُ يَـوْمَـاً ظَـالِـمٌ ضُـرَّ نَفْسِـهِ وَلاَ الحُلْمُ أَسْنَى بِالرِّجَالِ مِنَ الجَهْلِ
وَلاَ تَهِنُوا أَنْ تَأْخُذُوا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ إِنَّ الرِّئَاسَةَ في الفَضْلِ
وَلاَ تَهِنُـوْا أَنْ تُـدْرِكُـوا النُّبْـلَ إِنَّنِـيْ رَأَيْـتُ ذَوِي العِـزِّ المُـدَارِكَ لِلنُّبْـلِ
وَإِنْ مِنْكُـمُ جَـانٍ جَنَـى مُضْمَئِلَّـةً عواناً وَأَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا العُصْلِ[2]

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة مطموسة والاستدراك يقتضيه السياق والمعنى .

(٢) المصمئلة : الداهية (القاموس : ص م ل) . العوان من الحروب : التي قوتل= فيها

وَشَالَتْ بِقُطْرَيْهَا تَلَظَّى وَشَبَّهَا لإِضْرَامِهَا الغَاوُوْنَ بِالحَطَبِ الجَزْلِ
فَكُونُوا أَمَامَ العَالَمِيْنَ بِضَرْبِكُمْ وَقَومكُمُ حدَّ الأَسِنَّةِ وَالنَّبْلِ
وَإِنْ كَانَ مَنْ يَسْعَى إِلَى الحَرْبِ فَارْكَبُوا صُدُوْرَ القَنَا بالخَيْلِ مِنْهَا وَبِالرَّحْلِ
وَمُوْتُوا كِراماً بالقَوَاضِبِ وَالقَنَا وَمَا خَيْرُ مَوْتٍ لاَ يَكُوْنُ مِنَ القَتْلِ
وعَافُوا المَنَايَا بالضَّنَا إِنَّ في الضَّنَا لَخَبْلاً لِمَنْ يَضْنَى يَزِيْدُ عَلَى الخَبْلِ

ويقال : إنَّ ولد عمرو بن عامر مازال يحفظ هذه الوصية ، ويعمل بها ، ويجري أموره عليها[1] ، ويوصي بها في الجاهلية والإسلام . ولها في ذلك أشعار محفوظة تتناشدها العرب في المجالس والمحافل وفي ملاقاة الرجال عند النزال وفي إكرام الضيف وحياطة المستجير ودفع الضيم والمحاماة على الحسب . من ذلك قول السموءل بن عادياء[2] الغساني : [من الطويل]

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيْلٌ عَدِيْدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكِرَامَ قَلِيْلُ
وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيْلٌ وَجَارُنَا عَزِيْزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِيْنَ ذَلِيْلُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ في فِرَاشِهِ وَلاَ طَلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيْلُ
تَسِيْلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوْسُنَا وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ الحَدِيْدِ تَسِيْلُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُوْلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِلُّهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيْلُ
وَأَيَّامُنَا مَشْهُوْرَةٌ عُرِفَتْ لَنَا لَهَا غُرَرٌ مَشْهُوْرَةٌ وَحُجُوْلُ

= مرّة (القاموس : ع و ن) . النواجذ العُصل : الأنياب المعوّجة (القاموس : ن ج ذ ، ع ص ل) .

(١) في الأصل ويجري أمورها عليها .

(٢) السموءل بن عادياء شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر يضرب به المثل في الوفاء توفي سنة ٦٥ ق.هـ . انظر : معاهد التنصيص ١/ ٣٨٨ ، سمط اللآلي ٥٩٥ ، شرح الشواهد ١٨٠ ، التبريزي ١/ ٥٥ ، الجمحي ٢٣٥ ، المرزوقي ١/ ١١٠ ، معجم البلدان ١/ ٨٦ ، العيني ٢/ ٧٦ ، الشريشي ١/ ٣٩٠ ، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ٢٦٩ المحبر ٣٤٩ . وانظر الأبيات في ديوانه ص١٠ .

[٢٦/ب]وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ   بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِيْنَ فُلُوْلُ

وللنّابغة الذبياني في هذا المعنى ، في شعره الذي يمدح به ابن عمرو بن عامر حيث يقول[١] : [من الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوْفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

ولبعض ولد عمرو بن عامر من الأنصار في مثل ذلك[٢] : [من الوافر]

أَبَتْ لِيْ عِفَّتِيْ وَأَبَى حَيَائِيْ   وَأَخْذِيْ الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيْحِ
وَإِقْدَامِيْ عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِيْ   وَضَرْبِيْ هَامَةَ البَطَلِ المُشِيْحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ   مَكَانَكِ تُحْمَدِيْ أَوْ تَسْتَرِيْحِيْ
لأدفع عن مكارمَ صَالِحَاتٍ   وَأَحْمِيْ بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيْحِ[٣]

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ [أبا][٤] الأوس والخزرج وهو الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد أقبل على ابنيه الأوس والخزرج حين حضرته الوفاة ، فقال : [من الرجز]

يُوْصِيْكُمَا أَبُوكُمَا ابنُ ثَعْلَبَهْ   بِمَا اشْتَهَاهُ مِنْكُمَا وَأَعْجَبَهْ
مِنَ الخِصَالِ الغُرَرِ المُنْتَخَبَهْ   بَنِيَّ إِنَّ العِزَّ صَعْبُ المَكْسَبَهْ
وَمَا عَدَاهُ فَالخَزَى والْمَثْلَبَهْ   وَرُبَّمَا يَلْقَى امْرُؤٌ مَا طَلَبَهْ
بَلْ رُبَّمَا أَخْطَأَهُ وَجَنَّبَهْ   فَالْتَمِسُوا العِزَّ وَرُوْمُوا سَبَبَهْ

---

(١) ديوان النابغة ، ٦٠ .
(٢) اشتهرت هذه الأبيات لعمرو بن عامر بن زيد مناة المشهور بابن الإطنابة أمه . كانت إقامته بالمدينة وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس وفي الرواة من يجعله من ملوك العرب في الجاهلية ، انظر المرزباني ٢٠٣ ، التبريزي ٨٦/٤ ، سمط اللآلي ٥٧٥ ، الأغاني ط دار الكتب ١٢١/١١ ، تاج العروس (ط ن ب) .
(٣) في رواية ديوان الحماسة : لأدفع عن مآثر صالحات .
(٤) ما بين معقوفتين كلمة غير موجودة من الأصل والسياق يقتضيها .

فَـإِنَّ فـي العِـزِّ الأُمُـوْرُ المُـرْغِبَـهْ ... وَصَـاحِـبُ العِـزِّ رَفِيْـعُ المَـرْتَبَـهْ
يَـرْفَـعُ أَقْصَـى قَـوْمِـهِ وَأَقْـرَبَـهْ ... والعِـــزِّ فـــي أَرْبَعَـــةٍ مُنَسَّبَـــهْ
فِـي كَـرَمٍ لِلْمَـرْءِ يَعْلُـو حَسَبَـهْ ... وَنَجْـــدَةٍ حَـــاضِـــرَةٍ مُـــوَثَّبَـــهْ
وَلُغَـــةٍ مَسْمُـــوعَـــةٍ مُعَـــرَّبَـــهْ ... ورَأْيِ صِـدْقٍ حَيْـثُ أَرْسَ أَرْسَبَـهْ
فَهُـنَّ مَـا إِنْ هُـنَّ إِلا مَـوْهِبَـهْ ... بَنِـيَّ مَـا أَسْنَـى الغِنَـى وأهـذبـه
وَمَـــا أَجَـــلَّ ذِكْـــرَهُ وَأَرْغَبَـــهْ ... وَمَـــا أَلَـــذَّ طَعْمَـــهُ وَأَطْيَبَـــهْ
تحيـر النـاس مـن امـر سُلِبَـهْ[1] ... ومـن حـوى مـرغـوبـه واكتسبـه
لاَسِيَّمَـا إِنْ كَـانَ مِمَّـنْ قَـرَّبَـهْ ... لِفَـكِّ عَـانٍ أَوْ لِضَيْـفٍ نَـدَبَـهْ
أَوْ لِـزَمَـانٍ مَـاحِـلٍ ذِيْ مَصْعَبَـهْ ... تُطْعِـمُ فـي لأَوَائِـهِ ذَا مَقْـرَبَـهْ
والبَـائِـسَ المُعْتَـرَّ أَوْ ذَا مَتْـرَبَـهْ ... وَإِنْ دَعَـا الـدَّاعِـي لأَمْـرٍ أَرْعَبَـهْ[2]
مِـنْ حَـادِثٍ هَـرَّ بِـهِ وَأَرْهَبَـهْ ... قَـرَّبَ لِلـدَّاعِـي السَّمِيْـعِ سَلْهَبَـهْ[3]
شَـدَّ عَلَيْـهِ لِلِّقَـاءِ مَـرْكَبَـهْ ... وَشَـدَّ مِـنْ بَعْـدِ الحِـزَامِ لَبَبَـهْ[4]
[٢٧/أ] ثُمَّ اسْتَوى مِنْ فَوْقِهِ وَقَرَّبَهْ ... نَحْـوَ الـوَغَـى مقتلـب مشطبـه
مُعْتَقِـــلاً لِلطَّـــاعِنِيْـــنَ سَلَبَـــهْ ... يـأثـم مـن جمـع العـدو مقنبـه
حَيْـثُ يَـرى جُمْهُـورَهُ وَمَـوْكِبَـهْ ... رَأْمَ البِـــرَازَ مُعْلِنَـــاً وانْتَـــدبَـــهْ
حَتّـى إِذَا صَـاحَ بِـهِ مَـنْ طَلَبَـهْ ... انهـدَّ كـالليـث لَـهُ فَـأَعْطَبَـهْ
بِطَعْنَـــةٍ فَـــاغِـــرَةٍ مُنْتَعَبَـــهْ ... يَـرْكَـبُ مِنْهَـا رَأْسَـهُ وَمَنْكِبَـهْ
ذَالِكُمَـا العَـالِـيْ رَفِيْـعُ المَنْقَبَـهْ ... يَـأْمَلُـهُ الحَـيُّ وَيَخْشَـى عَصَبَـهْ

وهو فيحيي حشد ام أربهْ

---

(١) في الأصل يسلبه وهو يخل بالرجز .
(٢) المعتر : الذي يتعرض للناس دون سؤال (كلمات القرآن تفسير وبيان) من تفسير سورة الحج .
(٣) السلهبه : الطويل ، أو من الرجال ، ومن الخيل ما عظم وطال (القاموس : س ل ه ب) .
(٤) اللبب : المنحر ، وما يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل .

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنّ الأوس والخزرج حفظا وصية أبيهما هذه ، وثبتا عليها ، وعملا بها وكذلك أولادهما من بعدهما وأولاد أولادهما . وتقول العرب : حوت الأوس والخزرج خصالاً لم يسبقها إليها أحد قبلها ، ولا جمعت العرب بعدها ، وهي العز والكرم الوفاء والنجدة واكتساب الحمد من حيث ينال . وفي ذلك لبعض العرب يمدح رجالاً منهم ، فقال : [من الطويل]

رَأَيْتُ أَبَا عَمْروٍ أُصَيْحَةَ جَارُهُ ... يَبِيْتُ قَرِيْرَ العَيْنِ غَيْرَ مُرَوَّعِ
وَمَنْ يَأْتِهِ مِنْ خَائِفٍ نَالَ أَمْنَهُ ... وَمَنْ يَأْتِهِ مِنْ جَائِعِ البَطْنِ يَشْبَعِ
خَصَائِلُ كَانَتْ فِي الجُلَاحِ قَدِيْمَةً ... خَصَائِلُ إِنْ عُدَّ الخَصَائِلُ أربعُ
وفاءٌ وتشريفٌ وَعِزٌّ وَنَجْدَةٌ ... يَدِيْنُ لَهَا هَذَا الأَنَامُ وَيَخْضَعُ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ أفصى بن[1] حارثة بن عمرو بن عامر ـ وهو أبو خزاعة ـ وصَّى بنيه فقال لهم : يا بَنِيَّ ، إنّ الرائد لا يكذب أهله ، والعالم لا يستحسن جهله ، يا بني إنّ الحكم زرع في القلوب ، ومثلها كمثل الحب ، مهما زرع منه في أراضي حريمه نما نباته وزكا حصاده ، ومهما زرع منه في [ ][2] أوسبخة أخبث نباته ولم يرج حصاده . فهذا لتعلموا أنّ الطيب لا يقبله إلا الطيب ، ولا ينمو إلا عند مثله . يا بني ، اجتهدوا في خمسة أشياء تعزوا بها وتسودوا ، واجتهدوا في إماطة العدو ونصرة الصديق وكرامة الضيف واصطناع العشيرة وتوسيط[3] المستجير وبلوغه ما أمّل . بذلك آمركم ، وعما يخالفه أنهاكم . ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

أَبَنِيَّ إِنَّ وَصِيَّتِي فِيْهَا لَكُم ... مَا تُدْرِكُوْنَ بِهِ المَكَارِمَ فَاعْلَمُوا

(١) انظر جمهرة الأنساب (هرون) ٣٦٧ ، ٤٧٣ .
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل .
(٣) التوسيط : جعله في الوسط (القاموس : و س ط) .

لاَ تَعْدِلُوا عَنْهَا لأُخْرَى مَا بَدَتْ ... لِلَّيْلِ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ الأَنْجُمُ

[٢٧/ب] أَبَنِيَّ إِنِّيْ قَدْ كَبِرْتُ وَخَانَنِيْ ... رَيْبُ الحَوَادِثِ والزَّمَانُ الأزلم[١]

أَبَنِيَّ أَنْتُمْ فِي بِلَادٍ جُلُّهَا ... بَعْدَ العَمَالِقَةِ الأَوَائِلِ جُرْهُمُ

والحَيُّ جُرْهُمُ لاَ يُلاَئِمُكُمْ بِهَا ... إِذْ طَابَ مَسْرَحُهَا وَطَابَ المَجْثَمُ

بَلَدٌ يَهِيْمُ السَّرْحُ فِيْهَا آمِناً ... والطَّيْرُ فِيْهَا والأواتك تَسْلَمُ[٢]

فِيْهَا المَشَاعِرُ والعَلاَمَاتُ الَّتِيْ ... نَصَبَ الخَلِيْلُ بِهِ النَّبِيُّ الأَكْرَمُ

والبَيْتُ بَيْتُ اللهِ والْحِجْرُ الَّذِيْ ... مِنْ دُوْنِهِ تِلْكَ القَلِيْبُ الزَّمْزَمُ

وَلَسَوْفَ يُسْفَكُ مِنْكُمُ فِيْهِ وَمِنْ ... أَحْيَاءِ جُرْهُمَ يا بَنِيْ أَقْصَى الدَّمُ

فَمَتَى غُشِيْتُمْ مِنْهُمُ بِظُلاَمَةٍ ... مِنْ بَعْدِ أُخْرَى مِثْلِهَا فَلْتَعْزِمُوا

أَنْ تَصْبَحُوهَا بِالْقَوَاضِبِ وَالْقَنَا ... [ ][٣] منهم أظلم

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن سبب إخراج خزاعة جرهماً من مكة حفظ خزاعة لهذه الوصية وعملهم بها وثباتهم عليها ، حتى استولوا على البيت دون جرهم ، ونفوا جرهماً عن مكة وأخرجوها من أرض الحجر إلى الأصدار[٤] من دَوْقة[٥] والسقف من فَنَوْنى[٦] . ويقال : إنَّ بقايا جرهم بها إلى اليوم .

---

(١) الزمان الأزلم : الدهر الشديد الكثير البلايا (القاموس : ز ل م) .

(٢) الأواتك : نوع من التمر (القاموس : و ت ك) .

(٣) ما بين المعقوفتين كلمتان غير واضحتين في الأصل .

(٤) الأصدار : مواضع قرب مكة بنعمان الأراك يجلب منها العسل (معجم البلدان : الأصدار) .

(٥) دَوقة : وادٍ على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة بينه وبين يلملم ثلاثة أيام (معجم البلدان : دوقة) .

(٦) السقف اسم لأماكن عديدة لعل من أقربها للنص : ماء لطيء بإزاء سميراء عن يسار المصعد إلى مكة من الكوفة (معجم البلدان : سقف) . وفنونى هكذا ضبطها ياقوت ولم يحدد موقعها بل اكتفى بقوله : موضع في بلاد العرب (معجم البلدان : فنونى) .

وفي ذلك يقول قائل جرهم[1] : [من الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... وَأَهْلِيْ مَعِيْ بالمَأْزِمَيْنِ حُلُوْلُ[2]

وَهَلْ تُصْبِحُ الخَيْلُ الوحى وتردها ... بِدَارِ بَنِيْ كَعْبٍ لَهُنَّ صَهِيْلُ

عَلَيْهَا بَنُو هَيٍّ وَرَهْط مسلّم ... وآل مَضَاضٍ في الحُرُوْبِ تَجُوْلُ

مَنَازِلُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَزَالَنَا ... زَمَانٌ نَبَا بِالصَّالِحِيْنَ خَذُوْلُ

فَأَضْحَتْ بَنُو كَعْبٍ وَهُم أَهْلُ عِزِّهَا ... وَغَالَتْ بَنِيْ سَعْدٍ بِمَكَّةَ غُوْلُ

قوله : فأضحت بنو كعب ، يريد بذلك خُزاعة . وأما سعد فبيت الرئاسة من جرهم .

فأجابه عمرو بن ربيعة بن كعب الخزاعي حيث يقول : [من الطويل]

تَمَنَّيْتَ أَنْ تَلْقَى [من الدهر] ترحه ... وذا معجب منه عليك مهول[3]

تَمَنَّى أَمانَي الذَّلِيْلُ وَإِنَّمَا ... تَفُتْكَ رِجَالٌ ذَادَةٌ وَخُيُوْلُ

فَحُلَّ بِأَرْضِ الحِجْرِ إِنْ كُنْتُ فَاعِلاً ... فَإِنِّي لَكُمْ بِالمجْحِفَاتِ كَفِيْلُ [٢٨/ أ]

ففي ذلك يقول مُضاض بن عمرو الجرهمي[4] حيث يقول : [من الطويل]

وَكُنَّا وُلاَةَ البَيْتِ وَالْقَاطِنَ الَّذِيْ ... يُوَفِّيْ إِلَيْهِ نَذْرَهُ كُلُّ مُحْرِمِ

سَكَنَّا بِهِ قَبْلَ الظِّبَاءِ وِراثَةً ... لَنَا مِنْ بَنِيْ هَيٍّ بنِ بَيٍّ بنِ جُرْهُمِ

فَأَزْعَجَنَا مِنْهُ وَكُنَّا وُلاَتَهِ ... قَبَائِلُ مِنْ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو وَأَسْلَمِ

---

(١) في الأصل : قائل خزاعة وهو غلط ظاهر .

(٢) المأزمان : مضيق بين جَمْع وعرفة ، وآخر بين مكة ومنى (القاموس : أزم) .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة على الأصل يقتضيها الوزن .

(٤) كان من ملوك العرب في الجاهلية محباً للغزو ، قيل إنه كان يحكم أعلى مكة ويأخذ العشور ممن يدخلها من تلك الجهة . التيجان ، ١٧٨ و١٨٠ ، أخبار ابن عبيد ٣١٥ ، تاج العروس ٥/ ٨٧ .

فأجابه الأعصم بن مالك الخزاعي حيث يقول : [من الطويل]

بَغَاكَ عَنِ البَيْتِ المُحَرَّمِ مَعْشَرِي ... رَمَوْكَ بَطَلَّاعِ الثَّنَايَا عَرَمْرَمِ
فَحَازُوْا مَوَارِيْثَ ابنِ نَبْتٍ لأَنَّهُمْ ... أَحَقُّ وَأَوْلَى مِنْكَ عَمْرَوَ بنَ جُرْهُمِ

وللحيين خزاعة وجُرهم في ذلك أخبار وأشعار ، مللنا عن شرحها إلى ما احتجنا إليه في هذا الكتاب .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ عمرو بن لُحَي[1] الخزاعي وصى أبناءه كعباً وعدياً وسعداً فقال : [من البسيط]

بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِيْمَا أَرَى عَجَبَاً ... وَلَمْ يَزَلْ فِيْ بَنِي الدُّنْيَا الأَعَاجِيْبُ
أَرَى القَبَائِلَ فِي غَوْرٍ وَفِيْ نَجِدٍ ... مَنْ عَزَّ بَزَّ فَسَلَّابٌ وَمَسْلُوْبُ
وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ فِي الأَجْيَادِ أَصْرَخَ عِنْدَ الهَزَاهِزِ مَأْكُوْلٌ وَمَشْرُوبُ[2]
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمُ ذِئْباً يُخَافُ لَهُ ... بَأْسٌ وَبَطْشٌ وإلاَّ غَالَهُ الذِّيْبُ
وَأَوْهَنُ القَوْمِ فِيْمَا بَيْنَ أُسْرَتِهِ ... وَبَيْنَ غَيْرِهِمُ لاَشَكَّ مَغْلُوْبُ
قُوْمُوا [قِيَاماً] عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ ... وَمَا قَضَى اللهُ مِنْ أَمْرٍ فَمَكْتُوب[3]
ما يَحْتَوِيْ المُلْكَ في الدُّنْيَا وَزُخْرفِهَا ... إلاَّ امْرُؤٌ في صُدُوْرِ النَّاسِ مَهْيُوْبُ
إِنَّا لَنَعْلَمُ مَا بِالأَمْسِ كَانَ لَنَا ... وَمَا يَكُوْنُ غَداً عَنَّا فَمَحْجُوبُ
وَكُلُّ خَيْرٍ مَضَى أَوْ نَالَهُ سَلَفٌ ... لِلْمَرْءِ في اللَّوْحِ عِنْدَ اللهِ مَحْسُوبُ
كُوْنُوا كِرَاماً وَذُوْدُوْا عَنْ عَشِيْرَتِكُمْ ... وَجَالِدُوْا دُوْنَهَا مَا حَنَّتِ النِّيْبُ

---

(١) انظر لترجمته الأصنام لابن الكلبي ٨ ، اليعقوبي ١/ ٢١١ ، اللباب ١/ ٣٦٠ ، البداية والنهاية ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٩ ، إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٠٦ ، السبائك ٦٥ ، جمهرة الأنساب ٢٢٢ ، سيرة ابن هشام ١/ ٢٧ ، فتح الباري ٦/ ٣٦٨ ، تلبيس إبليس ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ .

(٢) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس (القاموس : هـ ز ز) .

(٣) ما بين المعقوفتين كلمة ساقطة من الأصل والوزن يقتضيها .

وَشَيِّدُوا المَجْدَ مَا مَدَّ الزَّمَانُ بِكُمْ فَـإِنَّـهُ عَلَـمٌ لِلْمُلْـكِ مَنْصُـوبُ
ذُوْ الجُوْدِ يَلْقَى العُلاَ في غَيْرِ مَعْشَرِهِ وَذُو الضَّنَـانَـةِ فـي حَيِّـهِ مَنْكُـوبُ
تَلْقَى الكَرِيْمَ شُجَاعاً في مَسَالِكِهِ وَالبُخْـلُ صَـاحِبُـهُ حَيْـرَانُ مَـرْغُـوبُ
هَـاتَـا وَصَـاتِـي وَفِيْمَـا تُبْتَلُـوْنَ بِـهِ مِنَ الزَّمَانِ لَكُمْ بَعْدِي التَّجَارِيْبُ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدِّعبل بن علي ، أنَّ جفنة[1] بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أقبل على بنيه ، فقال لهم : يا بَنِيَّ تنافسوا في المكارم ، وتجنبوا ما يعدو بكم عنها ، فإني إخالكم [٢٨/ب] دون هذا للأيام ملوكاً ، ولا يكون الملك ملكاً يا بَنِيَّ حتى يكون منصفاً عدلاً ، ويكون للأموال باذلاً ، ويكون شجاعاً مقاتلاً عظيماً حليماً لبيباً حكيماً لا غشوماً ولا ظلوماً . ولقد رأيتكم يا بَنِيَّ وفيكم هذه الخصال التي عددتها . ثم إني وايم الله أعرفكم بها دون هذا الناس . ولقد نشرت ملككم قبل أن تولدوا ، فياليت من شهدني يومئذ من إخواني وأعمامي كان شاهدي في يومي هذا . ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

يَا لَيْتَ ثَعْلَبَةَ بنَ عَمْرٍو لَمْ يَمُتْ يَـالَيْـتَ ثَعْلَبَـةَ بـنَ عَمْـرٍو يُنْشَـرُ
بَلْ لَيْتَ عِمْرَانَ بنَ عَمْرٍو شَاهِدِيْ وَأَخَـاهُ عَـوْفَـاً أَوْ رَبِيْعَـةَ يَظْهَـرُ
بَـلْ لَيْـتَ حَـارِثَـةَ بـنَ عَمْـرٍو وابْنَـهُ أفصـى [. . . . .][2]
حَتَّـى يَـرَوْا لِـيْ مِنْكُـمُ وَلِنَسْلِهِـمْ غُـرَراً كَـأَمْثَـالِ الأَهِلَّـةِ تَـزْهَـرُ
غُرَراً لُيُوثَاً في الصوائح للوغى والمشـرفيـة والقنـا تتـأطـر[3]
ظَنِّـيْ بَنِـيَّ بِكُـمْ وَظَنِّـيْ ظَـنٌّ مَـنْ يعطي النبي مـنَ الصَّحِيْـح ويُخْبِـرُ
أَنْ سَوْفَ يَحْوِيْ الشَّامُ مِنْكُمْ سَبْعَةً بِهِـمُ الأَسِـرَّةُ والمَنَـابِـرُ تُعْمَـرُ

---

(١) انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية ١/٢١ ، النويري ١٥/٣١١ ، تاريخ سني ملوك الأرض ٧٧ ، طرفة الأصحاب ٢٠ و٢٢ .
(٢) ما بين المعقوفتين كلام غير واضح في الأصل .
(٣) تأطر الرمح : تثنى (القاموس : أ ط ر) .

وَإِلَيْهِـمُ تُجْبَـى الإِتَـاوَاتُ الَّتِـي مِـنْ قبْـلُ كَـانَـتْ تَجْتَبِيْهَـا حِمْيَـرُ
أَيَّـامَ لاَ كِسْـرَى يناصـي مَعْشَـرِيْ لاَلاَ وَلاَ يَعْصِـيْ جُـذُوْدِيْ قَيْصَـرُ[1]

ويقال : إن جفنة هذا أول مَلِك مَلَك من غسان وإليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري حيث يقول[2] : [من الكامل]

للهِ دَرُّ عِصَـابَـةٍ نَـادَمْتُهَـا يَـوْمـاً بِجِلِّـقَ بـالـزَّمَـانِ الأَطْـوَلِ
يُغْشَـوْنَ حَتَّـى مـاَ تَهِـرُّ كِـلاَبُهُـمْ لاَ يَسْـأَلُـونَ عَـنِ السَّـوَادِ المُقْبِـلِ
بِيْـضُ الـوُجُـوْهِ كَـرِيْمَـةٌ أَحْسَـابُهُـمْ شُـمُّ الأُنُـوفِ مِـنَ الطِّـرَازِ الأَوَّلِ
أَوْلاَدُ جَفْنَـةَ حَـوْلَ قَبْـرِ أَبِيْهِـمُ قَبْـرِ بْـنِ مَـارِيَـةَ الكَـرِيْـمِ المُفْضِـلِ
الخَـالِطُـوْنَ غَنِيَّهُـمْ بِفَقِيْـرِهِـمْ والمُنْعِمُونَ عَلى الضَّعِيْفِ المُرْمِلِ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدّه الدّعبل بن علي ، أنَّ الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر - وهو الحارث الأكبر - وصَّى ابنه عمرو بن الحارث في شعره حيث يقول : [من البسيط]

يا عَمْرُو دُوْنَكَ مُلْكُ الشَّام دُوْنَكَهُ دُوْنَ المُلُـوْكِ وَلِلْحُسَّـادِ تَـرْغِيْـمُ
مَـا إِنْ مَضَـتْ حِمْيَـرٌ إِلاَّ بِغُصَّتِهَـا وَلاَ العَمَـالِقَـةُ الأُولَـى وَلاَ الـرُّومُ
هِـيَ الشَّـاَمُ الَّتِـيْ مَـا مِثْلُهَـا بَلَـدٌ يَـا عَمْـرُو دُوْنَكَهَـا والـرِّزْقُ مَقْسُـوْمُ
يَا عَمْرُو أَصْلِحْ لَكَ النَّاسَ الَّذِيْنَ لَهُمْ فِيْهَـا السَّـوَارِحُ [ ][3]
احلل بَوَادي بِهَا عَنْ قُرْبِ حَاضِرِهَا بِحَيْـثُ مـوجـوءهـا شِيْـحٌ وَقَيْصُـوْمُ
وَحَيْـثُ لَيْـسَ بِهَـا حَـيٌّ يُجَـاوِبُهَـا إِلاَّ الصَّدَىٰ في سَوَادِ اللَّيْلِ والْبُوْمُ
إِنَّ البُـدَاةَ إِذَا مـا اسْتَـوْطَنَـتْ بَلَـداً فِيْـهِ لأَهِلِيْـهِ جَنَّـاتٌ وَتَنْعِيْـمُ

---

(١) في القاموس : (ن ص ص) ناصه : ارتفع عليه وناقشه .
(٢) ديوان حسّان ، ٣٦٤ .
(٣) ما بين المعقوفتين كلمتان غير واضحتين في الأصل .

حَنَّتْ لإِفْسَادِ مَا فِيْهِ هُنَاكَ كَمَا ... تَحِنُّ مذودة عن وردها [ ][1]
مَا لِلْبُدَاةِ سِوَى الأَقْصَى إِذَا نَزَلَتْ ... وَلاَ لَهَا مَوْطِنٌ إِلاَّ الدَّيَامِيْمُ
بِهَذِهِ كَانَ وَصَّانِيْ أَبِي وَبِهَا ... يَا عَمْرُو أُوْصِي وَمِنْهَا المُلْكُ مَرْسُوْمُ

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ عمرو بن الحارث الأكبر حفظ وصيته أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وملك ما ملك أبوه من أرض الشام وقبائل العرب . ويقال : إنَّه رسم لنفسه في كل ليلة جارية بكراً ، لا بد له منها من السبايا التي تصيبها خيله وسراياه المغيرة في البلاد على العصاة من أهلها . ولم تزل تلك حاله حتى وقعت في السَّبي أختُ عمرو بن الصعق العدوانيّ ، قال : فلم يشعر عمرو بن الحارث وقد أمر أن يؤتى بها إلا وبقناة تقرع اللهج فأشرف ، فإذا هو بفارس يقول : [من الكامل]

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَهِيْبُ أَمَا تَرَى ... لَيْلاً وَصُبْحَاً فِيْكَ يَخْتَلِفَانِ
هَلْ تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ أَنْ تَأْتِيْ بِهَا ... مَشْياً وَهَلْ لَكَ فِي الصَّبَاحِ يَدَانِ
اِعْلَمْ وَأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِيْنُ تُدَانُ

قال : فناداه عمرو بن الحارث ، وقال له : قد أمنك الله فيمن لك عندي ، وأمَّن كافة الناس فيمن وقع لهم إلي من السَّبايا ، ثم أمر ألا تبقى سبيَّة سُبيت إلا كسيت ورُدَّت ، وحُملت إلى أهلها و[رُدَّ][2] إليها من كان في الأسرى من أهلها ، وأن يرد عليها ما أخذ لها واغتنم من مالها . وآلى يميناً من أوكد ما كانت تحلف به الملوك أنه لا يعود فيما كان يفعله أبداً . ففي ذلك يقول عمرو بن الصعق العدواني : [من الطويل]

أَتَيْتُ ابنَ هِنْدٍ طَارِقاً بَعْدَ رِقْبَةٍ ... مَخَافَةَ مَا تَصْتَكُّ مِنْهُ المَسَامِعُ
قَرَعْتُ بِرُمْحِيْ لهجه فَوَعَظْتُهُ ... وَضَاقَتْ بِأَحْشَائِي وَقَلْبِيْ الأَضَالِعُ

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .
(٢) ما بين المعقوفتين كلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

فَأَمَّنَنِي مِمَّا خَشِيتُ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَنْجَلِي عَنَّا الأُمُورُ الرَّوَائِعُ
وَأَطْلَقَ لِيْ عُونَاً وَعَذْرَا كَأَنَّهَا وَقَدْ أَقْبَلَتْ تَمْشِي الظِّبَاءُ الرَّوَاتِعُ[1]
[٢٩/ب] فِدَاءً لَهُ عدوَانُ طُرّاً وَغَيْرُهَا أَلاَ وَنَأَى عَنْهُ الرَّدَى والفَجَائِعُ
هُوَ المَلِكُ البَرُّ السَّمَيْذَعُ والَّذِي نَمَتْهُ المُلُوكُ الأكْرَمُونَ السَّماذِعُ[2]
لَهُمْ أَوَّلُ الدُّنْيَا وَحَادِثُهَا لَهُمْ وَآخِرُهَا فِيهِمْ مَعَ المُلْكِ رَاجِعُ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنَّ عمرو بن الحارث وصّى ابنه الحارث الخطّار الذي كانت تسميه العرب الحارث الأعرج قال : وكان عمرو بن الحارث كاهناً ، يخبر بالكوائن ، وينذر منها ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

يَا حَارِ إِنِّي أَرَى دُنْيَايَ صَائِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَقَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقِ
غَدَاً سَتَجْتَازُهَا دُونِي وَتَمْلِكُهَا إِنْ يَأْذَنِ اللهُ لِي فِيهَا بِتَفْرَاقِ
مَا يَقْتَنِي المُلْكَ إِلاَّ مَنْ تَبَوَّأَهُ عِنْدَ النَّوَائِبِ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ بَاقِ
وَالنَّاسُ سَرْحُ رِبَاعٍ وَالمُلُوكُ لَهُمْ مَا بَيْنَ رَاعٍ وَحَفَّاظٍ وَسَوَّاقِ
وَلاَ يَحُوطُ وَلاَ يَرْعَى الأَنَامَ سِوَى مَنْ فِي ذُرَى المَجْدِ عَالٍ فِي العُلَى رَاقِ
مَاضِي العَزِيْمَةِ ذِيْ حَزْمٍ وَذِيْ فِطَنٍ مُوْفٍ لَدَى العَقْدِ مِنْ عَهْدٍ وَمِيْثَاقِ
تَفِيْضُ كالبَحْرِ ذي الأَمْوَاجِ رَاحَتُهُ بِنَائِلٍ مُسْتَهِلٍّ السَّيْبِ دَفَّاقِ
فَإِنْ أَلَمَّتْ عَوَانٌ لِلْحُرُوبِ وَقَى مِنْهَا الَّذِي لاَ يَقِيْهِ دَافِعٌ وَاقِ
بِذَابِلٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ يَقْدُمُهُ وَصَارِمٍ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ بَرَّاقِ
هِيَ الوَصِيَّةُ فَاحْفَظْهَا كَمَا حُفِظَتْ لِلْمُلْكِ عَنْ كُلِّ فَتَّاقٍ وَرَتَّاقِ[3]

قال محمد بن علي : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن الحارث الأعرج

---

(١) العُون : جمع عَوْن وهي المرأة ذات الزوج (القاموس : ع و ن) .
(٢) السميذع : السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف (القاموس : س م ذ ع) .
(٣) فتاق رتاق : مر معناها في الحواشي السابقة .

حفظ الوصية ، وعمل بها ، وثبت عليها ، وملك بعد أبيه عمرو بن الحارث ما كان يملك من البلاد وقبائل العرب ، وهو الذي ذكره النابغة في شعره الذي [مدح فيه][1] ابنه عمرو بن هند حيث يقول[2] : [من الطويل]

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ
حَلَفْتُ يَمِيْنَاً غَيْرَ ذِيْ مَثْنَوِيَّةٍ ... وَلاَ عِلْمَ إلاّ حُسْنُ ظَنٍّ بِغَائِبِ
لَئِنْ كَانَ بِالقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلَّقٍ ... وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءَ الَّذِيْ عِنْدَ حَارِبِ
وَمَا الحَارِثُ الجَفْنِيُّ سَيِّدُ قَوْمِهِ ... لِمُلْتَمِسٍ بِالجَمْعِ أَرْضَ المُحَارِبِ[3]
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِسٍ ... بِهِنَّ كُلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ
إذَا اسْتُنْزِلُوا عَنهُنَّ لِلْمَوْتِ أَرْقَلُوا ... إِلَى المَوْتِ إِرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ
وَلاَ عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوْفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

ويقال : إنَّ القبرين الذين ذكرهما النابغة ، أحدهما قبر جفنة بن مارية ، والآخر قبر الحارث الأكبر بن ثعلبة بن جفنة . وأما قبر [٣٠/ أ] عمرو بن الحارث ففي خلان من أرض الشام ، وقد ذكره النّابغة في شعره حيث يقول[4] : [من الطويل]

وآب مصلـوه بغيـر جَلِيَّـةٍ ... وغـودر فـي خـلان حـزمٌ ونـائـلُ

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والسياق يقتضيه .
(٢) ديوان النابغة ، ٥٥ ـ ٦٠ .
(٣) في الديوان :
وللحـارثِ الجفنـي سيـدِ قـومـه ... ليلتمسَنْ بـالجمـع أرض المحـارب
(٤) ديوان النابغة ، ١١٩ . ورواية الديوان :
وآب مُضِلّـوه بعيـن جليَّـة ... وغـودر بـالجـولان حـزم ونـائـل
وقال في الشرح : ويروى « مجنّوه » ويروى « مُصلّوه » بالصاد غير معجمة والمصلون من السَبْق ومضلوه دافنوه من قوله تعالى : ﴿ أئذا ضللنا في الأرض ﴾ أي دُفنا . وأمر جلي أي واضح ، وهذا الشيء ، أجلى من هذا أي أوضح .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدَّعبل بن علي ، أنّ الحارث الأعرج بن عمرو بن الحارث الأكبر وصَّى ابنه أبا منذر واسمه عمرو المحرِّق بن هند . وهند بنة عوف الشيباني ، أمها البرصاء بنة مرّة فقال : [من البسيط]

يَا عَمْرُو دُوْنَكَ أَرْضَ الشَّام دُوْنَكَهَا ... يَـا عَمْـرُوُ إِنَّ لَهَـا شَـأنـاً مِـنَ الشَّـانِ[1]

يَا عَمْرُو فِيْهَا لَكَ المُلْكُ الَّذِيْ مَلَكَتْ ... أَوْلاَدُ جَفْنَـةَ مِـنْ أَوْلاَدِ غَسَّـانِ

لاَ تَكْـذِبَـنَّ فَخَيْـرُ القَـوْلِ أَصْـدَقُـهُ ... وَالمَـرْءُ يَكْـذِبُ فـي سِـرٍّ وَإِعْـلاَنِ

مَا مِثْلُ مُلْكِكَ مُلْكٌ حَازَهُ مَلِكٌ ... مِـنْ نَسْـلِ حِمْيَـرَ أَوْ مِـنْ نَسْـلِ كَهْـلاَنِ

إِلاَّ التَّبَـابِعَـةُ الغُـرُّ الَّـذِيـنَ لَهُـمْ ... كَـانَـتْ تَـدِيْـنُ مُلُـوكُ الإِنْـسِ والجَـانِ

أَبْنَاءُ قَيْصَرَ قَدْ كَانَتْ تَدِيْنُ لَهُمْ ... وَكَانَ دانٍ لَهُم كِسْرى بنُ سَاسَانِ[2]

إِنَّ المُلُوْكَ رُعَاةُ النَّاسِ حِيْنَ لَهُمْ ... مَا كَانَ في الأَرْضِ مِنْ عِزٍّ وَسُلْطَانِ

كُنْ خَيْرَ رَاعٍ إِذَا استَرْعَاكَ رَبُّهُمُ ... إِيَّـاهُـمُ وَلَنَـا كُـنْ خَيْـرَ مَـا ثَـانِ

كمْ أُوْصِكَ اليَوْمَ إلاَّ بالَّذِيْ حَفِظَتْ ... عَـنِ الأَوَائِـلِ مِـنْ أَبْنَـاءِ قَحْطَـانِ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ عمرو المحرِّق وهو ابن هند بنة عوف الشيباني حفظ وصية أبيه ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وملك ما ملكت آباؤه من البلاد وقبائل العرب .

ويقال : إنَّه سمي محرِّقاً على وقت كبر سنه ، وذلك أنَّ أخاً له يقال له « أسعد » ، وكان مسترضعاً في تميم ، فخرج إليهم عمرو بن هند ، فقتل من تميم مقتلة عظيمة ، ثم أخذ منهم مائة رجل أحياء ، فضرجهم في النار ، وحرقهم ، فلذلك سمي محرِّقاً . وقد ذكر ذلك ابن غالب التميمي في شعره حيث يقول : [من الكامل]

أَيْـنَ الَّـذِيْـنَ بِنَـارِ عَمْـرٍو حُـرِّقُـوْا ... بَـلْ أَيْـنَ أَسْعَـدُ فِيْهِـمُ المُسْتَـرْضَـعُ

---

(١) في الأصل إنّ لها شأن .

(٢) كذا ورد البيت في الأصل .

وقد ذكر ذلك الأعشى في شعره حيث يقول[١] : [من مجزوء الكامل]

أبنــــاء قـــوم قُتِّلـــوا　　يـــوم القُصَيْبَـــةِ مـــن أوارهْ
والعـــود يُعصـــر مـــاؤه　　ولكـــلِّ عيـــدانٍ عُصـــارهْ

وقد ذكر ذلك الطِّرِمَّاح في شعره الذي يقول فيه[٢] : [من البسيط]

ودارمٌ قَـدْ قَـذَفْنـا منهُـمُ مِـائـةً　　في جَاحم النَّارِ إذ يَنزُون في الخُدَدِ[٣]
ينزُون بالمُشْتَوى منها ويوقدها　　عمروٌ ، ولولا شحومُ القومِ لم تَقِدِ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنَّ عمرو المحرق وصّى ابنه الأيهم[٤] فقال : [من الكامل]

إنَّ الشَّامَ وَمَا حَوَتْ لِيَ أَرْضُهَا　　لَكَ بَعْدَ يَوْمِيْ كُلُّهَا يَا أَيْهَمُ [٣٠/ ب]
قَـدْ سُستُهَـا وَمَلَكْتُهَـا لِـيَ حِقْبَـةً　　وَكَــذَاكَ تَمْلِكُهَــا وَمُلْكُــكَ يَعْظُــمُ
فَإِذَا مَلَكْتَ وَصِرْتَ صَاحِبَ أَمْرِهَا　　بَعْــدِيْ فَحُطْهَــا بِــالَّتِــيْ هِــيَ أَقْــوَمُ
أَحْسِنْ إِلَى مَن كَانَ فِيْهَا مُحْسِناً　　وَأَعْــدِلْ فَمَهْمَــا تَسْتَطِــعْ فَتَقَــدَّمِ

---

(١) ديوان الأعشى ١٨٥ ، انظر لترجمته معاهد التنصيص ١/ ١٩٦ ، خزانة البغدادي ١/ ٨٤ ، الأغـانـي ٩/ ١٠٨ ، الآمـدي ١٢ ، شـرح الشـواهـد ٨٤ ، آداب اللغة ١/ ١٠٩ ، جمهرة أشعار العرب ٢٩ ، ٥٦ ، المرزباني ٤٠١ ، الشعر والشعراء ٧٩ ، صحيح الأخبار ١/ ١٢ ، ٢٤٤ شعراء النصرانية ١/ ٣٥٧ ، رغبة الأمل ٤/ ٧٠ .

(٢) ديوان الطرماح ، ١٦٣ ، وهو الطرماح بن حكيم من طيء ولد ونشأ في الشام وانتقل إلى الكوفة ، واعتقد مذهب الخوارج الأزارقة ، كان هجّاء عاصر الكميت فكانا لا يكادان يفترقان . قال الجاحظ : كان قحطانياً عصبياً توفي نحو سنة ١٢٥ ، انظر الأغاني ١٠/ ١٤٨ ، البيان والتبيين ١/ ٢٧ ، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٥٢ ، الشعر والشعراء ٢٢٨ ، خزانة البغدادي ٣/ ٤١٨ ، الذريعة ١/ ٣٣٨ .

(٣) جاحم النار : النار المشتعلة وكل نار شديدة في هوة (القاموس : ج ح م) ينزون : يثبون (القاموس : نازا) الخدد : جمع خُدَّة وهي الحفرة المستطيلة كالأخدود (القاموس : خ د د) .

(٤) انظر لترجمته ابن خلدون ، القسم الأول ٢/ ٢٨١ ، تاريخ سني ملوك الأرضي ـ ٨ .

مِـنْ نَـائِـلٍ وَسَمَـاحَـةٍ تَعْلُـو بِهَـا   لِبَنِـيْ أَبِيْـكَ سَنَـاؤُهَـا المُتَعَظِّـمُ

وَالجَارُ وَالمَوْلَى فَلَا تَخْذُلْهُمَا   فَكِـلَاهُمَـا لَـكَ صَـاحِـبٌ لا يُسْلَـمُ

وَعَلى العَشِيْرَةِ كُنْ عَطُوْفاً إِنَّهَا   لِبَنِـيْ أَبِيْـكَ صِنَـاعَـةٌ لا تُهْـزَمُ[1]

هَـاتَـا وَصَـاتِـي إننـي أوصيكهـا   فَـاعْمَـلْ بِهَـا دُوْنَ الـوَرَى يَـا أَيْهَـمُ

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إنَّ الأيهم بن عمرو المحرِّق حفظ هذه الوصية ، وعمل بها ، وثبت عليها ، وملك ما كان يملك أبوه عمرو المحرق .

والأيهم الذي يقول فيه النابغة ، يوم قال له عمرو بن الحارث المحرق : امدح لي يا أخا ذبيان هذا الغلام ، فقال[2] : [من السريع]

هَـذَا غُـلَامٌ حَسَـنٌ وَجْهُـهُ   مُسْتَقْبِـلُ الخَيْـرِ سَـرِيْـعُ التَّمَـامْ

للحَـارِثِ الأَكْبَـرِ وَالْحـارِثُ الْـ   أَعْـرَجِ وَالأَصْغَـرِ خَيْـرِ الأَنَـامْ

ثُـمَّ لِهِنْـدٍ وَلِهِنْـدٍ إِلَـى   جَـدَّاتِ صِـدْقٍ وَجُـدُوْدٍ كِـرَامْ

خَمْسَـةٌ آبَـاؤُهُـمْ وَهُـمُ   [هُمْ] خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمَامْ[3]

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدعبل بن علي ، أنّ الأيهم بن عمرو المحرق وصّى ابنه جبلة بن الأيهم[4] بن عمرو المحرق بن الحارث الخطار

---

(١) هزم له حقه : هضمه (القاموس : هـ ز م) .

(٢) ديوان النابغة ، ١٢٥ ، والأبيات فيه بعد البيت الأول :

للحـارث الأصغـر والحـارث الـ   أعـرج والحـارثِ خيـر الأنـام

ثـم لهنـد ولهنـد وقـد   أسـرع فـي الخيـرات مـن امـام

ستـةُ آبـائهـم مـاهـمُ   هـم خيـر مـن يشرب صوب الغمـام

(٣) ما بين معقوفتين ساقطة من الأصل والاستدراك من الديوان .

(٤) انظر لترجمته ابن خلدون ٢/ ٢٨١ ، فتوح البلدان للبلاذري ١٤١ و١٤٢ ، الشريشي ٢/ ٨٣ ، خزانة البغدادي ٢/ ٢٤٢ ، تاريخ سني ملوك الأرض ٨١ ، النويري ١٥/ ٣١١ .

وهو الأعرج بن عمرو بن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن جفنة بن ثعلبه بن عمرو بن عامر بن حارثة الأحساب بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، فقال له : يا بني إنَّك لمالك الشام بعدي ، وإنك لصاحب أمرها دون ولدي ، وإنك لفي أوان التعطيل لهذا الأمر الذي أوتيناه دون غيرنا ، فإذا رأيت ذلك فانظر لنفسك ما يزينها والتمس لقومك ما يصونهم .

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ جبلة بن الأيهم لم يزل ملكاً مطاعاً في قومه غسان ، يحبى إليه خراج الشام وتطيعه قبائل العرب فيها . فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تسليماً وجبلة بن الأيهم ملك الشام . فتوفي رسول الله ﷺ فجلس أبو بكر ، وأقام في الخلافة ما أقام وجبلة بن الأيهم ملك الشام . فلما كان في زمان عمر بن الخطاب أسلم جبلة بن الأيهم ، وقدم المدينة في خمسمئة فارس من قومه أصحاب التيجان ، وسار منها حتى دخل مكة حاجًّا . ويقال : إنه كان يطوف ذات يوم من أيام الحج عليه إزار [٣١/أ] وشي ورداء وشي ، فوطئ إزاره رجلٌ من فزارة ، قال : فلطمه جبلة بن الأيهم لطمة هشم بها أنفه ، فقال : فأقبل الفزاري ودمه يسيل على صدره ، حتى وقف على عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين أنصفني من هذا الملك الجبار جبلة بن الأيهم الجفني ، لطمني لطمة ، فتركني على هذه الحالة ، قال : فدعا عمر بن الخطاب بجبلة بن الأيهم ، فقال له : علام لطمت هذا الرجل ؟ فقال له جبلة بن الأيهم : وطئ إزاري ، فقال عمر بن الخطاب : أمَّا أنت فقد أقررت ، فإما أن تعطيه لطمة بلطمته ، وإما أن ترضيه من مالك ، فقال جبلة بن الأيهم : لا أفعل شيئاً مما ذكرت يا أمير المؤمنين ، وهمَّ جبلة بن الأيهم أن يثير الفتنة بينه وبين عمر بن الخطاب . قال : فدخل إليه النَّاس فكلموه ، وسكَّنوا بعض ما كان به من الغضب ، وناشدوه با لله ألا يجعلها فتنة ، فأجابهم جبلة بن الأيهم إلى ذلك .
فلما كان في بعض من الليل مضى إلى الشام جبلة بن الأيهم فيمن معه ، ودخل

في النصرانية ، ومضى حتى دخل بلد الروم على هرقل بن قيصر مغضباً حنقاً عاتباً على عمر بن الخطاب .

وهذا مختصر من خبر جبلة بن الأيهم ، والشرح يطول في ذلك . ويقال : إنَّه ندم على ما كان من تركه الإسلام ودخوله في النصرانية . وقال في ذلك شعراً ، يقول فيه : [من الطويل]

تَنَصَّرْتُ لِلإِشْفَاقِ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ ... وَمَا كَانَ فِيْهَا لَوْ تَصَبَّرْتُ مِنْ ضَرَرْ

تَحَمَّلَنِي مِنْهَا لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ ... فَبِعْتُ لَهَا العَيْنَ الصَحِيْحَةَ بالعَوَرْ

فَيَالَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيْشَةٍ ... أُجَاوِرُ قَوْمِي دَانِيَ السَّمْعِ والبَصَرْ

وَيَالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِيْ وَلَيْتَنِي ... رَجَعْتُ إِلى القَوْلِ الَّذِيْ قَالَ لِيْ عُمَرْ

وَيَالَيْتَنِيْ أَرْعَى المَخَاضَ بِعُقْرَةٍ ... وَكُنْتُ أَسِيْراً فِي رَبِيْعَةَ أَوْ مُضَرْ[1]

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : ولقد كان لجبلة بن الأيهم عند دخوله في النصرانية أخبار وأحاديث ، يطول شرحها ، وهو الذي يقول [فيه] حسان بن ثابت الأنصاري لما وصل به برّه من أرض الروم حيث يقول[2] : [من الكامل]

إِنَّ ابنَ جَفْنَةَ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ ... لَمْ تَغْذُهُمْ آبَاؤُهُمْ بِاللُّوْمِ[3]

لَمْ يَنْسَنِيْ بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَبُّهَا ... كَلاَّ وَلاَ مُتَنَصِّراً بِالرُّوْمِ

يُعْطِيْ الجَزِيْلَ وَلاَ يَرَاهُ عِنْدَهُ ... إِلاَّ كَبَعْضِ عَطِيَّةِ المَذْمُوْمِ

جَالَسْتُهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَجْلِسِيْ

وسَعَى عَلَيَّ بِرَاحَةِ الخرْطُوْمِ [٣١/ ب][4]

---

(١) المخاض : الحوامل من النوق (القاموس : م خ ض) . العقرة : الأرض الموات (القاموس : ع ق ر) .

(٢) ديوان حسان : ٤٤٧ .

(٣) اللوم : مخفف اللؤم .

(٤) الخرطوم : من أسماء الخمر ، وقيل : الخرطوم أول ما يجري من العنب قبل أن يداس ، وقيل : الخمر السريعة الإسكار .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ كندة ـ وهو ثور بن المُرْتِع ، واسم المُرْتِع نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ـ وصّى بنيه ، وهم أثله ونحيب ومعاوية ، وهو جدّ الملوك المتوجة من كندة ، فقال لهم : يا بني احفظوا أنفسكم عما يشينها ، وحثُّوها على ما يزينها . يا بني ، ما أفلح غادر قط ، ولا ساد خائن يوماً من الدَّهر ، ولا عاش كريم إلا حميداً ، ولا مات جواد إلا فقيراً ولست أرى شيئاً أذل من البُخل ، ولا أحسن من المنفرد الوحيد . ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

بَنِيَّ احْفَظُوا للدَّهْرِ مِنِّيْ خَصَائِلاً	تَعِيْشُوا بِهَا بَيْنَ الأَنَامِ مُلُوْكَا
بَنِيَّ أَقَلُّ النَّاسِ مَنْ كَانَ غَادِراً	فَكَانَ لإِحْرَامِ الرِّجَالِ هَتُوْكَا
وَأَكْثَرُهُمْ مَنْ كَانَ فِي العُرْفِ آمِراً	وَكَانَ لِمَذْمُوْمِ الفَعَالِ تَرُوْكَا
وَأَكْرَمُهُمْ مَنْ كان فِي سُبُلِ العُلاَ	وَفِي مَهْيَعِ المَجْدِ التَّلِيْدِ سَلُوْكَا[١]
وأحملهم مَنْ كَان يُلْفَى لِقَوْمِهِ	إِذَا نَدَبُوْهُ للنِّزَالِ وَشِيْكَا
وَكَانَ لَدَى الهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ	قَصُوْمَاً لأَقْرَانِ الرِّجَالِ بَتُوكَا[٢]
وإِيَّاكُمُ وَالْبُخْلُ فَالْبُخْلُ رِبُّهُ	وَإِنْ كَان ذَا مَالٍ يَمُوْتُ ضريكا[٣]
وَلَوْ عَاشَ مَا قَدْ عَاشَ لُقمَانُ لَمْ يَكُنْ	مَعَ البُخْلِ إلاَّ خَامِداً وَهَلُوكَا
بَنِيَّ صِلُوْا الأَرْحَامَ كَيْ لاَ تَفَرَّدُوْا	إِذَا كَانَ طَعْنُ الوَاصِلِيْنَ شَكُوْكَا
فَمَا اللَّيْثُ إِلاَّ بِالعَرِيْنِ الَّذِيْ بِهِ	لِمَا شَاءَهُ عِنْدَ الجِبَالِ دروكا
وَلَيْسَ امْتِنَاعُ البَيْتِ إِلاَّ بِأَهْلِهِ	وإن [ ][٤] سميكا

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنَّ واثلة بن كِنْده بن المرتع وهو الذي يقال له الأشرس بن كِنْدة وصَّى بنيه فقال لهم : يا بَنِي ،

---

(١) مر معنى مهيع في الحواشي السابقة .

(٢) بتوك من بتك بمعنى قطع (القاموس : ب ت ك) .

(٣) في الأصل وإياكم والخيل فالخيل . ولا يستقيم المعنى بذلك . والضريك : الفقير السيء الحال (القاموس : ض ر ك) .

(٤) ما بين المعقوفتين كلام غير واضح في الأصل .

عليكم بالثلاثة تنالوا بها ثلاث خصال ، لا ينازعكم فيه ثلاثة ؛ شريف تعالى في شرفه ، وعزيز تسامى في علو عزّه ، وكريم [ ][1] في حالق من ربائع كرمه . يا بَنّي ، أجزلوا الموهبة قبل أن تُسألوها لتسودوا الكرام قبل أن يسودكم مِبْذالها ، وأجملوا الصَّمت في الندي يجمع لكم قوّالها ، واصدقوا الطعن عند الهياج ليرهب جانبكم أبطالُها . أي ثلاثة لاعدمتموهن ثلاثاً تجمع لكم الكرم والسؤدد والعز .

وفي ذلك يقول أخوه يجنب بن كندة حيث يقول : [من الكامل]

لَمْ يُبْقِ وَائِلَةُ بنُ كِنْدَةَ مَرْشَداً ... مِمَّا بِهِ وَصَّى بَنِيْهِ أَبُوْهُ [٣٢/ أ]

حَتَّى حَبَاهُ ذَا المكَارِمِ سَكْسَكاً ... فَوَعَاهُ حِفْظَاً والسَّكُوْنُ أَخُوْهُ

وَصَّاهُمَا بِثَلاثَةٍ وَصَّى بِهَا ... فِي السَّالِفَاتِ مِنَ الزَّمَانِ ذَوُوْهُ

لا تَعْدُوانِ الرُّشْدَ ما عملاتها ... والمَرْءُ يَحْوِيْ مَا حَوَاهُ أَبُوْهُ

إِنَّا لَنَسْلُكُ مَسْلَكَا آبَاؤُنَا ... مِنْ قَبْلِنَا فِيْمَا مَضَى سَلَكُوْهُ

وَكَذَاكُمُ أَوْلادُنَا أَتْبَاعُنَا ... فِيْمَا اتَّخَذْنَاهُ وَمَا اتَّخَذُوْهُ

لاَ يَعْرِفُوْنَ سِوَى الَّذِي مِنْ قَبْلِنَا ... آبَاؤنَا وَجُدُوْدُنَا عَرَفُوهُ

كَانُوا المُلُوكَ وَقَدْ مَلَكْنَا بَعْدَهُمْ ... مِنْ أَمْرِ هَذَا النَّاسِ مَامَلَكُوْهُ

وَلَسَوْفَ يَمْلِكُ بَعْدَنَا مِنْ نَسْلِنَا ... تِيْجَاتَنَا شُمُّ الأُنُوْفِ وُجُوهُ

يُوْهُوْنَ مَا رَقَعَ الزَّمَانُ وَصَرْفُهُ ... عِزَّاً وَلاَ يُوهَى الَّذِيْ رَقَعُوْهُ

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ معاوية الأكرمين وهو جد الملوك المتوّجة من كندة وصَّى بنيه ، فقال لهم : يا بني ، أحسنوا موالاة من والاكم ، واجتهدوا في معاداة من عاداكم ؛ أما من عاداكم فأسهروا ليله ، وأخيفوا نهاره ، وكونوا أمامه ظلاماً ، ووراءه أفاعي ، وعن يمينه وشماله أسداً ، افترسوه في الليل إذا تعشىٰ ، وانتهموه في النهار إذا تخلّى ،

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

فإن تركه إياكم ليس من شفقة به عليكم ، ولكنه ينتظر الفرصة فيكم ، ليثب وثبة الخادم على الضَّالة في مرصده . وأما من والاكم فارعوا ليله ، واحفظوا نهاره ، وكونوا له حصناً ساطعاً وركناً مانعاً وعيشاً هامعاً ، وأدنى ما توجبون له من حقه أن تؤثروه بالخير عليكم ، وتقوه الشر بأنفسكم ، وأن تحفظوه وأقاربه ؛ فما الناس إلا اثنان ، عدو كاشح وصديق ناصح .

ومعاوية هذا الذي يقول [فيه] عامر بن السَّكُون الأشرس بن كنده بن المُرْتِع حيث يقول : [من الطويل]

أَبَتْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ إلاَّ امْتِحَانِيَهْ ... [ ][1] على المكروه إلا اصطباريَهْ
لَقَدْ كَانَ ظَنِّيْ أَنْ أُوَارَى وَلاَ أَرَى ... رَجَالاً بِأَيْدِيْهَا بَوَاراً مُعَاوِيَهْ
وَكَانَ القُوَى مِنِّيْ فَلَمَّا سُلِبْتُهُ ... سُلِبْتُ القُوى حَتّى اسْتَبَانَ انحِنَائيَهْ
لَقَدْ فَارقَتْنِيْ يَوْمَ فَارقْتُ وَجْهَهُ ... يَمِيْنِيَ لاَ بَلْ فَارَقَتْنِيْ شِمَالِيَهْ
فَلَوْ كَانَ يُفْدَى لاَفْتَدَيْتُ بَقَاءَهُ ... بِنَفْسِيْ وَأَوْلاَدِيْ وَأَهْلِيُ وَمَالِيَهْ
لَقَدْ وَرِثَتْ ثَوْر بنَ نَبْتِ بنِ مَالِكِ ... فَتَاهَا الَّذِيْ أَضْحَتْ لَهُ وَهْيَ بَاكِيَهْ
[٣٢/ب] فَكَائِنْ تَرَى فِي كِنْدَةَ المُلْكَ والعُلا ... لَهُ الْيَوْمَ مِنْ رَاثٍ يَحِنُّ وراثية
مُعَاوِيَ إِنِّي لَسْتُ أَنْسَاكَ مَا جَرَتْ ... شَآمِيَةٌ فِي عَنْدَلٍ أَوْ يَمَانِيَهْ
تَمَنَّيْتُ إِذْ وَافَتْ نعَاتُكَ عُذْوَةً ... بِأَنْ قَبْلَهَا قَامَتْ عَلَيَّ نُعَاتِيَهْ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أن عمرو المفضور [وصى][2] بنيه فقال لهم : يا بني ، إن الدهر يومان ، خير وشر ، فأعدوا للخير خيراً يُجمع لكم خيران في قرن واحد ، وادفعوا شرَّه بالتي هي أحسن عاقبة وأجَلَّ مآلاً من غيرها ، يا بني ، اعملوا بما أوصيكم ، ولا تعدوه إلى غيره ، فإن الرُّشد في وصيتي والغيَّ بما خالفها . ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .
(٢) ما بين المعقوفتين كلمة ساقطة في الأصل والاستدراك يقتضيه المعنى .

إِنْ تَجْهَلُوا ذِكْرَكُم فَالدَّهْرُ يَوْمَانِ ... خَيْـرٌ وَشَـرٌّ هُمَـا شَيْئَـانِ إِثْنَـانِ
اسْتَقْبِلُـوْا خَيْـرهُ بِـالخَيْـرِ وافْتَـرِقُـوا ... خَيْراً يَكُـنْ لَكُـمُ فـي الخَيْـرِ خَيْرَانِ
وَدَافِعُـوا شَـرَّهُ عَنْكُـمْ بِـأَحْسَنِهَـا ... دَفْعَـاً فَقَـدْ يُـدْفَـعُ الشَّـرُ بِـإِحْسَانِ
بِـذَاكَ أَسْـلاَفُنَـا وَصَّـوا [ ][1] ... بنيهـمُ مِـنْ بَنِـي هُـوْدٍ وَقَحْطَـانِ
وَلَـمْ يَـزَلْ ذَاكَ فِـيْ الحَيَّيْنِ بَعْـدَهُـمُ ... مِنْ حِمْيَرٍ وَالذُّرَى مِنْ فَرْعِ كَهْلاَنِ
لَنَـا الـذي أَسَّسُـوه قَبْلَنَـا وَلَهُـمْ ... مَـا نَحْـنُ نَبْنِيْـهِ مِـنْ تَشْيِيـدِ بُنْيَـانِ
وَالمُلْـكُ فِيْنَـا وَفِـي إِخْـوَانِنَـا وَلَنَـا ... مَـا كَـانَ لِلْمُلْـكِ مِـنْ عِـزٍّ وَسُلْطَـانِ
بَنِـيَّ لاَ تَقْطَعُـوْا عَمْـراً وَلاَ أُدَدَاً ... وَالأَزْدَ طُـرّاً وَلاَ أَحْيَـاءَ هَمْـدَانِ
وَالحَـيَّ حِمْيَـرَ لاَ تَعْصُـوْا مُلُـوْكَهُـمْ ... فَـإِنَّكُـمْ مَعَهُـمْ فـي المُلْـكِ سِيَّـانِ
هُـمُ أَذَلُّـوْا لَكُـمْ هَـذَا الأَنَـامَ وَهُـمْ ... أَعْطُـوْكُـمُ المُلْـكَ فـي أَبْنَـاءِ عَدْنَـانِ
وَهُـمْ أَبَـاحُـوْا بِـلاَدَ الهِنْـدِ وَافْتَتَحُـوْا ... مَدَائِنَ العُجْمِ في أَقْصَى خُرَاسَانِ
وَهُمْ صُلُوْا نَارَ أَهْلِ الصِّيْنِ دُوْنَكُمُ ... حَتَّـى حَـوَوْهَـا لَكُـمْ يَـاآلَ قَحْطَـانِ
والـرُّوْمَ قَـدْ مَنَحُـوْهَـا عُنْـوَةً لَكُـمُ ... وَأَرْضَ فَـارِسَ دَاسُـوهَـا وَكِـرْمَـانِ

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنّ معد يكرب الكندي وهو الذي يقال له ذو التاج الأوضح أقبل على بنيه وهو يقول : [من المتقارب]

بَنِـيَّ حَلَبْـتُ الـزَّمَـانَ الخَـؤُوْن ... وَدَرَّجْـتُ أَسْطُـرَهُ بِـالغِيَـرْ
وَأَبْلَيْـتُ ثَـوْبَ الشَّبَـابِ النَّضِيْـرِ ... وَبُـدِّلْـتُ رَيْعَـانَـهُ بِـالْكِبَـرْ
وَقَـدْ دَقَّ عَظْمِـيْ وَدَانَـى خُطَـاْي ... وَخَانَنِيَ السَّمْعُ بَعْد البَصَرْ [٣٣/ أ]
وَأَصْبَحْـتُ أُخْبِـرُ عَـنْ مَعْشَـرٍ ... مَضَـى العَيْـنُ مِنْهُـمْ وَوَلَّـى الأَثَـرْ
يُسَـائِلُنِـيْ الحَـيُّ عَـنْ سَـالِفِيْهِـمْ ... كَـأَنِّـيْ لفـائتهـا ذُوْ العُمُـرْ
أَوَ انِّـيْ رَكِبْـتُ وَأَولاَدَ نُـوْحٍ ... عَلَـى ذَاْتِ أَلْـوَاحِهَـا وَالـدُّسُـرْ
بَنِـيَّ اسْـأَلُـوْنِـيْ وَلاَ تَسْـأَلُـوْا ... سِـوَاْيَ فَعِنْـدِيْ صَحِيْـحُ الخَبَـرْ

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

عَنِ المُلْكِ كَيْفَ حَوتَهُ الرِّجَالُ مِنَ ابْنَاءِ قَحْطَانَ دُوْنَ البَشَرْ
لأُخْبِرَكُمْ خَبَراً شَافِيَاً يُسَرُّ بِهِ مِنْكُمُ مَنْ يُسَرْ
يَنَالُ مِنَ المُلْكِ مَالاَ يظن بِمَا قَلَّ مِنْ ذَاْتِهِ أَوْ كَثُرْ
وَمَنْ يَأْمَنِ الجَارُ مَكْرُوْهَهُ وللجار مَأموْلُهُ يُنتَظَرْ
وَمَنْ يَتَّقِ اللهِ فِي أَمْرِهِ وَيَرْجُو النَّجَاةَ وَيَخْشَى الغِيَرْ
وَيَعْلَمَ أَنَّ إِلَهَ السَّمَا ءِ مَا دُوْنَهُ لامْرِىءٍ مِنْ وَزَرْ(١)
يَرَى مَا يَرَوْنَ وَمَا لاَ يَرَوْنْ وَمِنْ عَنْدِهِ مُحْكَمَاتُ الزُّبُرْ
فَهَاتَا وَصَاتِيْ لَكُمْ يَا بَنِيَّ وَكَانَتْ وَصَاةَ جُدُوْدِيْ الغُرَرْ

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ الأسود بن معديكرب حين سمع هذا الشعر من أبيه آلى يميناً ألا يتّزر على زينة أبداً ، ولا يمنع السائل مسألة يوماً ، ولا تخمد له نار على طارق ما عاش ، ولا يتقي أحداً فيما يروم من أمر الملك في دنياه إلا الله الذي خلقه وبرأه . ثم أقبل على بنيه وهو يقول : [من الرجز]

إِنِّيَ وَأَيْمِ اللهِ يَا مَعْديكرِبْ لَبَارِحٌ مَا عِشْتُ أَوْ ما تحتنب
واحد منك يا عصام الأدب فَلْيَأْمَنْ جَارِيَ مَا هَبَّ وَدَبْ
فَلَيْسَ منْ عِنْدِي على جَارِي الأَرَبْ إِنِّيْ وَحَقِ الجَارِ حَتْمَاً قَدْ وَجَبْ
وَسَوْفَ أُعْطِيْ مَاْ مَلَكْتُ بَلْ أَهَبْ مِنَ البِلَادِ واللُّجَيْنِ وَالذَّهَبْ
وَالطَّارِفِ المِيْرَاثِ عَنْ أُمٍّ وَأَبْ حَتَّى أَشِيْدَ حَسَبَاً فَوْقَ الْحَسَبْ
وَشَرَفَاً يُغْنِيْ الفَتَىٰ عَنِ النَّسَبْ يُنْبِيْكَ أَنِّيْ مِنْ جَمَاهِيْرِ العَرَبْ
ذِمَامُهُمْ يُغْشَى الَّذِيْ يَهْدِيْ الطَّلَبْ مَنْ شَاءَ مَالِيْ دُوْنَهُ فَلْيَنْتَهِبْ
وَتِلْكَ نَارِيْ مَا بَقِيْتُ تَلْتَهِبْ لِلطَّارِقِ الضَّاوِيْ وَلِلطَّاوِيْ الصَّغِبْ(٢)

---

(١) الوزر : الملجأ ، وأصله الجبل (مختار الصحاح : وزر) .
(٢) الصغب : السغب : الجائع (القاموس : ص غ ب ، س غ ب) .

قال : فلما سمع [أخوه . . . بن][1] معديكرب شعر أخيه الأسود بن معديكرب وما ردّ فيه على أبيه وما تقدم من يمينه ، آلى يميناً كألّيَّةِ أخيه أو أوكد [٣٣/ب] منها على أنه لا يمنع أحداً شيئاً من ماله ولا ما سأل ، وأنَّه لا يتكلم بالخنى ما بقي ، وأنه لا يهم برأيه ما عاش ، وأنه لا يغدر ، ولا يخون ، ولا ينطق إلا بما لا يُرَدُّ عليه ، وأنه لا يَرهب في جميع الأمور إلا الله وحده لا شريك له . ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

أَيَـا ابـنَ مَعْـدِيكـرِبٍ خَيْـرَ البَشَـرْ ... فِيْنَا ابْتُنِي الخَيْرُ مَعَ الشَّرِّ الشِمرّ[2]

نَخْلُـوْ إِذَا شِئْنَـا وَإِنْ شِئْنَـا نَمُـرْ ... إِنِّـي وَرَبِّ المثبتـات للشَّحـر

المُسْبَـلاَتِ بـالسَّحَـابِ المُنْهَمِـرْ ... لآخـذ بمـا بـه الآن شعـر

ومَـاَ بِـهِ الأَسْـوَدُ فـي القَـوْلِ نَشَـرْ ... مِـنْ تَـرْكِـيَ الـرِّيْبَـةَ وَالأَمْـرِ النَّكُـرْ

وَتَـرْكِـيَ الغَـدْرَ وَمَـا لاَ يَشْتَهِـرْ ... عِنْـدَ نِـداءِ البَـدْوِ مِنَّـا وَالحَضَـرْ

وَصَمْتِيَ الـدَّهْـرَ عَـنِ القَـوْلِ الهَتِرْ ... وَبَـذْلِـيَ المَـالَ لِسُـؤَّال العُشُـرْ

للمُتْـرِبِ الـدَّانِـيْ وَلِلنَّـائِـيْ الهكـر ... حَتَّـى أَحُـوزَ مُنْتَهـىٰ شَـأْوِ الغُـرَرْ[3]

آلَيْـتُ إِنْ طَـالَ بَقَـائِـيْ أَوْ قَصُـرْ ... لاَ أَنْتَـوِيْ الغَـدْرَ إِذَا غَيْـرِيْ غَـدَرْ

وَلاَ أَخُـوْنُ أَحَـداً مِـنَ البَشَـرْ ... هَـاتِيْـكَ نَـارِيْ فـي البِقَـاعِ تَسْتَعِـرْ

لِطَـارِقِ اللَّيْـلِ إِذَا اللَّيْـلُ انْعَكَـرْ ... مَـنْ شَـاءَ فَضْلِـي فَـإِلَـيَّ يَبْتَـدرْ

وَلَسْـتُ أَخْشَـى أَحَـداً مِمَّـنْ كَبِـرْ ... فِـيْ بَـاطِـنِ المُلْـكِ وَلاَ فِيْمَـا ظَهَـرْ

إِلاَّ المَليـكَ المُسْتَعَـانَ المُقْتَـدِرْ ... مُسَخِّـرَ الشَّمْـسِ لَنَـا مَـعَ القَمَـرْ

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنهما لم يزالا على ما وصفا به أنفسهما ، وأنّهما ما سُئلا قط شيئاً مما يسأل إلا جادا به وبذلاه لسائلهما .

---

(١) مابين المعقوفتين كلام ساقط والسياق يقتضيه .

(٢) الشّمِرّ : الشديد (القاموس : ش م ر) .

(٣) الهَكِر : الذي أدركه النعاس . أي الغافل (القاموس : هـ ك ر) .

وفيهما الأشعار الكثيرة للأعشى وغيره ، مللنا عنها في خبرهما وخبر أبيهما إلى التخفيف .

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنَّ حجر[1] بن عمرو المفضور بن الحارث آكل المرار دخلت عليه كاهنة ذات يوم ، فقالت له : أتأذن لي معك أتكلم أيها الملك ؟. فقال لها : قولي ما علمت . فقالت له : والسماء ذات البروج ، والأرض ذات المروج وما اشتملت عليه أرحام ذات الفروج لقد نبئت نبأً ، وعلمت خبراً بأن أعظمها خطراً وأبعدها نظراً وأكثرها نفعاً وضراً ، يسفك دمك شرُّها[2] أناساً ، وأرثُّها لباساً وأغشها كِنَاسا[3] ، فاظعن أيها الملك العظيم عن ساحة الأرذلين ، أسد وتميم . قال : فأطرق حجر بن عمرو المفضور بن الحارث بن آكل المرار الكندي قليلاً ، [٣٤/ أ] ثم رفع رأسه وأنشأ يقول : [من المنسرح]

مَـنْ يَـأْمَـنُ اليَـوْمَ أَوْ يَعِيْـشُ غَـدَاً ... أَمْ مَـنْ يُـرَجِّـي خُلُـوْدَهُ أَبَـدَا

يَنْفَـدُ مـا نحـن فيـه عـن كثـب ... فـي إِثْـرِ مَـنْ قَـدْ مَضَـى وَمَـنْ نَفِـدَا

حَـدَّثْـتُ عَـنْ آكِـلِ المِـرَارِ أَبِـيْ ... عَمْـرٍو وَعَمْـرٌو مَضَـىٰ وَمَـا خَلَـدَا

بِـأَنَّـهُ قَـدْ رَأَىٰ ثَمَـانِيَـةً ... قَـدْ مَلَكُـوْا الأَرْضَ كُلَّهَـا عَـدَدَا

وشـاهـديـن الخليـلَ يتلـو علـى ... جـدّهـم وَحْيـاً مُنَـزَّلاً وهُـدى

وَقَـدْ رَأَىٰ مَـنْ رَأَىٰ زُهَيْـراً ... وَمَـنْ أخبـره أنـه رأى أُدَدَا

والمـرء همـدان إِنْ سَمِعْـتَ بِـهِ ... شَـاهَـدَهُ وَهُـوَ يَحْمِـلُ اللِّبَـدَا

فَهَـلْ تَـرَى مـن أُولاك كلهـم ... فِيْمَـنْ عَلَيْهَـا مُخْلَـدَاً أَحَـدا

---

(١) انظر ترجمته في ابن خلدون ٢/ ٢٧٢ ، خزانة البغدادي ٣/ ٥٠٢ و٥٠٣ ، نسب معد ١/ ١٠٠ .

(٢) في الأصل أشرها .

(٣) الكناس : مأوى الظبي (القاموس : ك ن س) ولعلها أرادت هنا بيوتهم التي تشتمل على الخداع .

إنْ كَـلَّ سَمْعِـيْ وَرَآبَنِـيْ بَصَـرِيْ فَكُـلُّ شَـيْءٍ إلـى انْقِضَـاءِ مَـدَى
فَقَـدْ مَلَكْـتُ الخَلِيْـطَ مِـنْ مُضَـرٍ وَمِنْ تَمِيْمٍ وَالْحَيَّ مِنْ بَعْدِهَا أَسَدَا
وَعَـامِـراً لَـمْ أدع لَهُـمْ لِبَـداً يَقِيْهِـمُ سَطْـوَتِـيْ وَلاَ سَنَـدَا
وَأَيُّمَـا مَعْشَـرٍ سَمِعْـتُ بِهِـمْ لمّـا تَـدُسْ عُنْـوَةً لَهُـمْ بَلَـدَا
إنْ قَتَلـونِيْ فَفِـي ٱمْرِئِ القَيْسِ أنْ يَجْتَـاحَ بِـالخَيْـلِ والـرِّجَـالِ غَـدَا
يَتـرِكُهَا حَيْـثُ لا تُنْبِتُ وَلاَ تُصْبِحُ (م) إلاَّ طَـرائِقـاً قِـدَدَا

ويقال : إن حجر بن عمرو لمفضور ما لبث إلا قليلاً بعد ذلك حتى قتله بنو أسد ، فكان من امرئ القيس ما كان في قتله إياهم طلباً بثأر أبيه في ذلك ، وفي ذلك قوله[1] : [من السريع]

يـا دار مـاويّـة بـالحـائـل فـالخَبْـتِ فـالخَبْتَيْـنِ مـن عـاقـل[2]
صُـمَّ صَـدَاْهَـاْ وَعَفَـاْ رَسْمُهَـا وَٱسْتَعْجَمَـتْ عَـنْ مَنْطِـقِ السَّـائِـلِ
قـولا لـدُودانَ عبيـدِ العَصـا مـا غـرَّهُـم بـالأسـدِ البـاسـلِ[3]
قـد قـرت العينـان مـن فقعـس ومـن بنـي عمـرو ومـن كـاهـل[4]
ومـن بنـي بكـر بـن دُودان إذ نقلـب أعـلاهـم علـى السـافـل[5]
نطعنهـم سُلْكـى ومَخْلُـوجَـةً لَفْتَـكَ لأَمَيْـن علـى نـابـل[6]

---

(١) ديوان امرئ القيس ١١٩ .
(٢) رواية الديوان فالسَّهب فالخبتين من عاقل .
(٣) في الديوان : ما غركم . ودودان قبيلة من بني أسد التي قتلت أبا امرئ القيس . وعبيد العصا : أي لا يُعطون إلا على الضرب والإذلال ، وأراد بالأسد الباسل أباه أو نفسه .
(٤) في الديوان : قد قرت العينان من مالك . . . .
وهؤلاء الذي يذكرهم أحياء من بني أسد ، وقد قرت عيناه لقتله إياهم .
(٥) في الديوان :
ومـن بنـي غَنْـم بـن دودان إذ نقـذف أعـلاهـم علـى السـافـل
(٦) سُلْكى : طعنة مستقيمة حيال الوجه . مخلوجة : يمنة ويسرة . لفتك : ردّك وعطفك . اللأمان : السهمان .

نتركم صرعى لدى مَعْرك ... أَرْجُلُهم كالخشب الشائل
والخيل أسراب كرجل الدَّبى ... أو كقطا كاظمة الناهل[1]

وله في ذلك أشعار كثيرة ، وفيما سرَّحناه كفاية . [٣٤/ ب]

وحدّثني عليُّ بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنّ همدان بن أوسلة بن مالك بن أوسلة بن ربيعة بن زيد بن كهلان أقبل على بنيه وقد كبر سنه وكلَّ سمعه وضعُف بصره ، فقال : يا بني ، أدرع الزمان لتبليه ، فأبلته أيامه ولياليه بأحوال ثلاث ، مثل ثلاثة أنجم يتبع بعضها بعضاً ؛ الأولى أمّا الصبا وشرخه فلأولاهن ، وأمّا الشباب واعتداله فالوسطى منهن ، وأما الشيب النازل والهرم فلأخراهن ، ثنتان قد أقبلتا بما حوتاه لي ، وثالثتهن آفلة بما خلفتاه لهامتي ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

يَنِيَّ مَنْ لَمْ يَحُزْ [في] الدَّهْرِ مُعْتَبَرَاً ... لـه ففي سِنْخكُم هَمْدَانَ مُعْتَبَرُ[2]
استَقْبَلَ الدَّهْرَ إِذْ لَمْ يُعْشِ نَاظِرَهُ ... وَهْنَاً وَإِذْ لَمْ يَخُنْهُ السَّمْعُ والبَصَرُ
وَإِذْ يَرُوْحُ وَيَغْدُوْ تَحتَ خَافِقِهِ ... سوداء فنيانها كالليل معتكر[3]
يَغْدُو بِثَوْبِ الصِّبَا واللَّهْوِ مُشْتَمِلاً ... وَبِاللَّذَاذَةِ إِمَا شَاءَ يَعْتَجِرُ[4]
أَرْخَتْ عَلَيْهِ صُرُوْفُ الدَّهْرِ كَلْكَلَهَا ... وَكَلْكَلُ الدَّهْرِ لاَ يُبْقِيْ وَلاَ يَذَرُ
أَبْلَى لِوَالِدِكُمْ حَالَيْنِ فَانْقَضَيا ... عَنْهُ وَلَمْ يَقْضِ عَنْ زُلْفَاهُمُ الوَطَرُ

---

(١) في الديوان :
إذ هن أقساط كرجل الدَّبى ... .
الدبى : القطعة من الجراد . كاظمة : موضع قرب البصرة مما يلي البحر .
(٢) السِّنْخ : الأصل (القاموس : س ن خ) والكلمة بين المعقوفتين غير موجودة في الأصل ، والوزن يقتضيها .
(٣) شعر فينان : له أفنان ، وامرأة فينانة : كثيرة الشعر . (القاموس : ف ن ن) واعتكر الليل : اشتد سواده (القاموس : ع ك ر) .
(٤) اعتجر الرجل : لف العمامة على رأسه (المصباح : ع ج ر) .

بَنِيَّ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ سَوفَ يَفْقِدُ مَا ... فَقَـدْتُ مِنِّـي وَمَـنْ أَوْدَى بِـهِ الكِبَـرُ
يَنْجَابُ شَرْخُ الصِّبَا عَنْهُ وَلَذَّتُهُ ... أَجَـلْ وَيَبْيَـضُّ مِـنْ مُسْـوَدِّهِ الشَّعَـرُ
وَيَـرْتَـدِيْ بِـرِدَائِـي حِيْـنَ يَبْلُـغُ مَـا ... بَلَغْتُ [إذْ] يَنْحَنِيْ مِثْلِي وَيَنْكَسِرُ[١]
بَنِيَّ بالحِفْظِ أُوْصِيكُمْ لِجَارِكُمُ ... مَـا دَامَ فـي الأَرْضِ مِنْـهُ العَيْـنُ والأَثَـرُ
وَقَـوْمَكُـمْ فَصِلُـوْهُـمُ إنَّهُـمْ لَكُـمُ ... نِعْـمَ المَـلاذُ وَنِعْـمَ الكَهْـفُ والـوَزَرُ[٢]
لاَ تَأمَنُ العُصْمُ إلاَّ في مَعَاقِلِهَا ... والطَّيْـرُ يُـؤمِنُهـا الأَعْشَـاشُ والـوُكُـرُ[٣]
واللَّيْثُ لَوْلاَ عَرِيْنُ الخَيْسِ يَكْنُفُهُ ... مَـا كَـانَ لِلَّيْـثِ مُـرْتَـادٌ وَمُنْتَظَـرُ[٤]
هَأتَا وَصَاتِي فأَمُّوها وغيركم ... بَنِـيَّ يَجْهَـلُ أَنَّـى يَطْلُـعُ القَمَـرُ

يقول : إنكم لم تجهلوا الصواب حتى أوضح لكم .

وحدَّثني عليُّ بن محمد ، عن جدِّه الدِّعبل بن علي ، أنَّ جُشَم[٥] بن حُبران بن نوف بن همدان بن أوسله بن مالك بن أوسله بن ربيعة بن زيد بن كهلان لما حضرته الوفاة أقبل على ابنيه حاشد وبكيل وهو يقول : [من الرجز]

يُـوْصِيْكُمَـا أَبُـوكُمـا الْمَـرْءُ جُشَـمْ ... فَلَيْـسَ ذُوْ جَهَـالَـةٍ كَمَـنْ عَلِـمْ
الصِّـدْقُ بَـادٍ وَبِـهِ تُهْـدَى الأُمَـمْ ... مَعَـالِـمَ الـرُّشْـدِ إذَا الـرُّشْـدُ ادْلَهَـمْ
إنْ رُمْتُمَا السُّؤْدَدَ في النَّاسِ فَهُمْ ... يَسُـودُهُـمْ مَـنْ يَعْتَلِيهِـمْ بِـالكَـرَمْ
في كتب من عصره وفي أمم ... يقـري إذا مـا طـارق الليـل ألـم[٦]
فـي لَيْلَـةٍ حَفَّـتْ بِـأَهْلِيْهَـا الظُّلَـمْ ... مِـنْ سَنَـةٍ غَبْـرَاءَ هَـذَانِ الأَذَمْ [٣٥/أ]
أَكْثَـرُ مَـنْ بَـاشَـرَهَـا لَمَّـا يَنَـمْ ... مِـنَ الطَّـوَى والقُـرِّ فِيْهَـا وَالأَلَـمْ

---

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير موجودة في الأصل والوزن يقتضيها .
(٢) الوزر : كل معقل وملجأ (القاموس : و ز ر) .
(٣) العصم : الظباء بصفة خاصة (القاموس ع ص م) .
(٤) الخيس : موضع الأسد (القاموس : خ ي س) .
(٥) نسب معد ٢/٢٣٨ ، الإكليل ٢٨/١٠ .
(٦) الأمم : القصد (القاموس : أ م م) .

وَإِنْ دَعَا الدَّاعِيْ لِمَكْرُوْهٍ عَظُمْ ... مِنْ نَازِلٍ وَهْنَاً عَلى الْحَيِّ هَجَمْ
أَجَابَهُ كَاللَّيْثِ مِنْ تَحْتِ الأَجَمْ ... وافد مثل السهم يأتم البُهم[1]
حَتَّى أَتَى القَسْطَلَ مِنْهَا والقتم ... مفَرِّجُ البَأْسَاءِ وَالكَرْبِ المُلِمّ[2]
بِصَارِمٍ يَتْرُكُ أَفْراخَ القِمَمَ ... تطِيْرُ مِثْلَ الدَّاءِ أَوْ مِثْلَ الحُلُمْ
هذا أوَان قيل الامن للمهم ... للعزمات ثم للرأي الشيم
وَلِلْمُجَازَاةِ وإِيْصَالِ الرَّحِمْ ... وَلِلأَلَدِّ الخَصْمِ إِنْ لَمْ يَحْتَكِمْ
قَامَ لَهُمْ بِالْكُلِّ مِنْ ذَاكَ وزم ... أمرَ الجَمِيْعِ وَعَنِ الكُلِّ حَلَمْ[3]
وَلَمْ يَزِغْ عَنْ قَصدِهَا وَلَمْ يُحَمْ ... في كُلِّ مَا حَاوَلَ من أمر ورَمّ[4]
ذَلِكُمَا السَّيِّدُ [و] العَدْلُ الْحَكَمْ ... ذَلِكُمَا الرُّكْنُ الَّذِيْ لاَ يَنْهَدِمْ
ذَلِكُمَا المَأْمُوْلُ واللَّيْثُ القَطِمْ ... ذَلِكُما المهْبُوبُ في ذاتِ القُحَمْ[5]
ذَلِكُمَا السَّيْفُ الَّذِيْ لاَ يَنْثَلِمْ ... ذَلِكُمَا الرُّمْحُ الَّذِيْ لاَ يَنْفَصِمْ
ذَلِكُمَا الرَّأْسُ الَّذِي اعْتَمَّ وَتَمّ

قال : فلما سمع حاشد وبكيل هذا الشعر من أبيهما قال حاشد لبكيل : أتجيبه قبلي أم أجيبه قبلك . وقام قائماً بين يديه وهو يقول : [من الرجز]

جُزِيْتَ خَيْراً مِنْ أَبٍ وَوَالِدِ ... يَا وَاحِداً مَا مِثْلُهُ مِنْ وَاحِدِ
مُتَوَّجٍ عَلَى العِمَادِ مَاجِدِ ... أَوْعَيْتَ مَا قُلْتَ فَغَيْرُ زَاهِدِ
في حَوْزَتي الفَخْرُ بِرَأْيٍ رَاشِدِ ... شُدْتَ لِيَ السُّؤْدَدَ بِالقَوَاعِدِ
أَوْلاَدُ حَيِّ المَكْرُمَاتِ حَاشِدِ ... فَسَوْفَ تَبْنِيْهِ مَعَ المَحَامِدِ

---

(١) جمع ، مفردها بُهمة وهو الشجاع (القاموس : ب هـ م) .
(٢) المقصود بالقسطل غبار المعركة وكذا القتم (القاموس : ق س ط ل . ق ت م) .
(٣) زمّه : شده (القاموس : ز م م) .
(٤) رمّه : أصلحه (القاموس : ر م م) .
(٥) قطمه : عضه . وقطم : اشتهى الضراب والنكاح واللحم فهو قطم (القاموس : ق ط م) .

لِلْكَــرَمِ العَــالِــيْ وَلِلْمَحَــامِــدِ [بنيانَ][1] مَنْ قَدْ سَادَ كُلَّ سَائِدِ

وَفَــازَ بِــالسُّــؤْدَدِ وَالفَــوَائِــدِ مِنَ الوَصَايَا الزُّهْرِ في المسَانِدِ

حَفِظْـنَ عَـنْ قَـرْمٍ كَـرِيْـمِ الـوَالِـدِ مَاضِي الجَنَانِ شَيْظَمِيٍّ السَّاعِدِ[2]

إنــي ورب [. . .][3] الــرواعــد البــاسقــات الشمــخ الــرواكــد

لَبَــاذلٌ بِــرَغْــمِ أَنْــفِ الحَــاسِـدِ بِــرِّيَ لِــلادنَيْــن وَالأَبَــاعِــدِ

حَتَّـى أُسَمَّـى حَيْـدَ[ر] الأَمَـاجِـدِ فـي كُـلِّ نَـادٍ دمـت والمشـاهـد

مِــنْ رَاتِــبٍ وَصَــادِرٍ وَوَارِدِ وَتِلْـكَ نَـارِيْ شَبَّهَـا لـي وَاقِـدِيْ

فـي شَـرَفٍ مـن ظَلَـمِ الصَّعَـايِـدِ للطَّـارِقِ الضَّـاوِيْ المُلِـمِّ الـوَافِـدِ

وَإِنْ دُعِيْــتُ للعَــدُوِّ الحَــاقِــدِ تُرْتُ إِليهِ كالهِزَبْرِ الرَّاصِدِ[35/ ب]

بِصَـارِمٍ مَـاضـي الحُسَـامِ حَـاصِـدِ لِلْهَــامِ والأَعْنَــاقِ والسَّــوَاعِــدِ

قال : فلما سمع جشم هذا الشعر من ابنه بكيل جزاه خيراً وأومأ إليه بالجلوس فجلس . وقام أخوه حاشد بن جشم بن خبران بن نوف بن همدان ، واندفع ينشد وهو يقول : [من الرجز]

جُــزِيْــتَ خَيــراً أَيُّهَــا البُهْلُــولُ مِــنْ وَالِــدٍ أَشْكَــالُــهُ قَلِيْــلُ[4]

فــي يَعْــرُبٍ وَهْــيَ لَنَــا أُصُــوْلُ بِهَــا مَلَكْنَــا وَبِهَــا نَصُــوْلُ

وَأَنْــتَ أَنْــتَ قَيْلُهَــا المَــأْمُــولُ المَــاجِــدُ المُتَــوَّجُ الجَلِيْــلُ

تَعْنُــوْ لِسَــامِــيْ عَقْلِــكَ العَقُــوْلُ وَقَــوْلُــكَ المُسْتَمَــعُ المَقْبُــوْلُ

وَرَأْيُــكَ المُسْتَحْصِــدُ الأَصِيْــلُ قَــدْ قَــالَ مَــا قَــدْ قَــالَــهُ بَكِيْـلُ

وَحَــاشِــدٌ يَقُــوْلُ مَــا يَقُــولُ إِنِّــيْ لَهَــا المُــؤَمَّــلُ المَسْــؤُولُ

---

(1) مابين المعقوفتين في الأصل كلمة غير واضحة ، والاستدراك يقتضيه الوزن والمعنى .

(2) الشيظمي : الطويل الجسيم الفتي من الإبل والخيل والناس (القاموس : ش ي ظ م) .

(3) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في الأصل .

(4) البُهْلول : السيد الجامع لكل خير (القاموس : ب هـ ل) .

عِنْـدِيْ لِطُـلَّابِ الجَـدَا التُّهُـوْلُ ... مِـنَ العَطَـايَـا وَلَهَـا التَّفْصِيْـلُ
وَخَيْـرِيَ المُنْتَظَـرُ المَبْـذُوْلُ ... لِكُـلِّ مَـنْ حَـانَ لَـهُ النُّـزُوْلُ
بِسَـاحَتِـيْ حَيْثُ لَهَـا التَّبْجِيْـلُ ... والـرَّحْـبُ والتَّسْهِيْـلُ والتَّـأْهِيْـلُ
والأُنْـسُ مِنِّـيْ والقِـرىٰ المَعْمُـولُ ... عِنْـدِيْ وَلاَيَغْتَـالُ جَـارِي الغُـوْلُ
إِنِّـيْ لِجَـارِيْ حَـافِـظٌ كَفِيْـلُ ... وَعَنْـهُ مَـا يُثْقِلُـهُ حَمُـوْلُ
وَجَـارَتِـيْ خِبَـاؤُهَـا مَسْدُوْلُ ... طـرفـي [عمّـا][1] دونهـا كليـل
وسَـرْحُهَـا آمِنَـةٌ تَقِيْـلُ ... بَحَيْـثُ لاَ رَبْـعٌ وَلاَ طُلُـوْلُ
هَـذَا وَإِنْ فَـاجَـأَ خَنْشَلِيْـلُ ... بِمُعْضِـلٍ مَـا دُوْنَـهُ مُمِيْـلُ[2]
وَلاَ لأَمْـرٍ دُوْنَـهُ سَبِيْـلُ ... ثُـرْتُ كَـأَنِّـيْ بَـاسِـلٌ صَـؤُوْلُ
عفَّـوس عَـذَوَّرٌ نِحْليـلُ ... وَفِـي يَمِيْنِـيْ صَـارِمٌ مَصْقُـوْلُ[3]
يُـزِيْـلُ مَـا شَـاءَ وَلاَ يَـزُوْلُ ... والنَّقْـعُ كَـابٍ والـرَّدَى يَجُـوْلُ[4]
بِـالمُعْلِمِيْـنَ والكُمـا نَصُـولُ

قال : فلما سمع جشم بن حُبران بن نوف بن همدان هذا الشعر من ابنه حاشد جزاه خيراً ، وأومأ إليه بالجلوس ، فجلس ، ثم قال لهما أبوهما جشم : أنتما همدان ، وأنتما بيت الشرف من كهلان ، لكما العديد الأكثر ، وبكما تعز كهلان وحمير ، قومكما الأعزون ، وأولادكما الأكثرون الباقون .

ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

لاْ الأَزْدُ إِلاَّ مَـازِنٌ لاَ ثُـمَّ لاَ ... هَمْـدَانُ إِلاَّ حَـاشِـدٌ وَبَكِيْـلُ[5]

---

(١) في الأصل : « ما » ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) خنشليل : البعير السريع والضخم الشديد (القاموس : خ ن ش ل) .
(٣) عفوّس : من العفس وهو الحبس وشدة سوق الإبل (القاموس : ع ف س) العَذَوَّر : الملك الشديد (القاموس ع ذ ر) .
(٤) النقع : الغبار (المختار : ن ق ع) كبا : علا (القاموس : ك ب أ) .
(٥) في الأصل : « لا الأزد إلا مازن لا ولا » .

وَلُبَابُ كِنْدَةَ للأشاوس في الذُّرى		وَلِكُلِّ قَوْمٍ ذِرْوَةٌ وَسَلِيلُ [٣٦/ أ]
وَكَذَاكَ حِمْيَرُ في عَرِيبٍ مُلْكُهَا		وَبَنُو عَرِيبٍ لِلْمُلُوكِ أُصُولُ

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنه كان كاهناً ، وإنما تكلم بهذه الأبيات فيما انتهى إليه من نُموِّ هؤلاء الذين ذكرهم .

وحدثني علي بن محمد عن جدِّه الدعبل بن علي ، أنَّ أدد بن مالك بن زيد بن كهلان وهو أبو مذحج أقبل على بنيه عند حضور الوفاة فقال : [من البسيط] .

إنَّ الَّذِي عَرَفَ الدُّنْيَا وَجَرَّبَهَا		مِنْ قَبْلِ أنْ تَعْرِفُوهَا وَيْحَكُمْ أُدَدُ
أَفْنَىٰ لَيَالِيَهُ الَّلاتِي سَلَفْنَ وَلَمْ		تُسْعِفْهُ مِنْ بَعْدِهَا أَيَّامُهُ الجُدَدُ
بَنِيَّ إنِّيْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ		فَمَا عَدَانِيَ مِنْهُ الشَّرِيُ والشَّهَدُ[1]
وَقَدْ صَحِبْتُ رِجالاً كُنْتُ آمُلُهُمْ		يُخَلَّدُوْا لِيْ فَمَا عَاشُوْا وَمَا خَلَدُوْا
بَنِيَّ إنْ مِثْلَ أَمْسِ اليَوْمِ سَالِمَنِي		فَلَيْسَ يُؤمِنني مِمَّا أَخَافُ غَدُ
بَنِيَّ لاَ تَبْدَؤُوْا قَوْمَاً بِمَظْلِمَةٍ		وَفِيْ عَدَاوَةِ مَنْ عَادَاكُمُ اجْتَهِدُوْا
لاَ تَحْسُدُوْا النَّاسَ مَا أُوْتُوا وَمَا رُزِقُوْا		مِنَ الثَّراءِ فَحَظُّ الحَاسِدِ الحَسَدُ
صُونُوا العَشِيْرَةَ وَارْعَوْا حَقَّ جَارِكُمُ		فالجَارُ أَقْرَبُ مَنْ تُسْدَى إِلَيْهِ يَدُ
شُبُّوا لِطَارِقِكُم نَاراً يَدُوْمُ لَهَا		نُوْرٌ بِهِ يَهْتَدِي ذَا الطَّارِقُ القَصَدُ
فَإنَّ أكْرَم نَارِ الحَيِّ مَا ظَهَرَتْ		عَلَى الفِجَاجِ وَبَاتَتْ لَيْلَهَا تَقِدُ
وَصَّيْتُكُمْ فَاحْفَظُوْا عَنِّيْ الوَصَاةَ وَلاَ		تَبْغُوْا سِوَاهَا فَفِيْ إسْمَاعِهَا الرَّشَدُ

قال علي بن محمد : قال الدِّعبل بن علي : فيقال : إنَّ مذحج بن أدد بن مالك بن زيد بن كهلان حفظ هذه الوصية ، وثبت عليها ، وعمل بها ، وكذلك بنوه من بعده . وإلى اليوم تتبارى مذحج حيث كانت في استعمال ما وصَّاهم به أبوهم أدد بن مالك من الإيجاب للعشيرة ، وإسداء الجميل إلى

---

(١) الشري : الحنظل (القاموس : ش ر ا) .

الجار ، والحفظ والمراعاة له ، وترك البُدُوِّ بالظلم والعدوان ، والاجتهاد في العداوة لمن عاداهم ، والصبر على ما يبتلون به من الفتنة ، والإكرام للضيف .

تقول العرب إذا رأت ناراً عظيمة : ترى ناراً كأنها لأحد مذحج . وفي ذلك يقول قائلها : [من الرّمل]

تَعْظُمُ النَّارُ إذا النَّارُ الَّتِي ... شَبَّهَا عَبْسُ النَّدَى أَوْ صَعْصَعَةْ
لِقُدُوْرٍ كَالرُّبَى رَاسِيَةٍ ... وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي مُتْرَعَةْ
تَصْدُرُ العَالَةُ والأَضْيَافُ فِيْ ... كُلِّ يَوْمٍ وَهْيَ عَنْهَا مُشْبَعَةْ
أَيُّهَا السَّاعِيْ عَلَى آثَارِنَا ... نحن من لست بساعيّ معه
نَحْنُ أَوْدٌ حِيْنَ تَصْطَكُّ القَنَا ... وَالعَوَالِي لِلْعَوَالِي مُشْرَعَةْ [٣٦/ ب]

ويقال : إن هذا الشعر لصلاءة بن عمرو المذحجي ، وهو الذي يعرف بالأفوه الأودي[(١)] . وتصديق قوله :

تَعْظُمُ النَّارُ إِذَ النَّارُ الَّتِيْ ... شَبَّهَا عَبْسُ النَّدَىٰ أَوْ صَعْصَعَهْ

وقول القُطامي[(٢)] : [من الطويل]

أَلاَ إِنَّمَا نِيْرَانُ قيس إذا اشْتَوَتْ ... لِطَارِقِهِمْ لَيْلاً كَنَارِ الحُبَاحِبِ[(٣)]

---

(١) مرت ترجمتة في بعض الحواشي السابقة .

(٢) هو عمير بن شييم من بني جشيم بن بكر شاعر غزل فحل كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم وجعله ابن سلام من الطبقة الثانية في الإسلاميين توفي نحو سنة ١٣٠هـ . انظر الشعر والشعراء ٢٧٧ ، معاهد التنصيص ١/ ١٨٠ ، التبريزي ١/ ١٨١ ، طبقات الشعراء ١٢١ ، سمط اللآلي ١٣٢ ، الآمدي ١٦٦ ، المرزباني ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، جمهرة أشعار العرب ١٥١ ، المبهج ٢٨ ، التاج ٩/ ٣٠ ، الحمجي ٤٥٢ ـ ٤٥٧ ، بروكلمان ١/ ٥٩ ، والملحق ١/ ٩٤ ، مقدمة الديوان بتحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ط . دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م . والبيت في الديوان ٥٠ وروايته :

ألا إنما نيران قيس إذا اشتووا ... لطارق ليل مثل نار الحباحب

(٣) نار الحباحب : هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . أو هي =

وما زالت العرب تنسب قيساً إلى مثل ما نسبها إليه قائل هذا البيت من خفوض نيرانهم وخبوها عند بُدُوّ نيران غيرها . وقد ذكر ذلك حسان بن ثابت الأنصاري[١] حيث يقول : [من الطويل]

تَراهَا كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ بَيْنَنَا ... تَألَقنَ أو توقدن نَارَ الحُبَاحِبِ

وفيما شرحناه من أخبار مذحج وأحاديثهم كفاية عما تركناه وملنا عنه إلى الاختصار .

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جدِّه الدعبل بن علي ، أنَّ طيء بن الغوث بن مالك بن أُدَد ـ ومالك اسم مذحج ـ عُمِّر عمراً طويلاً ، زاد على نيّف وأربعمئة سنة . ويقال : إنَّه أقبل على بنيه وهو يقول : [من الكامل]

عُمْراً وَجَاوَزْتُ المِئِيْنَ الأَرْبَعَا ... وسُلِبتُ أَسْبَابَ الشَّبِيْبَةِ أَجْمَعَا
وَلَحِقْتُ أَيَّامَ الجَدِيْسِ وَحِزْبِهَا ... طَسماً [سنيناً] ما حللنا لعلعا[٢]
والصَّعْبُ ذو القَرْنَيْنِ كُنْتُ لِجَدِّهِ ... جَدّاً وَكَانَ أَبُوهُ ذِكْرَى مُرْضَعَا
وَلَقِيتُ لُقْمَانَ بنَ عَادٍ حَامِلاً ... بِقَوَارِعِ الأَحْقَافِ نَسْراً ميفعا[٣]
وَلَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِباً ... مَا شَاءَ بَيَّنَهَا لَهُ أَوْ يَسْمَعَا
فَلْيَأْتِنِيْ مُسْتَخْبِراً فَأَنَا الَّذِي ... أَفْنَتْ لَيَالِيهِ القُرُونُ التُّبَّعَا
أُمَمَاً مَتَى أَحْصَيْتُهَا وَعَدَدْتُهَا ... أَلْفَيْتُهَا أُمَماً لَعَمْرُكَ أَرْبَعَا
مَا إِنْ أُسَائِلُ عَنْ صَدِيْقٍ مِنْهُمُ ... إِلاّ وَقَبْلُ سَأَلْتُ عَمَّنْ وَدَّعَا

= نسبة إلى أبي حباحب من محارب وكان لا يوقد ناره إلا بالحطب الشحت (الدقيق الضامر) لئلا ترى (القاموس : ح ب ب) .

(١) لم أجد البيت في طبعات الديوان التي بين يدي .
(٢) اللعلع : الجبل (القاموس : ل ع ع) .
(٣) ميفعا لعل الأصح يافعا .

أَبَنِـيَّ هَـلْ تَجِـدُوْنَ لِـيْ مِـنْ مَهْيَـعٍ غَيْـر الـرَّدَى فَـأَسَيْـرَ ذَاكَ المَهْيَعَـا[١]
لاَ ، هَلْ وَمَاذَا يَأملُ اليَفَنُ الَّذِيْ يُمْسِيْ وَيُصْبِحُ [كالحنية] خروعا[٢]
ثغمـت نميمتـه بيـاضـاً بعـدمـا كانت له تحكي الظلام الأفرعا[٣]
عُـوْا مَـا أَقُـوْلُ لَكُـمْ وَأُوْصِيْكُـمْ بِـهِ إِنَّ الـوَصِيَّـةَ يَحْتَـوِيْهَـا مَـنْ وَعَـى
كُـوْنُـوا لِجَـارِكُـمُ وَلِلضَّيْـفِ الَّـذِيْ يُمْسِيْ بِسَاحَتِكُمْ جَنابَاً مُمْرِعَا[٤]
وَإِذَا أَتَـاكُـمْ صَـالِـحٌ مِـنْ قَـوْمِكُـمْ فَاسْعَوْا إِلَيْهِ مِنْ مَعِيْن مَعَامِعَا[٥]
لا تُقْبِلُـوا هجمـاً كغِـزْلاَنِ الشَّـرَى [ ][٦] مـن تـرد المـرتعـا
عِـزُّ العَشِيْـرَةِ فـي جَمَـاعَتِهَـا الَّتِـي لَمّـا تَجِـدْ فِيْهَـا الأعَـادِيْ مَطْمَعَـا

وحدَّثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ أود بن مالك كان من حكماء العرب ، وكان سيداً مطاعاً في قومه ، وأنه عاش دهراً طويلاً ، وعُمِّر حتى ضعف بصره ، وقصر خطاه ، وكلّ سمعه ، وأنّه أقبل على بنيه يوصيهم ، وهو يقول : [من الكامل]

أَوْدٌ بَنِـيَّ أَبَـاكُـمُ أَوْدَى بِـهِ صَـرْفُ الـزَّمَـانِ وَرَيْبُـهُ فَتَـأَوَّدَا[٧]
[٣٧/ أ] والدَّهْرُ عَشَّىٰ نَاظِرَيْهِ فَلا يَرَى بِهِمَـا الضُّحَـى إلاَّ ظَـلاَمَـاً أَسْـوَدَا
مَـا إِنْ يَعَـي إلا إذا قُـرِعَـتْ لَـهُ وإذا تمثـل للمحـدّث أصيـدا[٨]
أبنـيَّ مَـنْ أَحْصَـى الَّـذي أَحْصَيْتُـهُ مِمَّـا طَـواهُ مِـنْ سِنِيـهِ وَعَـدَّدَا
يُمْسِـي كَمَـا أَمْسَـى وَيُصْبِـحُ مِثْلَمَـا أَصْبَحْـتُ مُنْحَنِـيَ الفِقَـارِ النـدَّدا

(١) المهيع : مرّ شرحه في الحواشي السابقة .
(٢) اليَفَنْ : الشيخ الكبير (القاموس : ي ف ن) .
(٣) أثغم الرأس : صار كالثغامة بياضاً (القاموس : ث غ م) .
(٤) جناباً ممرعاً : فناء مخصباً (القاموس : ج ن ب ، م رع) .
(٥) المعامع : تحزب الناس أحزاباً لوقوع العصبية (القاموس : م ع ع) .
(٦) ما بين المعقوفتين كلام غير مفهوم في الأصل .
(٧) تأوّده الأمر : ثقل عليه (القاموس : أ و د) .
(٨) الأصيد : رافع الرأس كبراً ، والملك (القاموس : ص ي د) .

أَبَنِـيَّ إِنْ نَقَـلَ الحِمَـامُ أَبَـاكُـمُ عَنْكُم وَغُوْدِرَ في الضَّرِيحِ مُمَدَّدَا
كُـونُـوا لِضَيْفِكُـمُ رَبِيْعَـاً صَـادِقَـاً فَـالضَّيْـفُ يُخْبِـرُ مَـارَآهُ إِذا اغتـدَى
وَإِذَا أَتَـاكُـمْ صَـارِخٌ مِـنْ قَـوْمِكُـمْ يَـدْعُـوْكُـمُ لِبَـلاَئِهِـمْ مُسْتَنْجِـدَا
فَـاسْعَـوْا إِلَيْـهِ مُمْـرِعِيْـنَ لِتُـدْرِكُـوْا فِيْهِـمْ بِسَعْيِكُـمُ العُلَـى وَالسُّـؤْدَداً

وحدثني علي بن محمد ، عن جده الدعبل بن علي ، أنّ مراد بن سعد بن مذحج وصَّى بنيه فقال : يا بني ، إنَّ الناس هم اثنان ؛ صديق معين وعدو مبين ، فاعرفوا للصديق صداقته ، واعرفوا للعدو عداوته . أمَّا الصديق فأعينوه ظالماً وانصروه مظلوماً ، وأما العدو فاخذلوه محالفاً ، واقتلوه مخالفاً ، ولا تأمنوه سلماً ، ولا تتركوه حرباً . ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

بَنِـيَّ لَقَـدْ دَعَـوْتُكُـمْ لِنَهْـجٍ يَـدُلُّ عَلـى البَصِيْـرَةِ والـرَّشَـادِ
بَنِـيَّ وَهَـلْ أَبٌ يَـدْعُـو بَنِيْـهِ إِلَـى غَيْـرِ المَكَـارِمِ والسَّـدَادِ
وَهَـلْ وَلَـدٌ رَأَى مِـنْ وَالِـدَيْـهِ لَـهُ غَيْـرَ المَحَبَّـةِ والـوِدَادِ
بَنِـيَّ تَـأَمَّمُـوْا فَـالنَّـاسُ شَتَّـى ذَوُو مِقَـةٍ وَحُسَّـادٌ أَعَـادِ[1]
فَكَـافُـوا الكُـلَّ مَـا يُسْدَى ويُـوْلَـى مُكَـافَـأَةَ الشَّـرَامِحَـةِ الجِيَـادِ[2]
وَأَوْفُـوا كَيْلَهُـمْ بِـالصَّـاعِ صَـاعَـاً وَلاَتُبْقُـوا عَلَـى حَضَـرٍ وَبَـادِ
مِـنَ الأَعْـدَاءِ فَـالإِبْقَـا عَلَيْهِـمْ يَـزِيْـدُهُـمُ التَّمَـادِي فـي الفَسَـادِ
بَنِـيَّ هِـيَ الـوَصِيَّـةُ فَـاحْفَظُـوْهَـا [فذي][3] من إرث وَالِدِكُمُ مُرَادِ

وحدثني علي بن محمد ، عن جدّه الدعبل بن علي ، أنَّ الحارث بن كعب لما حضرته الوفاة أقبل على بنيه يوصيهم وهو يقول : [من الطويل]

---

(١) المقة : المحبة (القاموس : و م ق) .
(٢) الشرامح : الأقوياء (القاموس : ش ر م ح).
(٣) ما بين المعقوفتين زيادة على الأصل يقتضيها الوزن .

بَنِيَّ اهتدوا إني اهتديت سبيله[1] فأَكْرَمُ هَذا النَّاسِ مَنْ كَانَ هَادِيَا
عَيِيْتُ زَمَاناً لَسْتُ أَعْلَمُ مَا الهُدى وَقَدْ كَانَ ذَاكُمْ ضِلَّةً من ضَلالِيَا
فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ رُشْدِي وَزُلْفَتِيْ أَنَارَ سَبِيْلَ الحَقّ لي وَهَدَانِيَا
فَأَلْقَيْتُ عَنِّي الغَيَّ لِلرُّشْدِ والهُدَى وَيَمَّمْتُ نُوْراً لِلحَنِيْفَةِ بَادِيَا
وَصِرْتُ إلى عِيْسَىٰ بن مَرْيَمَ هَادِياً رَشِيْداً فَسَمَّانِي المَسِيحُ حَوَارِيا
سَعِدْتُ بِهِ دَهْراً فَلَمَّا فَقَدْتُهُ فَقَدْتُ يَمِيْنِيْ بَلْ فَقَدْتُ شِمَالِيَا
بنيَّ اتَّقوا اللهَ الَّذِيْ هُوَ رَبُّكُم بَرَاكُم لَهُ فِيْما بَرَى وبَرانِيَا [٣٧/ ب]
لِنَعْبُدَهُ سُبْحَانَهُ دُونَ غَيْرِهِ وَنَسْتَدْفِعَ البَلْوى بِهِ وَالدَّواهِيَا
وَنُؤْمِنَ بالإِنْجِيْلِ وَالصُّحُفِ الَّتِيْ بِهَا يَهْتَدِيْ مَنْ كَانَ لِلْوَحْيِ تَالِيَا
بَنِيَّ صَحِبْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ أَلْفَيْتُ مَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَأَلْفَيْتُ أَسْنَاهُم مَحَلاًّ وَمَنْصِباً رَشِيْداً عَنِ الفَحْشَاءِ والإِفْكِ نَاهِيَا
وَأَلْفَيْتُ أَوْهَاهُمْ لَدَى كُلِّ أَمْرِهِ مُضِلاًّ لِضُلَّالِ العَشِيْرَةِ غَاوِيَا
بَنِيَّ احفَظُوا لِلْجَارِ وَاجِبَ حَقِّهِ وَلاَ تُسْلِمُوا فِي النَّائِبَاتِ المَوَالِيَا
وشُبُّوا عَلى قَرْعِ اليَفَاعَةِ نَارَكُم لِيَأْتَمَّهَا الضَّيْفُ الَّذِي بَاتَ طَاوِيَا[2].
وَلا تَعْتَدُوا بالحَرْبِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ بالعُدْوانِ والظُّلْمِ بَادِيَا
وَمَهْمَا زَرَعْتُم يا بَنِيَّ فَإِنَّهُ سَيُحْصَدُ نَزْراً كَانَ أَوْ كَانَ زَاكِيَا

قال علي بن محمد : قال الدعبل بن علي : فيقال : إن ولد الحارث بن كعب لم يزل يحفظ وصيَّتَه ويعملُ بها في الجاهلية والإسلام .

ويقال : إن رسول الله ﷺ قال لبني الحارث يوم وفدوا إليه للإسلام والدخول في المِلّة : يا بني الحارث ، بم كنتم تغلبون النّاس يا أكثر العرب عدداً ولا عدداً ؟ قالوا له : يا رسول الله ، نحن قوم لا نبدأ أحداً بمظلمة ، فإذا أراد

---

(١) في الأصل : « بني اهتدوا إلى ما اهتديت سبيله » وهو مكسور .
(٢) اليفاع : التلّ (القاموس : ي ف ع) القرْع : الفِناء (القاموس : ق ر ع) .

قوم ظلامتنا أو حربنا قلدناهم البغي ، وصبرنا على حربهم حتى يحكم الله بما هو حاكم . فقال لهم رسول الله ﷺ : بتلك كنتم تغلبون الناس وتقهرونهم[1] .

وهم الذين يقول فيهم الزبير بن عبد المطلب[2] حيث يقول : [من الطويل]

وَلَقَدْ صَحِبْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ ... فَوَجَدْتُ أَكْرَمَهُمْ بَنِي الذبيان
قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الغَرِيبُ بِدَارِهِمْ ... تَرَكُوهُ أَهْلَ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ
لا يَنْكُثُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ ... لِتَلَمُّسِ العِلَّاتِ بِالعِيْدَانِ
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرى لَهَا ... عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ
وَإِذَا دَعَوْتَهُمُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ... سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالنِّيْرَانِ

* * *

تم كتابُ الوصايا . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيد المرسلين محمد النبي وآله الطيبين صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وافق كاتبه الفراغ عنه يوم الخميس [ ][3] بقيت من شهر جمادى الأولى من شهور سنة [ ][4] وأربعين وخمسمئة . وفقه الله لما يرضيه ، وجنَّبه معاصيه ، وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين . ولمن قال آمين برحمته . والحمد لله حق حمده .

---

(١) انظر الخبر في سيرة ابن هشام ٤/ ٥٩٤ ، البداية والنهاية ٥/ ٨٩ ، وهو في كتب التاريخ بألفاظ مختلفة .

(٢) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم أكبر أعمام النبي ﷺ أدركه في طفولته ويعد من شعراء قريش المقلين . الجمحي ١٩٥ ، ٢٠٥ ، الروض الأنف ١/ ٧٨ ، سمط اللآلي ٧٤٣ .

(٣) مابين المعقوفتين بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٤) كلمة مبتورة ولعلها سبع أو تسع .

ثبت بأهم المراجع والمصادر

- الأخبار الطوال . الدينوري . مصر ، ١٣٣٠ .
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١ - ٢) . مكة ١٣٥٢ - ١٣٥٧ .
- أساس البلاغة . الزمخشري .
- الأصنام . ابن الكلبي . مصر ، ١٣٤٣ .
- إغاثة اللهفان . ابن قيم الجوزية .
- الأغاني . أبو الفرج الأصفهاني . القاهرة : دار الكتب .
- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير . الهمداني الحسن بن أحمد . بيروت : دار المناهل ، الدار اليمنية ١٤٠٨ ، بغداد : مطبعة السريان ١٩٣١ .
- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون . علي الحلبي . مصر ، ١٢٩٢ .
- البداية والنهاية في التاريخ ،(١-١٤) . ابن كثير . مصر ١٣٥١ - ١٣٥٨ .
- البيان والتبيين . الجاحظ . مصر ، ١٣٦٧ - ١٣٦٩ .
- تاج العروس من جواهر القاموس . محمد مرتضى الزبيدي .
- تاريخ آداب اللغة العربية (١-٤) . جرجي زيدان . مصر ، ١٩١٣ - ١٩١٤ .
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (١-٢) . حسين الديار بكري . مصر ، ١٢٨٣ .
- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء . حمزة الأصفهاني . برلين ، ١٣٤٠ .
- تاريخ العرب قبل الإسلام . جواد علي .
- تاريخ اليعقوبي(١-٣) . النجف ، ١٣٥٨ .
- تلبيس إبليس . ابن الجوزي . مصر ١٣٦٨ .
- التنبيه والإشراف . المسعودي . مصر ١٣٥٧ .
- تهذيب تاريخ ابن عساكر (١-٧). عبدالقادر بدران. دمشق ١٣٢٩ ومابعد.

ـ التيجان في ملوك حمير . وهب بن منبه . صنعاء : مركز الدراسات ، ١٩٧٩ .

ـ جمهرة أشعار العرب . ابن أبي الخطاب . مصر ، ١٣٠٨ .

ـ جمهرة أنساب العرب . ابن حزم ، تحقيق عبد السلام هرون . القاهرة : دار المعارف ١٣٨٢ .

ـ الحور العين . نشوان الحميري . مصر ١٩٤٨ .

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١ـ٤) . البغدادي . مصر ١٢٩٩ .

ـ خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة . نشوان الحميري ، تحقيق السيد علي المؤيد وإسماعيل الجرافي . القاهرة : المطبعة السلفية ١٣٧٨ .

ـ دائرة معارف البستاني (١ـ١١) . بيروت : ١٨٧٦ ـ ١٩٠٠ .

ـ دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت ، دراسة تحليلية لحياته وشعره . عبد الكريم الأشتر . دمشق : دار الفكر ، ١٣٨٣ .

ـ ديوان الأعشىٰ . تحقيق فوزي عطوي . بيروت : الشركة اللبنانية .

ـ ديوان امرئ القيس . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٤ .

ـ ديوان حسان بن ثابت . شرح عبد الرحمن البرقوقي . بيروت : دار الأندلس .

ـ ديوان السموءل . تحقيق لويس شيخو . بيروت : المطبعة الكاثوليكية ط٢ ١٩٢٠ .

ـ ديوان الطرمّاح . تحقيق عزة حسن . دمشق : وزارة الثقافة ، ١٣٨٨ .

ـ ديوان النابغة الذبياني . تحقيق شكري فيصل . بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٨ .

ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة . آغا بزرك الطهراني . النجف ، ١٣٥٥ وما بعد .

- رغبة الآمل من كتاب الكامل (١ـ٨) . سيد المرصفي . مصر ، ١٣٤٦ وما بعد .
- الروض الأُنف (١ـ٢) . السهيلي . مصر ، ١٣٣٢ .
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب . محمد أمين البغدادي . بغداد ١٢٨٠ .
- سمط اللآلي (١ـ٢) . أبو عبيد البكري . مصر ، ١٣٥٤ .
- السيرة النبوية (١ـ٤) . ابن هشام ، شرح مصطفى السقا ورفيقيه . مصر ١٣٥٥ .
- شرح ديوان الحماسة (١ـ٤) . التبريزي . مصر ، ١٢٩٦ .
- شرح ديوان الحماسة (١ـ٤) . المرزوقي . مصر ١٣٧١ وما بعد .
- شرح المقامة الحريرية (١ـ٢) . الشريش . مصر ، ١٣٠٠ .
- شرح المقصورة الدريدية .
- شعراء النصرانية (١ـ٦) . لويش شيخو . بيروت : ١٩٢٦ .
- شعر دعبل بن علي الخزاعي . عبد الكريم الأشتر . دمشق : مجمع اللغة العربية ط٢ ، ١٤٠٣ .
- الشعر والشعراء (١ـ٢) . ابن قتيبة . مصر ، ١٣٦٤ .
- صبح الأعشى (١ـ١٤) . القلقشندي . مصر ، ١٣٣١ وما بعد .
- صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار (١ـ٥) . ابن يليهد . مصر ، ١٣٧٠ وما بعد .
- صفة جزيرة العرب . الهمداني . ليدن ، ١٨٨٤ .
- طبقات فحول الشعراء . ابن سلام الجمحي . ليدن ، ١٩١٣ .
- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . الملك الأشرف . مصر ، ١٣٦٩ .
- العرب قبل الإسلام . جرجي زيدان . مصر ١٩٠٨ .
- فتح الباري . ابن حجر . مصر ، مطبعة بولاق .
- فتوح البلدان . البلاذري . مصر ، ١٣١٩ .
- في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها . عبيد بن شرية . صنعاء ، مركز الدراسات ١٩٧٩ .

- القاموس المحيط . الفيروز آبادي .
- الكامل في التاريخ (١-١٢) . ابن الأثير . مصر ، ١٣٠٣ .
- كلمات القرآن : تفسير وبيان . حسين مخلوف . دار الشمال .
- اللباب في تهذيب الأنساب (١-٣) . ابن الأثير . مصر ، ١٣٥٦ وما بعد .
- المحبر . محمد بن حبيب . حيدر آباد ١٣٦١ .
- مختار الصحاح . الرازي .
- المختصر في أخبار البشر (١-٤) . أبو الفداء . مصر ١٣٢٥ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر . المسعودي ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد . القاهرة : المكتبة التجارية ط٢ ١٣٦٧ .
- المصباح المنير . الفيومي .
- المعارف . ابن قتيبة . مصر ، ١٣٥٣ .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١-٤) . عبد الرحيم العباسي . مصر ، ١٣٦٧ .
- معجم البلدان (١-٨) . ياقوت الحموي .
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (١-٣) . عمر رضا كحالة . دمشق . ١٣٦٨ .
- المقاصد النحوية (١-٤) . محمود العيني . مصر ، ١٢٩٩ .
- المؤتلف والمختلف . الآمدي . مصر ، ١٣٥٤ .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . المرزباني . مصر ، ١٣٤٣ .
- نزهة الجليس ومنية الأنيس . العباس الموسوي . مصر ، ١٢٩٣ .
- نسب معد واليمن الكبير (١-٣) . هشام ابن الكلبي . تحقيق : محمود فردوس العظم وعبد الحميد مراد . دمشق ، دار اليقظة .
- نهاية الأرب في فنون الأدب (١-١٨) . النويري . مصر ١٣٧٤ وما قبل .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب للمحقق

- غزل البنات (مجموعة قصص) ١٩٨٦ .
- وتبقى الأحلام (مجموعة قصص) ١٩٩٣ .
- الأمثال الشامية (٣٥٠٠ مثل من دمشق) ١٩٨٩ .
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (لكمال الدين الغزي) ١٩٨٢ بالاشتراك .
- فص الخواتم فيما قيل في الولائم لابن طولون الصالحي ١٩٨٣ .
- نقد الطالب لزغل الناصب لابن طولون الصالحي ١٩٩٢ بالاشتراك .
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١ ـ ٣) ١٩٨٦ بالاشتراك .
- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري (١ ـ ٢) ١٩٩٢ بالاشتراك .
- بيير وجان (ترجمة لرواية غي دوموباسان) ١٩٩١ بالاشتراك .
- دور الكتب العامة وشبه العامة (ترجمة لكتاب الدكتور يوسف العش) ١٩٩١ بالاشتراك .
- صور من الحياة والعادات والتقاليد في الإمارات (تحت الطبع) .
- الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في الإمارات (تحت الطبع) .